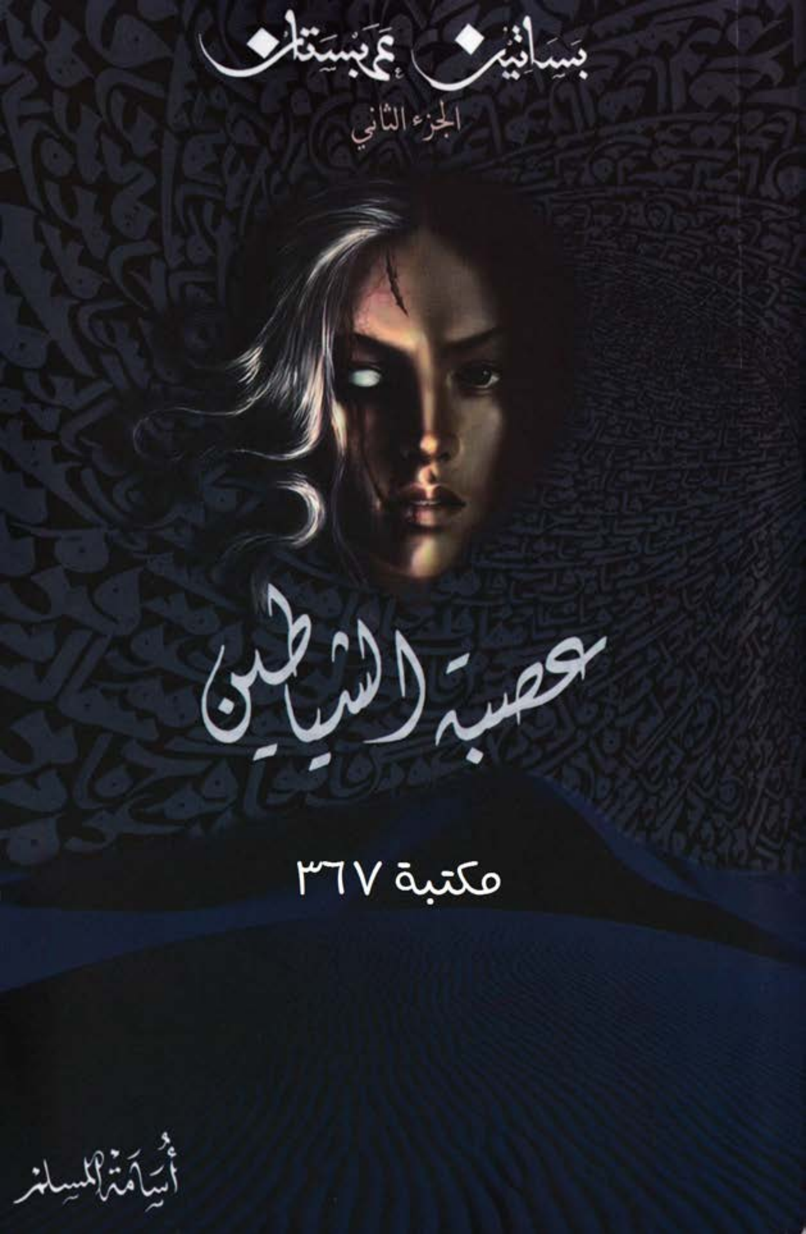


بساتين عربستان
الجزء الثاني
عصبة الشياطين
مكتبة ٣٦٧
أسامة المسلم

مكتبة | 367



@komontage
@komontag_
Ask.fm: @komontag

الطبعة التاسعة
١٤٣٨ هـ ٢٠١٧ م

تصميم الغلاف:
@Shathahvi
@shathahvd

# عصبة الشياطين



الجزء الثاني

## من بساتين عربستان

الكاتب

أسامة المسلم

---

اللهم أنزل على قبرها الضياء والنور

والفسحة والسرور

اللهم اقبلها في عبادك الصالحين

واجعلها من ورثة جنة النعيم

. . الانتقام كأس لا نشرب منه حتى الارتواء

بل نشرب منه حدَّ الثمالة . . .

عاشق نورة

# هنا ..



# أفيقي ..



# الوقت حان ..






في واحة «هجر» وبين أحضان النخيل الكثيفة والعيون المتفجرة، استقر ساحرٌ يدعى (وصبان) مع ابنته (دعجاء) التي لم يتجاوز عمرها سبعة أعوام.

(وصبان) كان هاربًا من قبيلة زوجته بسبب تعامله بالسحر، وزوجته كانت المحرض الأول لهم لقتله وأخذ ابنتها منه كي لا تتأثر به وتحذو حذوه، لكن (وصبان) وجد ملجأ في دياره «هجر» عند أحد أصدقائه السحرة، وكان يسمى (نومان) والذي عرض عليه العودة واللجوء والإقامة معه هناك، هرباً من بطش قبيلة زوجته والانضمام إلى عصبة من السحرة أسسها حديثاً هناك.

وافق (وصبان) دون تردد على عرض (نومان) وخرج ليلاً من قبيلة زوجته التي كانت مستقرة في جنوب «جزيرة العرب» متوجهاً إلى «هجر» وعند وصوله استقبله صاحبه بالأحضان والترحاب:

(نومان): أخيرًا عدت لديارك في أرض النخيل يا (وصبان) لقد اشتقت إليك كثيراً فأنا لم أرك منذ خمسة عشر عامًا عندما كنا في «بابل»

(وصبان) مبتسماً: منذ وفاة والدي لم يبق لي أهلٌ هنا.

(نومان) باستياء: ما هذا الكلام؟ ... نحن جميعاً هنا أهلك، وبيوتنا كلها مفتوحة لك، وأنت تعرف ذلك.

(وصبان) وهو يبتسم: شكراً لاستضافتك لي يا صديقي العزيز لم أكن أريد أن أثقل عليك.

(نومان): لا تقل ذلك أبدًا، فأنا محاط بالكثير، لكني لا أثق بأحد كثقتي بك.

(وصبان): معروفك هذا لن أنساه.

أدار (نومان) نظره إلى الفتاة التي كانت متعلقة بثوب (وصبان) ولفت انتباهه عيناها الواسعتان والسوداوتان كالكحل، وقال لها وهو يهم بحملها مبتسماً:

ومن تكون هذه الفتاة الجميلة؟

(وصبان) مبتسماً: هذه ابنتي الوحيدة .

(نومان): وما هو اسمك ياصغيرتي؟

(دعجاء): ...

(وصبان): اسمها (دعجاء)

(نومان) وهو يقبلها: اسمها جميلٌ كجمال عينيها.

(وصبان وهو مبتسم) و(نومان وهو يسير حاملاً دعجاء): هيا لأريك منزلك الجديد...

ذهب (وصبان) مع (نومان) الذي حمل (دعجاء) على أكتافه إلى بيتٍ من طينٍ كانت له باحة صغيرة فيها نخلتان... بعدما استقر (وصبان) في داره الجديدة وجّه (نومان) نظره إليه وقال:

اعذرني يا صديقي فهذا البيت ليس من مقامك، لكن أعدك في المستقبل أن أجد لك منزلًا أفضل منه.

(وصبان): أنا من يعتذر منك للإثقال عليك، والمنزل أكثر من مناسب لا تقلق.

عانق (نومان) صديقه وأدخل أمتعته إلى داخل المنزل وقبَّل (دعجاء) الصغيرة وقال قبل أن يرحل: أريد أن أراك الليلة.

رحل (نومان) وبقي (وصبان) مع ابنته في بيتهما الجديد.

حل المساء وحان موعد اللقاء بـ(نومان) ولأن (وصبان) كان لوحده في المنزل اضطر لأخذ (دعجاء) معه إلى ذلك اللقاء، وعندما وصل إلى المكان الذي وصفه له (نومان) وجد مجموعة من الرجال بينهم صاحبه، وكان واقفاً مبتسماً فاتحًا ذراعيه مرحبًا بـ(وصبان).

أخذ (نومان) (دعجاء) وأجلسها في حِجره وأشار لـ (وصبان) بالجلوس، ثم عرفه على البقية الذين كانوا جميعًا من السحرة المحليين، وكان نقاشهم يدور حول وضع ميثاق العصبة التي يريدون إنشاءها في «هجر» وتحديد المراكز وغيرها من الأمور التنظيمية، وكان الحوار في تلك اللحظة يدور حول من سيكون نائب زعيم العصبة (نومان).




وكان الجميع يريد هذا المنصب لنفسه، ماعدا (وصبان) الذي اكتفى بالجلوس صامتًا والاستماع إلى حديثهم، مما دفع (نومان) لتوجيه الكلام له وقال:

مابك يا (وصبان)؟ لماذا لاتشاركنا الحديث؟

(وصبان) وهو يبتسم: أنا جديد عليكم، ولا أريد أن أتدخل في شؤونكم.

(أحد السحرة): لا تقل ذلك يا (وصبان) فأنت الآن منا.

(وصبان): أشكركم على ثقتكم.

(نومان): اسمعوا جميعاً ... منصب النائب سيكون لمن يقوم بمهمة أنا من سيحددها، ومن يقوم بإنجازها سوف يحصل على هذا المنصب... ما رأيكم؟

رد الجميع ماعدا (وصبان) وقالوا: موافقون.

(نومان): وماذا عنك يا (وصبان)؟

(وصبان): أنا معكم في كل ما تتفقون عليه.

(نومان): جيد إذاً ... سوف يصل إلى ساحلنا الشرقي بعد أيام ساحرٌ من بلاد «فارس» وسوف يقيم في «هجر» لأيام في مهمةٍ سريةٍ، لأنه وكما تعلمون بأن سحرة الفرس لايجرؤون على القدوم لأرضنا إلا للضرورة القصوى.

(أحد السحرة): وما هذه المهمة؟

(نومان): على حد علمي هي لتعليم بعض السحرة المتعاطفين مع بلاد «فارس» بعض الطلاسم التي ستعطيهم الغلبة علينا، وتمكنهم من السيطرة على «هجر» وجعلها تحت أمرتهم.

(ساحر آخر): ومن هو هذا الساحر؟

(نومان): (آشور الارمي)

سكت الجميع وبدأت على أعينهم نظرة الخوف والارتباك، وحل الصمت بينهم لدقائق، ثم تكلم (نومان) وقال: ما بكم؟ ... لماذا خرستم؟

(أحد السحرة): (آشور) من كبار السحرة في «فارس» ولن نستطيع مقاومته حتى لو اجتمعنا كلنا عليه.

نومان (بغضب): ما هذا الكلام الأحمق؟! (آشور) مجرد ساحرٍ بسيطٍ، وأي ساحرٍ منا يستطيع القضاء عليه؟

(أحد السحرة): لماذا لا تذهب أنت إذاً؟

(نومان): إذا لم يتقدم أحدكم سوف أذهب أنا .

(وصبان) وهو يأخذ (دعجاء) من حجر (نومان): أنا سأذهب.

(نومان): لا يا (وصبان) ... أنا لا أشك بقدرتك، لكنك لا تعرف المنطقة جيداً ولا تعرف (آشور) مثلنا.

(أحد السحرة) بتهكم: لماذا لا تدعه يذهب، أم أن حياته أغلى من حياتنا؟

نظر (نومان) إلى المتحدث بنظرة غضب ... لكنه لم يستطع الرد عليه...!

(وصبان) وهو يضع يده على كتف (نومان) مبتسماً:

أنا من سيذهب ولا تقلق عليّ يا (نومان) ... لكن أخبرني ماهية تلك المهمة تحديدًا؟

(نومان): لا أريد منك سوى تحذيره من دخول «هجر»

(وصبان): ولو رفض؟

(نومان): دعه يدخل بسلام.

(وصبان) بتعجبٍ: ما الغرض من التعرض له إذاً؟

(نومان) وهو يبتسم وينظر لأتباعه بنظرةٍ ثاقبةٍ: فقط نفذ ما أقوله ولا تقلق.

أخبر (نومان) (وصبان) بأنه سيخبره بموعد وصول (آشور) لـ «هجر» كي يعترضه خارج أسوارها بمسافة عند أحد البساتين المعروف باسم:

(البستان الكبير) والذي اعتاد الوافدون القادمون من البحر الشرقي المرور خلاله قبل التوجه إلى مدينة النخيل.

افترق الجمع بعد ذلك ورحل (وصبان) وابنته نحو منزلهما، وخلال الطريق لحق به (نومان): انتظر يا (وصبان)... انتظر ...

(وصبان) يلتفت نحو صاحبه.

(نومان): أريد أن أتحدث معك بشأن (آشور)

(وصبان): ألم نتحدث بشأنه مع العصبة؟

(نومان): هناك أمرٌ لم أشأ التحدث به أمامهم...

(وصبان) باستغرابٍ: ما هو؟

(نومان): أريد منك أن تقتل (آشور) ولا تسمح له بالخروج من (البستان الكبير) حيًا

(وصبان) باندهاشٍ: ماذا؟ ... لماذا لم تقل ذلك أمام العصبة؟

(نومان): لأنني لا أثق ببعضهم خاصة من انضم إلينا حديثًا ... (آشور) يملك نفوذاً كبيرًا في «هجر» وخاصة بين المعارضين لنا، ولا أستبعد أن بعضهم ممَّن باع ذمته جند نفسه بين صفوفنا كي يحذره.

(وصبان) وهو يحمل (دعجاء): أنا أيضاً حديث العهد بين صفوفكم يا (نومان).

(نومان) مبتسماً: لا تقارن نفسك بهم، فأنا أعرفك منذ الصغر، وأثق بك أكثر منهم ومن نفسي ...

(وصبان): ولماذا تريد قتله؟ ... قد يرحل بسلامٍ دون مقاومة.

(نومان): (آشور) ساحرٌ مخضرمٌ، وقيادي كبيرٌ بين صفوف سحرة الفرس وخروجه من «فارس» بهذا الشكل لا يدل إلا على نية للتحرك اتجاه مد نفوذه في «هجر» ولايجب أن نسمح له بذلك ... هذه فرصة قد لا تتسنى لنا في المستقبل. 

(وصبان): وماذا ستستفيد من قتله؟ ... هذا لن يعطل نية أتباعه في «فارس» للاستمرار في التدخل بشؤوننا.

(نومان): على العكس تمامًا ... (آشور) مختلف عن زملائه الآخرين في «فارس» فهو أكثر المتحمسين لنقل نفوذ الفرس إلى جزيرة العرب.

(وصبان): تقصد أن بموته سيموت الطموح والحلم لمد النفوذ خارج «فارس»!

(نومان): لن يموت الحلم، لكنه سيتراجع بشكل كبير، وسنكسب وقتًا كافيًا لتأسيس عصبتنا هنا، وترسيخ جذورنا من أبناء جلدتنا ليحموا أراضينا.

(وصبان): أليس المتعاطفون مع (آشور) في «هجر» من أبناء جلدتنا؟

(وصبان): لقد سلخوا جلودهم بأنفسهم عندما تحالفوا مع الفرس.

(دعجاء): أنا جائعة.

(نومان) وهو يبتسم ويضع يده على رأس (دعجاء):

لا تتأخر، واذهب إلى المنزل الآن ... وسنتحدث لاحقاً.

مضت أيام على تلك المحادثة، وتحولت الأيام إلى أسابيع قام (وصبان) خلالها بالعمل في أحد المزارع بحثاً عن قوت يومه، وكان يأخذ (دعجاء) معه إلى كل مكان يذهب إليه، ولم يكن يتواصل مع (نومان) إلا نادرًا في اجتماعات ليلية من وقت لآخر في منزله، وفي إحدى الليالي التي زار (نومان) فيها (وصبان) أخبره أن زيارة (آشور) لـ «هجر» قد



اقترب موعدها وطلب منه الاستعداد لمواجهته:

(وصبان): لدي شكٌّ في قدرتي على التغلب عليه.

(نومان): ماذا تقول؟ أنت من أعتى السحرة الذين أعرفهم... أهذا تواضعٌ أم خوفٌ؟

(وصبان) وهو يحمل (دعجاء) ويضعها في حجره:

لا هذا، ولا ذاك، ولكني أخشى إن أصابني مكروهٌ ستدفع (دعجاء) ثمن تهوري هذا... وهذا القلق سيشتت تركيزي عند مواجهته.

(نومان): ماذا تقصد؟

(وصبان): لا أريد أن أكون جاحدًا لمعروف إيوائك لي مع ابنتي، لذلك سأنفذ لك طلبك وأقتل (آشور) لكن المقابل الذي أريده ليس منصب النياية في العصبة...

(نومان): ماذا تريد إذاً؟

(وصبان): أن تسمح لي بالبقاء هنا والعيش بسلامٍ، لأنني قررت اعتزال مهنة السحر.

(نومان): ولكنك لا تجيد غيرها ... هل ستبقى أجيرًا مهانًا طيلة حياتك؟

(وصبان) وهو مبتسم: لم أرَ المهانة إلا من امتهان السحر، وحياتي القصيرة كأجير كانت أكرم أيام حياتي.

(نومان): اقتنع بكلامك قبل أن تحاول إقناع غيرك به.

(وصبان) وهو يبتسم: أنا مقتنع... بل متيقن مما أقول.

(نومان): ستعيش في فقر مدقع أنت وابنتك.

(وصبان): أنا راضٍ بهذا القدر.

سكت (نومان) وهو يحدق في (وصبان) ثم قال:

لك ذلك وسيكون هذا المنزل هو أجرك على تنفيذ هذه المهمة.

(وصبان): شكرًا ... أعدك بأنني لن أخذلك.

بعد عدة أيام سمع (وصبان) طرقاً متسارعاً على بابه في أول الصباح... فتح الباب ليجد (نومان)، وهو يلتقط أنفاسه وكأنه كان يجري بسرعة:

(نومان): (آشور) وصل مع رحلة الفجر إلى الساحل الشرقي ولم يصلنا علم بذلك إلا متأخرًا ... يجب أن تلحق به الآن وتعترضه في البستان الكبير خارج أسوار «هجر»!

(وصبان) بتوتر: وماذا عن (دعجاء) لا يمكنني تركها لوحدها.

(نومان): تصرف بسرعةٍ ليس أمامك متسعٌ من الوقت.

رحل بعدها (نومان) مسرعاً وترك (وصبان) في حيرة من أمره ...!

بعد تفكير لم يدم طويلاً قرر (وصبان) على مضض أخذ (دعجاء) معه وتوجه إلى منطقة البساتين الواقعة خارج حدود «هجر».

كانت البساتين منتشرة في ذلك الوقت بالقرب من سواحل «هجر» متفرقه بين أملاك خاصة لبعض التجار والمزارعين البسطاء، وبعضها لم يكن سوى مساحات خضراء متشعبة يغطيها النخيل وبعض العيون

الطبيعية في الغالب، أقرب وأكبر تلك البساتين كان يقع عند مشارف حدود «هجر» وكان يسمى:

بـ «البستان الكبير» وأغلب المسافرين المقتدرين كانوا يصلون الى هذا البستان بدواب يستأجرونها لهذا الغرض، والبعض الآخر يقطع المسافة سيراً على أقدامه والتي في العادة تستغرق يومًا إلى يومين من الترحال.

كان ذلك البستان وجهة المسافرين القادمين من الساحل الشرقي للراحة والتزود بالمؤن والماء، ومن خلاله يتوجّه معظم المسافرين إلى «هجر» والبعض الآخر يكمل طريقه إلى وجهات أخرى، صاحب هذا البستان كان رجلًا كريماً، ويساعد المحتاجين والمسافرين بجانب عرض بعض البضائع والمنتجات الخاصة بمزرعته عليهم، والتي في الغالب تنفذ لكثرة الإقبال.

لم يكن صاحب البستان يقاضي الناس على الماء، فقد جعله سبيلًا مفتوحاً أمامهم وكان بذلك يمارس عادة العرب في الكرم بمساعدة المسافرين وسقيهم وسقي دوابهم.

كان هذا البستان هو وجهة (وصبان) لأنه كان على يقينٍ بأن (آشور) سيمر من خلاله، لكنه أدرك مع اقترابه من ذلك البستان أن (نومان) لم يزوده بأيّة معلومات عن شكله ولم يعلم منه سوى أنه قادمٌ من بلاد «فارس» وأنه ساحرٌ مخضرم.

وصل (وصبان) إلى وجهته وجلس مع ابنته على الأرض يتفقد بنظره



المارة الذين اكتظ بهم المكان... اختار (وصبان) الجلوس بالقرب من البئر الذي جعله صاحب البستان سبيلاً للناس، لأنه كان على يقين أن (آشور) سيمر به عاجلًا أم آجلًا، كان المسافرون يتوافدون من أقطار متنوعة، أغلبهم من بلاد «السند» يتخللهم بعض العرب والفرس... أشباههم كانت قريبة، لكن ملابسهم هي التي كانت تميز بينهم، ظلّ (وصبان) يتمعن بالناس حتى وقعت عينه على رجل كان يرفع فتاة صغيرة في عمر ابنته (دعجاء) ليريها محتوى البئر والتي كانت تضحك بقوةٍ كلما رفعها الرجل وهو يمازحها وكأنه سيرميها داخله.

ظلّ (وصبان) يحدق بالرجل فترةً قصيرةً، حتى أدرك بفراسته التي عرف واشتهر بها أن ذلك الرجل هو (آشور) بالرغم من لبسه ملابس عربية، والتي افترض (وصبان) أنها بغرض التخفي، لكن ملامح الفارسية كانت متجلية عليه وعلى ابنته... نهض (وصبان) من مكانه وأمسك بيد (دعجاء) وسار خلف (آشور) بعدما تحرك مع ابنته مبتعدًا عن البئر، استمر في متابعته حتى بَدَأوا بالابتعاد عن قلب البستان الكبير، والاقتراب من مشارف الطريق المؤدية إلى «هجر» والتي كان يسلكها كل من كانت «هجر» مقصده ووجهته ... توقف (آشور) فجأة في منتصف الطريق، وبالرغم من أن (وصبان) كان حريصاً على أن يجعل بينه وبين (آشور) مسافة كافية كي لا يلمح وجوده، إلا أن (آشور) أدار نظره للخلف وبدأ يحدق في الأفق الذي كان (وصبان) متوارياً فيه خلف النخيل.

(عِمرة) وهي تجدل شعر (دعجاء) وتبتسم: هل كنتِ تكرهين زوجك إلى هذا الحد يا عمة؟

(دعجاء): لم أكره أحداً في حياتي كما كرهت ذلك اللعين؟

(عِمرة) باستغراب: لماذا تزوجته إذاً؟

(دعجاء): هل تريدين حقاً معرفة ذلك؟

(عِمرة) وهي تبتسم:

نعم فشعرك طويل وكثيف وسيستغرق وقتاً حتى أنتهي منه.

(دعجاء): سأحكي لكِ إذاً من البداية.. بداية حياتي مع أبي بعد خروجنا من «هجر» بسنوات.









# لبوة شبوة

(هنان) ... وهي تدفع آخر كومةٍ من الرمال على قبر (ربوح) في الصحراء:

لقد دفنت جميع أخواتي ولن يرتحنَ في قبورهن إلا إذا أخذ أحدٌ بثأرهن.

(أزرق): وكيف تنوين القيام بذلك؟

نهضت (هنان) من أمام قبر (ربوح) دون أن ترد على (أزرق)، بل ظلت تحدق في الأفق المظلم والذي بدأت عتمته بالانكسار مع لمعان النجوم وبريق القمر المكتمل، ومع أول رياح باردة داعبت وجهها المتورم، قالت وهي تفتح قبضتي يديها وتنظر اليهما:

خواتمهن هي آخر ذكرى لي منهن.

(أزرق) وقد استعاد بعض عافيته بعد لبسه الخاتم الأبيض الذي أعطته إياه هنان:

لم تجيبيني يا (هنان)؟

(هنان) دون أن تلتفت إلى (أزرق): ولم تكترث؟ ... لقد تخلصت من قيدك؟



(أزرق) باستغرابٍ: عن أي قيدٍ تتحدثين؟

(هنان) وهي تضع الخواتم في جيبها: ... (ضنة)

(أزرق) بغضب: (ضنة) لم تكن قيدًا يقيدني!

(هنان): لا يهم الآن لقد رحلت كما يرحل كل من يقترب منك .

(أزرق) بغضب: ماذا تقصدين؟!

(هنان) وهي تنظر إلى (أزرق) بهدوء:

أقصد أنني لم أرَ فأل شؤم أسوء منك في حياتي، فكل من يحتك بك ينتهي به المطاف إما بالموت، وإمّا بالضياع، لذا انصرف بلا عودةٍ يا ابن وندل.

(أزرق) بتعجبٍ: وثأرنا؟!

(هنان) وهي تدير ظهرها لـ (أزرق) وتتوجه نحو أحد الدواب المتبقية في الصحراء:

هذا ثأري لوحدي ولا علاقة لك به.

(أزرق) بصوتٍ مرتفعٍ: لقد عقدت عهدًا للسيدة (دعجاء) ولن أخلفه.

(هنان) وهي تركب الدابة:

عهدك انتهى بموتها وموت بناتها، وأنا أحررك من هذا العهد.

صمت (أزرق) وعلى وجهه ارتسمت معالم الذهول من حديث

(هنان)... وظل يحدق بها حتى ابتعدت عن ناظره، واختفت في أفق الصحراء على ظهر دابتها.

بعد أيام من المسير في الصحراء وصلت (هنان) المرهقة من عناء السفر مساءً إلى «اليمامة» وتوجهت بعد دخولها المدينة إلى منزلهم السابق وفور دخولها استوعبت أنها أصبحت الآن لوحدها، وأنها باتت في هذه الدنيا بلا سند، وأنها لن ترى عصبتها مرة أخرى.

غرقت عيناها بالدموع وأدركت أنها لن تستطيع البقاء في هذ المكان، وكل زاوية فيه تذكرها بأخواتها... جمعت (هنان) بعض المؤن والملابس وحملتها على دابتها وقررت الرحيل مع أول إشراقة لنور الصباح التالي، والمبيت ليلة واحدة فقط في المنزل، لأنها كانت متعبة من السفر.

استلقت (هنان) في الغرفة التي تعودت العصبة الاجتماع فيها، لأنها لم تقو على النوم في غرفة أخواتها أو في غرفة عمتها، هجر النوم مقلتيها تلك الليلة، وظلت تحدق بوجهها المتورم بسقف الغرفة بصمت...
بعد أقل من ساعةٍ تحدث معها صوتٌ:

«لقد نسيتِ شيئًا معي»

(هنان) وهي تنهض بهدوءٍ: ألم أخبرك بأن تتركني وشأني يا (أزرق)؟

(أزرق): لقد أتيت فقط لأعيد لكِ خاتمك الأبيض، فأنتِ بحاجته لاستعادة عافيتك.

رمى (أزرق) الخاتم الأبيض باتجاه (هنان)، لكنه لم يظهر لها أو يتشكل.

(هنان) وهي تلتقط الخاتم بيدها وتضعه في جيبها:

هل أصبحت تمارس الخجل الآن؟

(أزرق): لا تقلقي سأرحل الآن.

(هنان): انتظر.

(أزرق): ماذا تريدين؟

(هنان): كنت أفكر قبل أن تأتي وتزعجني.

(أزرق): تفكرين في ماذا؟

(هنان): في ثأرنا.

(أزرق): تقصدين ثأرك.

(هنان) وهي تبتسم: أعرف أنك أحمق، وستذهب خلف الفارسيات لوحدك.

(أزرق): ...

(هنان): بالرغم من أني لا أكترث إن قتلوك، وهم في الغالب سيفعلون ذلك بسهولة، لو واجهتهم لوحدك، إلا أنني ما زلت أحتاجك.

(أزرق) بنبرة مستهزئةٍ: ألا تخشين على نفسك من النحس الذي سيصيبك بسببي؟

(هنان) وهي تبتسم: اخرج كي أراك.

(أزرق): لماذا؟

(هنان): كي أتحدث معك، وأنا أنظر في عينيك.

(أزرق): نظرات اللوم أقسى من كلمات العتاب.

(هنان) وهي تبتسم: اخرج ولا تقلق.

خرج (أزرق) وتشكل أمام (هنان) وجلس أمامها بصمت.

(هنان) وهي تحدق بـ (أزرق): سأكوّن عصبة.

(أزرق): عُصبة؟

(هنان): نعم عصبة ... عصبة من الشياطين.

(أزرق): لا يوجد شيء اسمه عصبة شياطين، العصبة للسحرة والساحرات فقط

(هنان) وهي تدير نظرها إلى النافذة، وكأنها لم تسمع ما قاله (أزرق).

وأنت يا بن وندل... ستساعني في تكوينها.

(أزرق) وهو يضع يده على جبين (هنان): أنتِ تهذين وحرارتك مرتفعة.

(هنان) بهدوء: ستساعدني في تكوينها يا (أزرق)

(أزرق) وهو يجاريها في الكلام: حسناً، سنفكر في ما حدث غدًا.

(هنان): التفكير لا يغير الماضي لكنه يغير المستقبل ... لذلك لا تهدر وقتك في التفكير فيما مضى كثيرًا.

(أزرق) وهو يحاول مساعدة هنان في الاستلقاء على جنبها، ويمد يده في جيبها: نامي الآن ولا تفكري بالأمر.

(هنان): ماذا تفعل لماذا تمد يدك في جيبي ...؟

(أزرق) وهو يخرج الخاتم الأبيض: البسي الخاتم كي تتعافي بسرعة.

(هنان) وهي مستلقية على جنبها وتحدق في الجدار:

لا تتركني الليلة يا (أزرق)

(أزرق) وهو يستلقي بجانب (هنان) ويعانقها:

كنت بجانبك طيلة الطريق، وسأكون دائمًا بجانبك.

أغمضت (هنان) عينيها، وغطت في نومٍ عميقٍ.

استيقظت (هنان) في اليوم التالي، وقد بدأت بالتعافي والأورام والجروح التي غطت جسدها بدأت بالالتئام... وجدت نفسها لوحدها ولم تجد (أزرق) بجانبها وبدأت تتساءل عمّا إذا كانت توهمت ما حدث بالأمس بسبب الحمى، لكنْ تساؤلها انتهى بمجرد سماعها (أزرق) وهو يقول:

«تبدين اليوم بصحةٍ أفضل ..»

خرج (أزرق) متشكلًا بعد هذه الكلمات أمام (هنان) التي قالت:

ما الذي حدث لي بالأمس؟

(أزرق) وهو يضع كفه على جبين (هنان): لقد كنت مصابة بالحمى، وكنت تهذين

(هنان) وهي تبعد يد (أزرق) عن جبينها:

إذا كنت تقصد ما قلته عن تكوين عصبة، فأنا لم أكن أهذي.

(أزرق) بتعجب: لا بد أنكِ كنتِ تهذين فكلامك هذا جنون!

(هنان) وهي تقف وتطل من النافذة وتراقب المارة في الطريق:

الجنون هو كل يوم يمضي، وساحرات فارس على قيد الحياة.

(أزرق): يمكنك الثأر لأخواتك، لكن ليس بهذه الطريقة.

(هنان) وهي تلتفت إلى (أزرق) بغضبٍ:

لا شأن لك بذلك، فقط ساعدني دون جدالٍ!

(أزرق): وماذا تريدين مني الآن؟

(هنان) بصوت مرتفع: غير وجهك!

(أزرق) بتعجب: ... ماذا؟ ... وجهي؟!

(هنان) بصوت مرتفع: ألم تسمعني ... غير وجهك الآن؟!

(أزرق) بغضب واستغراب: ماذا تقصدين بأن أغير وجهي؟!

(هنان) وهي ما تزال تتحدث بعصبية وغضب:

أنتَ من الجن أليس كذلك؟ ... لست ملزمة برؤية وجهك هذا الذي يذكرني بماضٍ كئيب!

(أزرق): لماذا تتحدثين معي بهذه الطريقة؟

(هنان): نفذ ما أمرتك به... وجهك ليس جميلًا إلى هذه الدرجة كي تجادلني تشكل بشكل آخر.

(أزرق) ونظرات التعجب تملآ وجهه: حسناً يا (هنان) لكِ ما تريدين.

انزوى (أزرق) في إحدى زاويا الغرفة، ثم عاد متشكلًا بهيئة بشرية كاملة دون الجلد الأزرق، أو الضخامة التي كان عليها... كان مثل أي رجل عادي، وكان بلباس أبيض وشعر أسود، وقامة أطول من (هنان) بقليل.

(هنان): هذا أفضل ... وليكن هذا شكلك دائماً.

(أزرق) بغضبٍ: أنا لست عبدًا عندك!

(هنان) وهي تدير ظهرها لـ (أزرق):

أنا جائعة، لكن يجب أن نجد لنا مكانًا غير هذا المنزل؟

(أزرق) ينظر لـ (هنان) بتعجبٍ ...!

(هنان) وهي تطل من النافذة وتحدق في الناس:

سأحتاج وقتاً كي أكوِّن هذهِ العصبة، وسأحتاج مالاً أيضًا.

(أزرق): كلاهما متوفرٌ.

(هنان) وهي تلتفت إلى (أزرق): الوقت أملكه، لكن المال من أين؟

(أزرق): هل نسيتِ الغنائم التي كنتم تجمعونها من قطع الطريق؟

(هنان): ما بها؟

(أزرق): لقد كانت السيدة (دعجاء) تطلب مني أن أخبئها في مكان أمين ريثما تصل للقدر الذي يكفيها لتأسيس مملكتها.

(هنان) بشيء من الحماس: أين هي تلك الأموال؟

(أزرق) مبتسماً: في كهف (الغار) في «هجر»

(هنان): خذني إلى هناك بسرعة.

(أزرق): وماذا عن الـ «يمامة»؟

(هنان): سنعود إليها لاحقاً المهم الآن هو أن أضع يدي على تلك الأموال.

(أزرق): كما تشائين.

حمل (أزرق) (هنان) وتوجه بها مسرعًا إلى «هجر».

وصل الاثنان في وقت قصير وحط (أزرق) بـ (هنان) أمام فوهة الكهف في جبل (الغار) لكنها أدارت ظهرها للكهف، وبدأت تحدق في بساتين النخيل التي امتدتْ على مد بصرها وقالت:

هل هذه أرض النخيل التي كانت العمة تتحدث عنها؟

(أزرق) وهو متشكلٌ بهيئةٍ بشريةٍ: نعم ... «هجر».

(هنان) وهي مسحورة بالمنظر: إنها جميلة.

(أزرق): ألا ترغبين بدخول الكهف لرؤية الغنائم؟

(هنان) وهي تتقدم بضع خطوات إلى الأمام، وعينها ما زالت على بساتين النخيل:

وهل هناك غنيمة أكبر من الراحة التي أشعر بها الآن، وانا أحدق بهذه الجنة؟

(أزرق) وهو يبتسم ويضع يده على كتف (هنان):

ما رأيك بالانتقال الى هنا؟

(هنان) وهي تلتفت مبتسمة نحو (أزرق): هل يمكننا ذلك؟

(أزرق) وهو يبادلها الابتسام: يمكننا فعل أي شيءٍ تريدينه.

(هنان) تبتسم وتصمت وتعيد نظرها إلى الأفق و(أزرق) يشاركها النظر.

خلال الأيام التي تَلت ذلك استخدم (أزرق) تشكله البشري، وأموال الغنائم التي جمعتها (دعجاء) من قطع الطريق مع عصبتها لشراء منزلٍ كبيرٍ في «هجر»، وقدم نفسه و(هنان) كأخوين قادمين من الجنوب للتجارة والاستقرار في الواحة، لذا لم يثيروا أي شبهات، بل رحب بهم أهل المنطقة واحتووهم بسرعةٍ.

كانت مظاهر الثراء في تلك الفترة واضحة عليهما فـ (هنان) لم تدخر ترفاً إلا ومارسته، ولا لذة إلا وجربتها وكان (أزرق) سعيدًا بذلك، لأنه لم يحب حالتها الكئيبة في السابق، وهي مشغولة بفكرة الانتقام والثأر... بعد مضي بضعة أشهر من إقامة (أزرق) و(هنان) في «هجر» ازدهرت تجارتهما التي لم يؤسّساها إلا للتخفي أمام الناس، وشكل ذلك مفاجأة لـ (هنان) والتي كانت بارعة في التجارة والتعامل مع التجار بشكل ملفت للنظر... نمت ثروتهم بشكل كبير لدرجة أنهم تخطوا كنز (دعجاء) بأضعاف.





وجّهت (هنان) بعد تضخم ثروتها (أزرق) لابتياع المزارع والبساتين بأكبر قدر يستطيع، مما أثار تعجب (أزرق) في البداية، لكنه لم يجادلها لأنه كان مسرورًا بانشغالها بالتجارة... أصبحت (هنان) من كبار التجار في «هجر» مما دفع الوالي لدعوتها يوماً لقصره بواسطة رسول مرسل... توترت (هنان) وبدا عليها القلق فسألها (أزرق) عندما رأى توترها:

ما بك لِمَ أنتِ متوترة من دعوة الوالي لك؟

(هنان) بتوتر: لماذا يستدعيني الوالي أنا لم أفعل شيئاً؟

(أزرق) وهو يضحك: ألا تدركين من أنتِ لآن؟

(هنان): ماذا تقصد؟

(أزرق): أنتِ من أكبر تجار هذه المدينة، وهذا أمر طبيعي.

(هنان) والتوتر مازال ظاهرًا على وجهها:

إذا كان الأمر طبيعياً، ما الذي اقترفته؟ ... هل تظن أننا كشفنا؟

(أزرق): وما الجريمة التي اقترفناها كي نكشف؟ ... تمالكي نفسك ولا تذهبي إليه بهذا الشكل، وإلا سوف يشك بأمرك.

(هنان) بقلق: كلامك هذا يزيد من توتري

(أزرق): لا تقلقي سأكون معك.

(هنان): لا ... سأذهب لوحدي.

(أزرق): لماذا؟

(هنان): ألم تقل إنه لا يوجد سبب للقلق؟

(أزرق): نعم ... لكن.

(هنان): إذاً سأذهب وحدي، أما أنت فاريدك أن تقوم بأمر ما خلال زيارتي لقصر الوالي.

(أزرق): ماذا يا (هنان)؟

(هنان): اذهب إلى «فارس»

(أزرق) بتعجبٍ: ماذا؟! ... لماذا؟!

(هنان): هل تظن بأني نسيت ثأري؟

(أزرق) بوجه محبط .

(هنان): اذهب ولا تعد إلا عندما تحدد مكان جميع الساحرات اللاتي غدرن بنا ذلك اليوم المشؤوم .

(أزرق): ...

(هنان) بغضب: ما بك؟!

(أزرق): لا شيء سأرحل الآن.

رحل (أزرق) وغاب لمدة يومٍ تلتها أيامٌ تحولت لأسابيع ثم أشهر، وخلال تلك الفترة التقت (هنان) بالوالي الذي اتضح أنه معجبٌ بإدارتها لتجارتها في «هجر» وكان يرغب في منصافتها تجارتها، وأموالها تحت ذريعة أنها مدينته، وأن له الحق في تلك الأموال بحكم الوصاية فقط ... لم تكترث (هنان) للخسارة التي كانت ستخسرها، لأن

التجارة لم تكن هدفها من الأساس، وحتى وبعد مناصفة الوالي لها فإن ما تبقى من ثروتها كان كبيرًا جدًا.

أمر الوالي (هنان) بأن تشرف على التجارة في «هجر» بشكل عام، وتديرها حسب ماتراه، وبالفعل قامت بذلك وحولت «هجر» إلى قبلة للتجار من الشرق والغرب.

نمت ثروة (هنان) أكثر، وزاد انشغالها بها، وكثر خطابها الذين كانت ترفضهم دائمًا لأن تفكيرها كان منكبًا على تجارتها صباحًا، وعلى التفكير في ثأرها ومصير (أزرق) مساءً... خطر ببال (هنان) ذات ليلة فكرة لبس خاتم (ضنة) أو الخاتم الفضي ذي الفص الأسود وسؤال الغراب عن مكان (أزرق)... وفعلًا وقبل خلودها للنوم، لبست الخاتم فدخل عليها الغراب من إحدى النوافذ وحط على كتفها وبدأ بالنعيق:

(هنان): لماذا لم يعد (أزرق) حتى الآن؟

حلق الغراب الأسود خارجاً من نفس النافذة التي دخل منها، وبقيت (هنان) تنتظر عودته بخبر عن (أزرق)... أطال الغراب المغيب فغلبها النعاس ونامت، استيقظت (هنان) قبل منتصف الليل مفزوعة على صوت الغراب وهو ينعق:

«مربوطٌ .. مربوطٌ..»



نهضت (هنان) من فراشها، وبدأت تصرخ في الغراب بقوةٍ وتقول:

ماذا تقصد أيها الأحمق؟!

لم يرد الغراب وحلق بعيدًا من خلال النافذة .

رمت (هنان) بغضب الخاتم بقوة ليصطدم بالجدار ويسقط فصه الأسود على الأرض. نهضت من فراشها وأمسكت بالخاتم وحاولت إعادة الفص إلى مكانه لكنها لم تنجح. مسحت عليه مرة أخرى لكن الغراب لم يعد فبقيت تفكر بتوترٍ وقلقٍ ما تبقى من الليل في معني كلام الغراب، لكنها لم تزدد إلا حيرة.

لم تستطع (هنان) النوم تلك الليلة، وحتى في الصباح لم تذهب كما اعتادت لتفقد تجارتها، و(بازارها) الكبير الذي افتتحته مؤخراً باسم الوالي، كان بالها مشغولاً على (أزرق)، وكانت تريد معرفة مصيره، وخلال تفكيرها طُرِقَ باب قصرها فتوجه أحد الخدم لفتح الباب... وبعد مدة قصيرة استأذن الخادم بالدخول عليها وقال:

هناك امرأة تطلب الإذن بالدخول عليك ياسيدتي .

(هنان): إذا كانت تحتاج المال فأعطها واصرفها.

(الخادم): لا ياسيدتي فمعالم الفقر غير متجلية عليها.

(هنان): ماذا إذاً؟

(الخادم): لا أعرف، لكنها تبدو غريبة... ومن خارج «هجر»

(هنان): اسمح لها بالدخول.

توجهت (هنان) إلى مكان استقبال الضيوف، وجلست في انتظار تلك الزائرة!

بعد قليلٍ سمعت صوت الخادم وهو يقول:

«تفضلي السيدة (هنان) بانتظارك ..»

دخلت المرأة على (هنان) وبمجرد أن رأتها وقفت مذهولة وقالت بنبرة يخالطها التوتر... والاستغراب:

ربوح؟!

***






وصلت (أفسار) وعصبتها عصرًا إلى الساحل الشرقي من «جزيرة العرب» للبحث عن سفينة تقلهم إلى بلاد «فارس» بعدما انتهت من تطبيب بعض جراح عصبتها بطلاسم قرأتها عليهن، خلال الطريق وخلال انتظارها معهن عند الساحل قالت (مهرناز): عجيبٌ أمرك ياخالة ..

(أفسار): ما بك يا حافية؟

(مهرناز): لماذا لا ننتقل إلى «بستك» بطلاسم الانتقال، فلم يعد هناك ما نخشاه .. فلِـــمَ علينا الوقوف مع عامة الناس لننتظر رحلة شاقة ومرهقة في عرض البحر؟

(أفسار): طلاسم الانتقال التي تعلمتموها لن تنقلكم عبر البحر.

(مهرناز): لننتقل شمالًا ثم شرقًا نحو البر، ثم جنوبًا نحو «بستك»

(نازانين): طلاسم الانتقال التي علمتنا إياها الخالة، لا تنقلنا إلى مكان لم نزره من قبل.



(مهرناز) بتعجب: كم نوعاً من طلاسم الانتقال يوجد؟!

(أفسار): الكثير.

(أرتميس): لكنك نقلتنا ياخالة بين مدنٍ فارسيةٍ لم نزرها من قبل في السابق.

(أفسار): خاتم الانتقال خواصه تختلف.

(مهرناز): معنى ذلك أنه يمكنك نقلنا إلى بستك بواسطته.

(أفسار): نعم.

(مهرناز): لِـمَ لا تفعلي ذلك إذاً وتريحينا من هذه الرحلة الشاقة؟

(أفسار) وهي مبتسمة وتوجه كلامها إلى بقية فتياتها اللواتي افترشن الأرض:

ما رأيكن أنتنّ فيما تقوله (مهرناز)؟

(جريرة) وهي تبعد بيدها بشكلٍ سريعٍ ومتكررٍ بعض الذباب الصغير الذي بدأ يزعجها: أتفق معها ياخالة فحرارة هذه البلاد لا تطاق!

(أفسار): وأنتِ يا (أنهار) مارأيك؟

(أنهار): كما تشائين ياخالة.

(أرتميس) بعبوسٍ: انقلينا إلى هناك بسرعة ياخالة، فالمكان هنا متعبٌ ولايحتمل!

(نازانين): الخالة تريد صقلكنَّ.

(مهرناز) باستغراب: صقلنا؟

(أفسار): نعم ... فأنتنّ مدللات كثيرًا.

(جريرة) بتعجبٍ: مدللاتٌ؟ كل هذا التعذيب وتسميننا مدللاتٍ؟!

(أنهار): ...

(أفسار) وهي تحدق بالبحر: نعم مدللات ... لم تعجبني طريقة قتالكنّ أمام عصبة (دعجاء)!

(أرتميس): لكننا انتصرنا ياخالة.

(أفسار) بغضبٍ: هل تسمين تلك الجروح الغائرة، وتلك العظام المحطمة داخل أجسادكن في مواجهة غير متكافئةٍ في العدد نصرًا؟!

سكتت العصبة بعدما أنزلت بعضهن رؤوسهن إلى الأرض .

(أفسار) بصوتٍ مرتفعٍ قليلًا: لولا استفرادنا بتلك الفتاة التي كانت مع الجني الأزرق وقتلها في البداية، واندفاع تلك الحمقاء ذات الشعر الأحمر علي في بادئ الأمر وإطاحتي بها مبكراً، لكانت الكفة بيننا وبينهن متوازية، وكنا سنخسر بالتأكيد! ألا تدركنّ أنكنّ واجهتنّ ثلاثاً منهنّ فقط؟! .. كنتن خمساً، ومع ذلك كِدن أن يفتكنَ بكنّ!

(أرتميس): لكن يا خالة ...

(أفسار) بغضب: اسكتي يا مقرونة ولا تفكري بالدفاع عنهن، وعن أدائهنّ الضعيف! لقد انتصرتن لأنكن تكالبتنّ عليهن فقط ... لو كانت المواجهة بينكنّ نداً لند لافترسنكنّ في لحظات!

(مهرناز) بغضب خفيف: وما علاقة ذلك ياخالة بركوبنا الفلك في عرض البحر؟!

(أفسار) وهي تعيد نظرها نحو البحر:

في البحر لن تستطعن استخدام طلسم الانتقال للهروب من المشقة ... يجب أن تجربن قسوة السفر كي يشتد ساعدكن لن أدللكنّ كالسابق، فذلك كاد أن يلحق بنا هزيمة نكراء.

(جريرة): الهدف من عصبتنا انتهى ياخالة ... ماذا بقي لنا كي نستعد له؟

(أفسار) وهي تأخذ نفسًا عميقاً وتزفر وتقول: ما زال أمامنا الكثير .

(مهرناز) باستغرابٍ:

لماذا لن نستطيع استخدام طلسم الانتقال في البحر، ما زلت لا أفهم السبب ياعمّة؟

(أفسار): أخبرتك أن طلاسم الانتقال أنواع، وطلاسم الانتقال من حيث الناقل نوعان ... نوع يعتمد على الشياطين، وهو لا يعمل إلا عندما يكون قارؤه على الأرض اليابسة، وما تعلمتموه أحد أنواعه، والنوع الآخر يعتمد على الجن وهذا قليلٌ من يتقنه، ويمكن لمستخدمه الانتقال من أي مكانٍ إلى أي مكان يشاء.

(جريرة): وهل تتقـنين هذا النوع ياخالة؟

(أفسار): لا يهم ... المهم أن تتذوقن شيئًا من المعاناة كي يشتد بأسكن.

خلال حديث (أفسار) مع عصبتها رست سفينة معتدلة الحجم عند الشاطئ ونزل منها بعض المسافرين القادمين من بلاد «فارس» فوجهت (أفسار) بناتها للحاق بها نحو تلك السفينة للتحدث مع قبطانها:

(أفسار): طبت مساءً أيها القبطان.

(القبطان) وهو يربط سفينته في المرسى: وطاب مساؤك يا سيدتي.

(أفسار): أين هي وجهتك التالية؟

(القبطان): سير رحلاتي لا يتغير بين «فارس» و«عربستان» ذهابًا وعودة.

(أفسار): ومتى ستكون رحلتك القادمة نحو «فارس»؟

(القبطان): عندما يكتمل العدد ... سفينتي متواضعة الحجم ولا تقل أكثر من خمسة عشر راكبًا بمن فيهم أنا.

(أفسار): نريد أن نحجز مكانًا في رحلتك القادمة.

(القبطان): كم عددكن؟

(أفسار): ست بنات.

(القبطان) وهو ينظر إلى بنات (أفسار) الواقفات خلفها: بل سبع!

(أفسار) وهي تلتفت نحو بناتها باستغرابٍ: وأين السابعة؟

(القبطان) وهو يشير بأصبعة نحو (جريرة):

تلك الفتاة تعادل شخصاً ونصف الشخص في وزنها، لذا سأحسبها بحساب شخصين!

بدأت الفتيات بالضحك، بين ضحكات مسموعة ومكتومة و(جريرة) بينهن متجهمة تنظر إلى القبطان بحقد .

(أفسار) وهي تبتسم: حسنًا أيها القبطان موافقة.

(القبطان): قيمة الرحلة تدفع مقدمًا، ولا يمكنك استرجاع أموالك في حالة الغرق أو الموت على ظهر السفينة، أو عدولك عن السفر لأي سبب.

(أفسار): لا بأس.

(القبطان): أنا القائد على ظهر السفينة حتى نصل، وتعليماتي أوامر غير قابلةٍ للنقاش، وقيمة الرحلة ستشمل الماء والطعام، والذي سيكون وجبة واحدةً فقط في اليوم .

(مهرناز): أهذه رحلة أم سجن؟

(القبطان) وهو يترجل من سفينته: لستن مجبراتٍ على ذلك.

(أفسار): لا تتدخلي يا حافية ... موافقون أيها القبطان.

دفعت (أفسار) قيمة سبعة ركابٍ للقبطان ثم قالت:

متى موعد الرحيل؟

(القبطان): وقتما يكتمل العدد.

(أفسار): ومتى يكون ذلك؟

(القبطان) وهو يشد وثاق العقدة التي ربطها لتثبيت السفينة:

يوم ... يومان أو حتى أسبوع .. لن أبرح الميناء قبل اكتمال عدد

الركاب، وهو خمسة عشر راكباً، ونحن الآن ثمانية وبقي سبعة ركاب.

(أفسار): وكيف سنعرف باكتمال العدد؟

(القبطان): مع إشراقة كل صباح يجب أن تأتي إحداكن للتأكد.

(أفسار): لابأس ... شكراً أيها القبطان.

رحل القبطان بعد هذا الحوار متوجهاً إلى سوق الميناء كي يتزود بالمؤن التي يحتاجها في رحلته القادمة وترك (أفسار) وبناتها يتحدثن فيما بينهن:

(جريرة): أنا لست ممتلئة إلى هذا الحد كي يحاسبني بأجرة شخصين!

(أرتميس) وهي تبتسم: لا عليك فهو يريد أن يزيد من أرباحه فقط .

(مهرناز) وهي تضحك: أتمنى ألاّ تغرق السفينة بسببك!

(جريرة) بغضبٍ: اخرسي!

(أنهار) تقف بينهن صامتة وتبتسم.

(نازنين) موجهة كلامها إلى أفسار:

ما العمل الآن ياخالة، لايمكننا الجلوس هنا حتى يكتمل العدد، فقد يستغرق الأمر أياماً؟

(أفسار): لدي الرغبة في القيام بشيءٍ، لكنني لا أعرف اذا كان الوقت سيسعفني.

(نازنين): ما هو ياخالة؟

(أفسار): زيارة قبر أبي.

(أرتميس): هل قبر الخال (آشور) هنا؟

(أفسار) وهي تزفر بغصة: لا بد أنه دفن هنا فجثمانه لم يعد معي.

(مهرناز): وكيف ستجدينه؟

(أفسار): لا أعلم ... كل ما أعرفه أن آخر مرة رأيته فيها، كان عند مشارف البستان الكبير خارج «هجر»

(أرتميس): لَمَ لا نذهب إذاً ونسأل هناك؟

(جريرة): وماذا عن السفينة التي ستقلنا إلى «فارس» قد يكتمل العدد ونحن بعيدون عنها، ويرحل ذلك القبطان من دوننا؟

(أرتميس): هل أنتِ حمقاء؟ يمكن للخالة أن تنقلنا بسرعةٍ كل يومٍ للتأكد.

(جريرة): صحيح.

(أفسار): لا ... سأذهب لوحدي.

(أرتميس): والرحلة ياخالة؟

(أفسار): سآخذ (أنهار) معي فقط، وهي التي ستعود كل يوم للتأكد منكن عن أخبار الرحلة.

(أنهار) بتعجب: ...

(جريرة): لِمَ (أنهار) بالذات؟

(نازانين): لأنها الوحيدة بيننا التي تجيد لغة أهل «عربستان» بالإضافة إلى الخالة.

(أنهار) ورأسها للأرض: لا أجيدها كالخالة.

(أفسار): ستأتين معي على أيّة حال.

(أنهار): حاضر ياخالة.

(جريرة): وماذا سنفعل نحن في هذا المكان الخالي من الناس، والممتلئ بأصغر أنواع الذباب الذي رأيته في حياتي؟

(أفسار): هذا شأنكن أنتن، ولا تدخلن في مشاكل مع الناس هنا، اندمجن ولا تثرن الانتباه إليكن، ولاتستخدمن قدراتكن في السحر هنا أبدًا.

(مهرناز): لماذا ياخالة؟

(أفسار): هذا سوف يثير الشكوك حولكن، ونحن في غنى عن ذلك.

(مهرناز): حاضر.

(أفسار): هيا يا هجينة... لنسير حتى نتوارى عن الأنظار، ثم لنتوجه إلى البستان الكبير.

رحلت (أفسار) مع (أنهار) مبتعدة عن بقية الفتيات حتى اختفين في الأفق.

(نازنين): أنا سأذهب إلى السوق بحثاً عن بعض الطعام والماء، لا تتحركن من هنا.

توجهت (نازنين) إلى السوق القريب من الميناء.

(جريرة): ما العمل الآن؟

(مهرناز) وهي تجلس على الأرض: ننتظر على ما أظن.

(أرتميس) وهي تجلس بجانب (مهرناز): ننتظر ماذا؟

(مهرناز): لا أعرف ... لننتظر فقط ونحدق بهذا البحر الجميل، فأنا لم ارَ البحر من قبل في حياتي إلا مرةً واحدةً عندما ذهبنا لتجنيد (أنهار) من «ديلم».

(جريرة) وهي تجلس بجانبهن وتنظر إلى البحر: وأنا كذلك.

(أرتميس): وأنا أيضًا.

(مهرناز): إذاً فامعنّ النظر به، لأننا عندما نعود إلى «بستك» قد لا نراه مرة أخرى... جلست الفتيات أمام البحر يحدقن بغروب الشمس بصمتٍ ..

كان الميناء شبه خالٍ من الناس ولا يكتظ بهم، إلا مع وصول السفن التي تقل الركاب والبضائع لفترةٍ وجيزةٍ، وما يلبث أن يعود لهدوئه الموحش عدا بعض الخيام البسيطة المترامية على الساحل، وبعض التجار البسطاء الذين يعرضون الماء والطعام والأدوية على المسافرين الذين وصلوا للتو من سفرهم.

كان هناك سوق كبير نسبيًا على بعد يسير من الميناء، وكان يسمى بسوق الميناء، لكن أهل الجزيرة كانوا يسمونه بسوق (الخاوي)... بقيت الفتيات في صمت يحدقن في البحر، ويداعبن بأيديهن الرمال الدافئة



تحتهن، حتى خرجت (مهرناز) عن صمتها وقالت لـ (جريرة):

مابك؟!

(جريرة): لاشيء ... ما بكِ أنتِ لتسأليني هذا السؤال؟

(مهرناز): أ لا ترين ما تفعلين؟

(أرتميس) باستغرابٍ: ما بك يا (مهرناز) ما بها (جريرة)؟

(جريرة) بعصبية: هل رأيت يا (أرتميس) أنها هي من يفتعل المشاكل معي، فأنا لم أحدثها ومع ذلك تناكفني.

(مهرناز): أنا لا أتحرش بك انظري إلى خصرك!

وجهت (مهرناز) و(أرتميس) أنظارهن إلى خصر (جريرة) والذي كان يهتز بخفة وبهدوء وكأنه يرقص على نغم معين.

(أرتميس) وهي تضحك:

مابك لماذا تهزين خصرك هكذا... هل اشتقتِ لأيامك في الماخور؟

(جريرة) وهي تتوقف غن هز خصرها:

اخرسن! كل هذا بسبب ذلك اللحن اللعين.

(مهرناز): أي لحن؟

(جريرة) وهي تلتفت خلفها: أ لا تسمعينه؟

(مهرناز) باستغراب: لا .. لا أسمع شيئًا .. هل تسمعين شيئًا أنتِ يا (أرتميس)؟

(أرتميس) وهي مبتسمة: لا ... يبدو أن (جريرة) تهذي من الحر أو أنها بدأت تطرب لطنين الذباب من حولها.

ضحكت (مهرناز) بقوة وتبعتها (أرتميس) في ضحكها حتى صرخت فيهن (جريرة) وقالت:

اخرسن... و... أنصتن...!

صمتت الثلاثة بتركيز... وكانت ( مهرناز ) تضع يدها على فمها لتكظم ضحكاتها، لكنها رفعت يدها عن فمها بعد قليل بتعجب وقالت:

أسمعه ... عزفٌ جميلٌ.

(أرتميس): نعم ... عزف على آلة وترية.

(جريرة): ألم أخبركن ياساقطات؟

(مهرناز): اسكتي ودعينا نسمع.

(أرتميس): العزف جميلٌ وساحرٌ.

(جريرة) وهي تهز خصرها بخفةٍ: لدي رغبة في الرقص.

(مهرناز) وهي تبتسم: الخالة حذرتنا من الفضائح، ورقصك هنا أكبر فضيحة

(أرتميس) تضحك بصوت منخفض و(جريرة) تقف وتتجهم ..

(مهرناز) وهي تضحك: إلى أين يا راقصة؟

(جريرة) بغضب: سأبحث عن مصدر الصوت!

(أرتميس) وهي تشد رداء (جريرة) لتجلسها:

كفي عن هذا الجنون (نازانين) أمرتنا بالبقاء هنا، وألاّ نتحرك حتى تعود من السوق!

(جريرة) وهي تتفلت وتشد لباسها من قبضة (أرتميس) وتسير مبتعدةً عن الفتيات:

افعلن ما تشأن! أما أنا فسأبحث عن مصدر الصوت.

(أرتميس) وهي تنظر إلى (مهرناز) بتعجبٍ: ما بها تلك المجنونة؟

(مهرناز) وهي تبتسم وتنظر إلى (جريرة) وهي تبتعد عنهم:

منذ أول يوم عرفتها فيه، وأنا أعرف أن قلبها معلق بالطرب، لكن لم أعرف إلى أي حد حتى اليوم.

(أرتميس) وهي تنظر إلى (جريرة) المبتعدة: هل نلحق بها؟

(مهرناز) وهي تنهض:

أنا سألحق بها، أما أنت، فابقي هنا كي لا تقلق علينا (نازنين) عندما تعود

(أرتميس) وهي تقبض على حفنةٍ من الرمال وتلعب بها:

حاضر ... لكن انتبهي إلى نفسك، وأعيدي تلك المجنونة بأسرع وقت.

(مهرناز) وهي تبتعد: لا تقلقي لن نتأخر.

تتبعت (مهرناز) أختها (جريرة) بالسير في الاتجاه الذي سارت فيه،

وما هي إلا دقائق حتى رأتها واقفة عند إحدى الخيام، أمام صبي لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره يعزف على آلة وترية، وهو جالس على الأرض أمام تلك الخيمة و(جريرة) أمامه مسحورة بعزفه تحرك خصرها يميناً وشمالًا بخفة على تلك الألحان.

دنت (مهرناز) من أختها، ووقفت بجانبها وقالت: عزفه جميلٌ ..

(جريرة) وعينها ما زالت على الصبي: جدًا .

(مهرناز) وهي تبتسم وتضع يدها على كتف (جريرة):

وهل سنقف أمامه طيلة اليوم؟

(جريرة) وعينها ما زالت على الصبي: انتظري قليلًا... أرجوك.

(مهرناز) وهي تبتسم: حسنًا سنبقى قليلًا.

بقيت الاثنتان تستمعان لعزف الصبي على آلته الوترية حتى توقف، وهمَّ بالنهوض فنسيت (جريرة) نفسها وقالت له بالفارسية: «عزفك جميلٌ جدًا ..»

نظر الصبي إليها باستغراب ... حينها أدركت أنه لا يجيد لغتها، فقامت ببعض الإشارات التي توحي بإعجابها بعزفه... فتبسم الصبي ودخل الخيمة.

قالت (مهرناز) وهي تبتسم لـ (جريرة) التي كانت تحدق بفتحة الخيمة:

لم أركِ من قبل في مثل هذه الحالة.

(جريرة) وهي تلتفت نحوها بغضب: أيّة حالةٍ؟!

(مهرناز) وهي تقلد حركات (جريرة) التي عبرت بها للصبي عن إعجابها بعزفه: حالة الغباء التي اعترتك منذ قليل!

(جريرة) بغضبٍ: لماذا تبعتني؟!

(مهرناز) وهي تبتسم: لأتاكد من أنكِ لن تقومي بشيء أحمق، لكن فات الأوان على ذلك ... هيا لنعود.

(جريرة) وهي تجلس أمام الخيمة: عودي أنتِ، لن أعود الآن.

(مهرناز) بغضب: هل جننتِ؟! ... هيا لنعود قبل أن نثير الشبهات حولنا، لقد انتهى الصبي من عزفه.

(جريرة) وهي سارحه بفتحة الخيمة:

سيعود للعزف مرةً أخرى وسأكون بانتظاره.

(مهرناز): الوقت ليلًا... والمكان قد يكون خطرًا في هذا الوقت!

(جريرة) تحدق بالخيمة بصمت ..

(مهرناز) بتعجب: ما بك يا (جريرة)؟

لم ترد (جريرة) على (مهرناز) وظلت تحدق بفتحة الخيمة.

عادت (مهرناز) إلى الشاطئ لتجد (نازانين) و(أرتميس) تتناولان الطعام الذي أحضرته (نازانين) من السوق، وعندما رأتاها... قالت (أرتميس):

أين (جريرة)؟




(مهرناز) وهي تجلس بجانبها وتمد يدها للطعام: لا أعرف ماذا أقول..

(نازنين) وهي تبلع لقمة على عجالة:

ما بك؟! هل حدث لها مكروهٌ؟

حكت (مهرناز) ما حدث لأخواتها فنهضت (نازنين) وقالت:

يجب أن نعيدها إلى الشاطيء قبل حلول الظلام.

(مهرناز): لقد حاولت، لكنها تمانع بشدةٍ غريبةٍ.

(أرتميس) وهي تنهض: لن تستطيع مقاومتنا نحن الثلاث.

(مهرناز): اذهبي (نازانين) معها وأحضراها... أنا سأكمل طعامي.

رحلت الاثنتان وغابتا لفترة... انتهت خلالها (مهرناز) من طعامها وغفت على رمال الشاطئ... استيقظت أول الصباح على صوت (أنهار) وهي توقظها وتقول:

أين البقية؟ ... لمَ أنتِ هنا لوحدك؟

(مهرناز) وهي تدعك النعاس من عينيها: ألم تعودا بعد؟

(أنهار) باستغراب: تعودان من أين؟ أين ذهبتا؟

(مهرناز) وهي تقف بسرعةٍ: هل حل الصباح بهذه السرعة؟! لقد نمت فترة طويلة ... أين الخالة ولمَ لم تأت معك؟

(أنهار) بتعجب من فزع (مهرناز):

لقد أرسلتني لسؤال القبطان عمّا إذا كان العدد على السفينة قد اكتمل





(مهرناز): وهل اكتمل؟

(أنهار): لا ... بقي خمسة

(مهرناز) بتوترٍ: جيدٌ .. عودي للخالة طمئِنيها علينا ولا تخبريها بشيء

(أنهار): لا أستطيع أن اكذب على الخالة ... أخبريني ما الذي حدث؟

(مهرناز) وهي تجري مبتعدة عن (أنهار): أخبريها فقط أننا بخير.

(أنهار) باستغراب: ما الذي يحدث؟

توجهت (مهرناز) مسرعة نحو الخيمة التي كان الصبي يعزف أمامها، لتجد جمهوراً من الناس يقف حولها، وعزف الآلة الوترية كان مسموعاُ، لكنها لم تستطع رؤية ما سبب التجمع الغفير، وبعد تدافع بسيط بين الحشود استطاعت رؤية سبب تجمعهم... رأت (مهرناز) أخواتها الثلاث يرقصن على عزف الصبي بشغفٍ غريبٍ، وكان الناس يصفقون لهن ويرمون بعض النقود عليهن... نظرت (مهرناز) إلى المنظر باستغراب... خاصة بعدما وقعت عينها على عين (نازانين) التي بدت وكأنها لا تعرفها.

انتظرت حتى انتهى الصبي من العزف، ودخل خيمته مع أخواتها وتفرق الناس ودنت بحذر من فتحة الخيمة واسترقت النظر- رأت (مهرناز) أخواتها جالساتٍ يحدقن بالفتى، وهو يضبط إيقاع أوتار آلته وينظفها، وكأنهن مغيباتٌ فأدركت (مهرناز) أنهن وقعن تحت تأثير





طلسم ما، فدخلت الخيمة وبدأت بالصراخ في الفتى بأن يحرر أخواتها، لكنه اكتفى بالابتسام، وأمسك آلته وبدأ العزف عليها نظر الفتى بعد مدة من العزف إلى (مهرناز) باستغرابٍ وكأنه متعجب من عدم تأثرها باللحن فما كان منها إلا أن سحبت الآلة من يده وبدأت بتحطيمها على رأسه... بعد تحطم الآلة على رأس الصبي بدأ بالبكاء والبنات الثلاث أفقن من سرحانهن وبدأن ينهلن على الصبي بالضرب:

(جريرة) وهي تلكمه: تبًا لك لقد جعلتني أرقص كالبهيمة أمام الناس!

(أرتميس) وهي تشد شعره:

أنا لا أحب الرقص من الأساس، ومع ذلك جعلتني أترنح كالخرقاء.

(نازنين) وهي ترفسه بقدمها: يجب أن تدفع ثمن ما فعلته بنا.

(مهرناز) وهي توقفهم وتضحك: ما بكن ستقتلن الصبي؟

(جريرة) بصوتٍ مرتفعٍ: ألم تَرَيْ ما فعل بنا؟

(مهرناز) وهي تنظر مبتسمة إلى الصبي المتقوقع من الخوف باكيًا:

قدرته عجيبة ..

(نازانين) وهي توجه رفسه أخيره للصبي:

يكفي ما أحدثناه من فوضى يجب أن نعود إلى الشاطيء قبل أن تعود الخالة وتسأل عنا.

(مهرناز): لا تقلقي لقد أتت (أنهار) قبل قليل، وأخبرتها أننا بخير.



(أرتميس): هل أكتمل العدد على السفينة؟

(مهرناز): ليس بعد ... بقي خمسة.

(جريرة) وهي تخرج غاضبة من الخيمة: لنخرج من هنا قبل أن أرتكب جريمة!

تبعتها (أرتميس).

(نازانين) لـ (مهرناز): لماذا تحدقين بي مبتسمة هكذا؟

(مهرناز) وهي تبتسم بخبث: لم أعرف أنكِ تملكين كل هذه المهارة في الرقص.

(نازانين) وهي تخرج من الخيمة بتجهم: غبية .

(مهرناز) بالفارسية وهي توجه نظرها مبتسمة للفتى الذي ما زال يبكي:

أرجو ألاّ تتغير نظرتك للفتيات بسببنا.

(الفتى) وهو يمسح دموعه .

خرجت (مهرناز) من الخيمة ولحقت بأخواتها.

***



# التمرة والبلحة

عادت (أنهار) بطلسم الانتقال إلى خالتها (أفسار) التي تركتها في البستان الكبير عند مشارف «هجر» ودنت منها، وهي جالسة على الأرض وقالت:

لقد عدت ياخالة.

(أفسار) وهي تحدق في النخيل حولها وتتناول بعض البلح:

هل مررت بقبطان السفينة؟

(أنهار): نعم ... ولم يكتمل العدد بعد.

(أفسار): ماذا عن أخواتك هل هم بخير؟

(أنهار): ...

(أفسار) بقلقٍ: ما بك؟ .. هل حل بهن مكروهٌ؟

(أنهار) بتوترٍ: لا، لا ياخالة إنهن بخير.

(أفسار): جيدٌ .. تعالي واجلسي بجانبي

جلست (أنهار) بجانب خالتها التي لم تتحدث، وظلت تحدق في المكان من حولها

و بعد دقائق من الصمت قالت (أفسار):

كان هنا بستانٌ كبيرٌ من الزهور البيضاء.

(أنهار): ...

(أفسار): لم يبق منها زهرةٌ واحدةٌ.

(أنهار): ألا ترغبين في البحث عن قبر الخال (آشور)؟

(أفسار): وهل تتوقعين أننا سنجده؟

(أنهار): لا أعرف ياخالة أنتِ من أرادت المجيء والبحث عنه.

(أفسار) وهي تزفر: أبي سقط هنا ... حيث نجلس!

(أنهار): تقصدين عندما قتله والد (دعجاء)؟

(أفسار): نعم ... وهذا أقرب مكان يمكنني أن أتذكره فيه

(أنهار): هل سنعود إذاً؟

(أفسار): أنا سأعود أما أنت فلا.

(أنهار) بقلقٍ: لماذا ياخالة؟ .. ماذا فعلت؟

(أفسار) وهي تدير نظرها نحو (أنهار) وتبتسم:

لم تفعلي شيئاً يابنتي، ولكنك ستفعلين.

(أنهار) والقلق ما زال يخالط ملامحها: لا أفهم ما تقصدين ياخالة؟

(أفسار) وهي تعيد نظرها إلى الأفق وتتناول بلحة أخرى:

هل تعرفين لماذا أتى أبي إلى هذا المكان؟

(أنهار): لا .

(أفسار): كان يريد إنشاء عصبة للسحرة في «عربستان» تكون حليفة للسحرة في «فارس» وادعى أنه ذهب لتعلم طلسم ما لكن حيلته كشفت!

(أنهار): كيف؟

(أفسار): لا يهم... المهم أن نحقق رغبته التي سلبها (وصبان) منه عندما سلب روحه.

(أنهار): لماذا؟

(أفسار): أقل ما يمكن أن أقدمه له بعد أن ثأرت له، هو أن أحقق رغبته قبل مماته.

(أنهار): هل يعني ذلك أننا سننتقل إلى «عربستان»؟

(أفسار): ليس نحن، بل أنتِ فقط، يا هجينة.

(أنهار): أنا؟ ... لوحدي؟

(أفسار): أجيبيني أولًا عن سؤال؟

(أنهار): تفضلي ياخالة.

(أفسار): ماذا كنت تفعلين في حمأة المعركة مع ساحرات «عربستان»...

لماذا كنت تقفين أغلب الوقت تتفرجين، ولا تتدخلين إلا عندما تستنجد بك أخواتك؟

(أنهار) بتوتر: أنا ... لقد ...

(أفسار) وهي تبتسم:

لا تقلقي أعرف أن ولاءك لي، ولم يكن ذلك تعاطفاً مع بني جلدتك.

(أنهار): ...

(أفسار): لقد كنت تنصتين ... تنصتين لطلاسم العربيات لحفظها ... أليس كذلك؟

(أنهار) وهي تنزل رأسها: نعم ...

(أفسار) وهي تبتسم وتتناول بلحة أخرى: أنتِ ماكرة جدًا يا هجينة!

(أنهار): لقد شاركت على قدر استطاعتي وقتلت واحده منهنّ.

(أفسار): أعرف ... وهذا هو الشيء الوحيد الذي حماك من سخطي.

(أنهار): ...

(أفسار): عندما قرأت (دعجاء) الطلسم الذي أهلكها، كنت الأقرب بيننا إليها، هل حفظته؟

(أنهار): لا ... لقد همسته بسرعة ولم ألحق.

(أفسار): ...

(أنهار): لَمَ تسألين يا خالة؟

(أفسار): أريد أن اتأكد.

(أنهار): من ماذا؟

(أفسار): لا يهم ذلك، المهم الآن، ما أريدك أن تقومي به.

(أنهار): ما هو ياخالة؟

(أفسار): تأسيس عصبة عربية، ولاؤها لي هنا في «عربستان»

(أنهار): كيف؟ ... لا أستطيع ... ما زلت مبتدئة.

(أفسار): لست مبتدئة الآن... وتستطيعين فعل ذلك فلا يوجد منافسٌ لك هنا في «هجر» والأمر لن يكون صعباً ... جندي عربياتٍ... لا يهم المهم أن يكون ولاؤهم لي ولـ «فارس»

(أنهار): ولكن ياخالة ...!

(أفسار): اسمعي، ولا تقاطعيني.

(أنهار): حاضر.

(أفسار): سوف أحكي لك شيئًا، لم أحكه لأحدٍ من قبل.

(أنهار): ...

(أفسار): سوف أحكي لك بدايتي في السحر، منذ خروجي من هذا البستان مغميًا عليَّ، وحتى بدأت بتكوين عصبتنا التي كنت أخر عضو فيها ... لكن قبل ذلك أحضري بعض الماء من ذلك البئر، لأن ريقي جف من أكل البلح.

(أنهار) وهي تنهض بسرعةٍ متوجهة نحو البئر: حاضر ياخالة

(أفسار) مبتسمة وتحدث نفسها متأملة في (أنهار) وهي تسحب قربة الماء:

لا تستطيع إخفاء حماسها لهذه المهمة ... أعرف أن طموحها يفوق قدراتها.

عادت (أنهار ) بالماء وسقت خالتها، وجلست بجانبها تنتظرها كي تتحدث.

(أفسار): ما سأحكيه لك يا هجينة ليس للتسلية فهو درسٌ يجب أن تستفيدي منه جيدًا.

(أنهار): كلي آذان صاغية ياخالة.

حكت (أفسار) لـ (أنهار): إنها وبعد أن فقدت وعيها في البستان الكبير بعد مقتل أبيها، وجدت نفسها على متن سفينة متوجهة إلى بلاد «فارس» وكانت بصحبة رجل عربي لم تره من قبل، كان يحمل وشمًا لثلاث شموس على ظهر يده، كانت الرحلة شاقة وطويلة، لكن الرجل كان ممسكًا بها ويحميها ويطعمها من طعامه كي لا تحتاج لشيءٍ، كان العربي الوحيد الذي عاملها بإحسانٍ في حياتها كما قالت.

عند وصولهما إلى «فارس» وتحديداً إلى ميناء «بوشير» نزل الرجل مع (أفسار) التي كانت وقتها لم تتجاوز السابعة من العمر، وقرر التوجه إلى مكان إقامة عمها (مهربان) مع أول قافلةٍ، وهي قرية صغيرة بالقرب من (تخت سليمان).

سارت القافلة لأيام، وكان فيما يبدو أن هذا الرجل العربي يجيد الفارسية بطلاقة ولم تكن هذه زيارته الأولى لبلاد «فارس»، وبالرغم من صغر عمر «أفسار» ذلك الوقت، إلا أنها تتذكر بعض التفاصيل عن ذلك الرجل، وكيف كان كلما توقفا عند مدينة أو قريةٍ خلال طريقهما، كان يتواصل مع بعض الناس والذين فيما يبدو كانوا يعرفونه جيدًا، ولم تكن تلك المرة الأولى التي يرونه فيها. بعد مسيرة أسابيع وصل الاثنان إلى القرية القريبة من «تخت سليمان» وتوجه الرجل إلى منزل عم (أفسار) مباشرة وطرق الباب. فتح الباب طفل صغير في العاشرة من عمره تقريباً، فطلب منه الرجل أن ينادي أباه وخلال دقائق خرج (مهربان) وبمجرد رؤيته للرجل عانقه بحرارة، وطلب منه الدخول وهو يقول له:

«لم نرك منذ سنين ... أختك ستسعد لرؤيتك جدًا»

حكى الرجل لعم (أفسار) ما حدث لوالدها في «عربستان» لكنها لم تسمع تفاصيل الحوار، لأن عمها طلب من زوجته أخذها بعيداً كي يتحدث مع أخيها على انفراد. في اليوم التالي قرر الرجل الرحيل إلى «عربستان» بالرغم من إصرار (مهربان) وزوجته عليه بالبقاء وعدم العودة، حيث كانت زوجة عم (أفسار) أخته من أمه ولم تره منذ أن سافر معها إلى «فارس» لتزويجها لـ (مهربان).

لكنه رفض وقال: (تضحية (آشور) يجب ألاّ تضيع هباءً وسأعود لأكمل ما بدأ)

بقيت (أفسار) مع عمها، وأصبحت جزءًا من أسرته المكونة من زوجته (براح) وابنه الأكبر (برهم) وابنته الصغرى (باران) والتي كانت في عمر (أفسار) تقريبًا... لم يرحب بـ (أفسار) ويحتويها سوى عمها فزوجته (براح) وأطفالها وبالرغم من صغر سنهم لم يتقبلوا وجودها بينهم، وكانوا يعاملونها بجفاء.

لم تفهم (أفسار) سبب هذا الرفض تمامًا إلا عندما بلغت هي وابنة عمها (باران) سن الثانية عشرة، حين رأت زوجة عمها تفرق بينها وبين ابنتها في نوع الملابس التي تشتريها لها، وفي طريقة الحديث معها، وفي المهام التي توكلها إليها التي غالباً ما تكون أعمالاً مهينة، كالأعمال المنزلية من تنظيفٍ ومن غيره.

كانت (باران) مستثناة من القيام بتلك الأعمال و(أفسار) لم تشتك يومًا لعمها رغم ازدياد قسوة (براح) عليها.

بعد إتمامها سن الرابعة عشر وتعرضها للمضايقات المتكررة من ابن عمها (برهم) والتي تصل أحيانًا للضرب بدأت (أفسار) تعي لحد ما سبب مقتل أبيها لكنها، لم تكن ملمة بتفاصيله لذا قامت في أحد الأيام باستغلال خروج زوجة عمها وأبنائها إلى السوق كي تتحدث مع عمها (مهربان) عمّا حدث مع أبيها:

(أفسار) وهي تجلس بجانب عمها: هل يمكنني الحديث معك يا عمي؟

(مهربان) وهو يبتسم: بالطبع يا (أفسار)؟

(أفسار): هناك أمر يشغل تفكيري ولا أحد يستطيع إراحتي غيرك.

(مهربان): هل ضايقك أحد من أبنائي؟

(أفسار): لا .. لا شيء خارج عن المعتاد.

(مهربان) بتجهم: وما هو المعتاد؟

(أفسار): لا شيء يا عمي، لا تشغل بالك بهذا الأمر.

(مهربان): يعاملوك بازدراء أليس كذلك؟

(أفسار) وهي تنزل رأسها للأرض: ...

(مهربان): اسمعي يا بنتي لا أملك لكِ إلا نصيحة واحدة فيها يتعلق بهذا الأمر

(أفسار): ما هي ياعمي؟

(مهربان): من يتحدث معك كملاك، ابصقي في وجهه كشيطان ...!

ضحكت (أفسار) من كلام عمها وبعد أن خف ضحكها تغير وجهها للحزن وقالت:

ما الذي حدث لأبي يا عمي؟

(مهربان) باستغراب: ما الذي جعلك تسأليني عن هذا الأمر بعد كل هذه السنين؟

(أفسار): أريد أن أعرف ماذا حدث لأبي في «عربستان»

(مهربان): لقد قتله ساحر عربي اسمه (وصبان)

(أفسار): أعرف ... لكن لماذا؟

(مهربان): وهل يحتاج العرب سببًا للقتل، فهم شعوب متعطشه إلى الدماء دائمًا؟

(أفسار): خالتي (براح) عربية.

(مهربان) وهو يضحك:

لقد تأثرت بنا وغيرت من أطباعها، كان يجب أن تريها أول مرة أتت إلى هنا.

(أفسار): لماذا تزوجتها إذاً؟

(مهربان): لَم كل هذه الأسئلة يا (أفسار)؟

(أفسار): أريد أن أعرف.

(مهربان): تعرفين ماذا؟

(أفسار): أعرف كل شيءٍ ... لماذا قتل في «عربستان»؟ ... ولماذا أبي بالذات؟

(مهربان): نصحته بألاّ يذهب، لكنه لم يستجب لنصيحتي ... منذ وفاة والدتك وهو يملك هاجسًا لا يفارقه.

(أفسار): هاجسٌ؟ .. أي هاجسٍ؟

(مهربان): حلمٌ أحمق بالسيطرة على السحرة في «عربستان» وتسخيرهم لخدمة سحرة الفرس.

(أفسار) بغضب: أبي ليس أحمقاً!

(مهربان): نعم والدليل أنه قتل هناك.

(أفسار): مات ليحقق حلمه.

(مهربان): حلمه لوحده ... السحرة في «فارس» لا يشاركونه هذا الطموح

(أفسار): ...

(مهربان): لا أنكر أنه حقق تقدمًا كبيرًا في مسعاه، لكنه في النهاية فشل.

(أفسار): كيف؟

(مهربان): قبل زواجه من أمك، عاش أبوك فترة طويلة في «هجر» وأنشأ له حلفاً كبيرًا من السحرة العرب هناك ... كانوا من العرب، لكنّ ولاءهم كان له وكان هدفه أن يدربهم ويعلمهم أصول السحر، في مقابل أن يكون ولاؤهم له

ولـ «فارس»

(أفسار): وهل نجح؟

(مهربان): نعم ... هل تذكرين الرجل الذي أوصلك عندي عندما قتل أبيك؟

(أفسار): لا أذكر شكله، لكني أذكر يده الموشومة بثلاث شموس ... أحلم بها من وقت لآخر.

(مهربان) وهو يبتسم:

نعم هو بعينة ... كان هذا الرجل نائبًا لأبيك في «عربستان» وكان يدربه لاستلام زمام الأمور في «هجر» ومع مرور الوقت ترك أبوك الإقامة في «عربستان» وبدأ يسافر ذهاباً وعودة بين «هجر» و«فارس».

(أفسار»: لأي غرض؟

(مهربان): كان يمهد لانفصاله عن حلفائه من سحرة العرب وتسليمهم القيادة بالكامل، وكان يحاول إقناع كبار السحرة هنا بدعمهم، لكن أغلبهم لم يوافق.

(أفسار): لماذا؟

(مهربان): لم يشاركوه نفس الطموح لأن سحرة «عربستان» عتاة، ولم يكن أحد يرغب في استفزازهم بالدخول لأراضيهم ومزاحمتهم في مناطقهم.

(أفسار): لماذا عاد إذاً؟

(مهربان): لأنه لم يتخلّ عن فكرته، وكان لديه أمل كبير في تحقيقها، وكانت إحدى أفكاره لاستمالة كبار سحرة فارس، وكسب تأييدهم هو بتزويجهم من بنات وأخوات حلفائه في «عربستان» كي يستميلوا قلوبهم مع الوقت لدعم توجهه.

(أفسار): وهل نجحت خطته؟

(مهربان) وهو يضحك: ألا ترين من هي زوجتي الآن؟

(أفسار): وهل استطاعت الخالة (براح) تغيير رأيك؟

(مهربان): لم أكن معارضًا لأخي لأن فكرته صعبة التحقيق، كنت معارضًا له لأني مؤمن بأن «عربستان» ستكون مقبرة لنا.

(أفسار) بغضب: أنتم جبناء وبسبب خوفكم هذا خسر أبي حياته!

(مهربان): مقتل أبيك كان الشرارة التي أشعلت النار في قلوب سحرة الفرس.

(أفسار): كيف؟

(مهربان): منذ مقتل أبيك، والسحرة هنا اتفقوا على دعم حلفائه في «هجر» حتى يحققوا مسعاهم.

(أفسار): وهل نجحوا في تحقيق حلم أبي؟

(مهربان) وهو يزفر: كدنا أن نحقق ذلك، لكن ..

قاطع حديث (أفسار) مع عمها دخول زوجته وأبنائها، وهم يحملون ببعض الحاجيات من السوق والتي رموها على الأرض بمجرد دخولهم للمنزل، وعلى وجوههم بوادر التعب. جلست (براح) بالقرب من زوجها وهي تتنفس بعمق وتقول:

خذي الحاجيات يا (أفسار) وأدخليها غرفتي.

ابتسم (مهربان) وقال لزوجته:

ماهذا يا أم (برهم) هل اشتريت السوق بأكمله؟

(براح) وهي تفك عصبة رأسها:

لولا أولادك المدللون والذين ازعجوني بتذمرهم، لاشتريت أكثر من ذلك.

(مهربان) وهو يضحك: خذي (أفسار) معك في المرة القادمة.

(باران) وهي تجلس بجانب أمها:

لقد كسر ظهري يا أبي من حمل تلك الحاجيات اللعينة، ومع ذلك أمي غاضبة مني!

(برهم): أنتِ فتاة مدللة كما تقول أمي بالفعل

(باران) بغضب: وأنت طفل كبير!

(مهربان) وهو يضحك:

اذهبا الآن واتركاني مع أمكما، كي أحظى بشيء من هذا التدليل الذي تتحدثان عنه.

(أفسار) وهي تحمل آخر كيس على الأرض: هل تريدين مني شيئاً آخر ياخالة؟

(براح) وهو تشوح بيدها لـ (أفسار) بالانصراف:

لا ... اذهبي وأعدي طعام الغداء.

(أفسار) وهي تخرج من الغرفة: حاضر.

بعد خروج (أفسار) وبقية الأبناء قال (مهربان): هل اشتريت شيئًا لـ (أفسار)؟

(براح) بعبوسٍ: شيءٌ مثل ماذا؟!

(مهربان): أي شيء يا (براح) فأنت تغرقين أبناءك بالملابس والأشياء التافهة والمسكينة ترتدي نفس الملابس منذ عام.

(براح) بعبوس: ومن قال أن ابنة أخيك مسكينة؟

(مهربان): ألا ترين حالها؟

(براح) وهي تبتسم بسخرية:

لا تحكم على الناس وهم في حالة ضعف وفقر، انتظر حتى يكتسبوا شيئًا من القوة والسلطة وقتها يمكنك أن تحكم عليهم.

(مهربان) وهو متعجب من كلام زوجته: ماذا تقصدين؟

(براح) وهي تنهض من جانب (مهربان) متوجهة إلى غرفتها:

أقصد أن مسكينتك ليست بحاجة لشيء!

(مهربان): ...

مضت الأيام والشهور وأكملت (أفسار) عامها الخامس عشر، وخلال تلك الفترة بدأ عمها بتعليم ابنه (برهم) بعض فنون السحر ليهيئه للعمل معه في تلك المهنة. راقبت (أفسار) عمها كل صباح وهو يقوم بتلقين ابنه تلك العلوم، وكيف كان مستاءً من عدم قدرة (برهم) على الاستيعاب بشكل سريع. كانت (أفسار) حريصة جدًا على إنهاء مهامها في المنزل بسرعة كي تختلس النظر، وتستمع إلى دروس عمها اليومية لابنه، والتي لم تجد آذاناً صاغية من (برهم)، لكنها كانت كالماء لـ (أفسار) المتعطشة. خلال مراقبة (أفسار) اليومية لعمها، لاحظت أنه يقوم بإخراج كتاب مختلف من وقت لآخر من صندوق كان يحتفظ به تحت سريره وكانت الكتب تختلف حسب الدروس التي



يريد تلقينها لـ (برهم)، وبسبب بطء تعلمه اضطر (مهربان) التأني في التقدم معه في علوم تلك الكتب، مما سبب الإحباط لـ (أفسار) التي تعلمت كل ما لقنه عمها لأبنه في نفس اليوم، وكانت تتوق لأمور جديدة، لذا قررت يومًا أن تفتح ذلك الصندوق.

كان الصندوق يقفل بمفتاح لا يفارق عنق عمها، وكان (مهربان) يقفله عندما يأخذ ما يريده منه، لذا كان من الصعب على (أفسار) أن تفتحه بنفسها فقررت استخدام حيلة ما. انتظرت (أفسار) في صباح أحد الأيام عمها حتى توجه للصندوق لأخذ كتاب كان سيكون درس (برهم) ذلك اليوم منه، وانتظرت حتى قام عمها بفتحه وقبل أن يأخذ منه ما يريد أسقطت شيئًا متعدمة في المطبخ، وبدأت بالصراخ بقوة مما دفع عمها وبقية أفراد المنزل بالتوجه على عجالة إليها. دخل الجميع المطبخ ليجدوا أن أحد القدور الكبيرة التي كانت مرفوعة، ولا تستخدم كثيرًا قد وقع على الأرض و(أفسار) تبكي أمامه فقالت (براح) بصوتٍ مرتفعٍ:

ماذا فعلتِ ياحمقاء؟ .. من أمرك بتحرك القدر الكبير؟

(أفسار) وهي تبكي: أنا لم أحركه لقد سقط لوحده ياخالة.

(براح) وهي تصفع (أفسار): لا تكذبي علي وأعيديه إلى مكانه.

(مهربان): هدئي من روعك يا أم (برهم) ولا تنفعلي على الفتاة المسكينة.

(باران) و(برهم) يبتسمان .

(براح) بغضبٍ: لا تتدخل يا (مهربان) هذه الفتاة تثير المشاكل عمدًا.

غطت (أفسار) وجهها وخرجت وهي تبكي من المطبخ.

(براح) وهي تصرخ: عودي إلى هنا وأعيدي القدر إلى مكانه.

(مهربان): القدر ثقيل جدًا ولن تستطيع المسكينة القيام بذلك ... تعال يا (برهم) وعاوني على رفعه.

(برهم) باستغراب شديد: أنا؟! ... لا، لا!

(براح) وهي تحتضن ابنها: هل تريد أن يكسر ابني ظهره؟

(مهربان): تخافين على ابنك ولا تخافين على تلك الفتاة المسكينة!

(براح) وهي تشد (برهم) وتعانقه:

أرفعه أنت إذا شئت، أما قرة عيني فلن يحرك ساكنًا .

(مهربان) وهو ينظر لابنه المعانق لأمه بحسرة:

ابق مع أمك يا قرة عينها.

عقد (مهربان) أصابعه ... وبدأ بقرأة بعض الطلاسم، وخلال ثوانٍ ارتفع القدر من على الأرض وعاد إلى مكانه.

(براح) وهي تخرج من المطبخ وابنها في كنفها:

وجدنا فائدة من طلاسمك أخيرًا.

(باران) وهي تلحق بامها مبتسمة: انتظريني يا أمي!

خرج الجميع من المطبخ وتركوا (مهربان) لوحده ينظر إلى القدر الذي رفعه ويقول:

ليتك سقطت عليها وأرحتني منها!

(أفسار) بحزنٍ واستغرابٍ وهي عند باب المطبخ: لماذا تزوجتها يا عمي؟

(مهربان) وهو يلتفت على (أفسار) ويبتسم:

من تقصدين؟ .. خالتك (براح)؟

(أفسار) وهي تتقدم داخل المطبخ: .. نعم ومن غيرها؟

(مهربان) وهو يضحك ويتأكد من ثبات القدر مكانه: لأني أحبها!

(أفسار) بشيءٍ من التوتر والغضب:

لا تكذب علي ياعمي أخبرني بالحقيقة! لماذا تخاف منها؟! ... لماذا أنت ضعيفٌ أمامها؟! ... ألست أحد كبار السحرة في «فارس» لماذا هذا الضعف والهوان أمام زوجتك وأبنائك ... لماذا؟

(مهربان) وهو ينظر للأرض ويبتسم: هل تعتقدين بأني ضعيف؟

(أفسار) وهي تمسح دمعة نزلت من عينها:

أعتقد أنك تخدعني عندما تقول بأنك تتحملها لأنك تحبها!

(مهربان): أسهل شخص يمكنك خداعه هو نفسك ...

(أفسار): ماذا تقصد؟

(مهربان): أقصد انكِ أوهمتِ نفسك بأمور كثيرة من ضمنها ضعفي وتخاذلي.

(أفسار) بغضب: بل أنا متأكدة من ذلك! وقلبي يتقطع عندما أعرف أن ضعفك هذا هو الذي منعك من الثأر لأبي.



(مهربان) وهو يرفع رأسه ويبتسم: ستخرجين معي غدًا.

(أفسار) باستغراب: إلى أين؟

(مهربان): ألا ترغبين بالانتقام لأخي (آشور)؟

(أفسار) بحماس: نعم

(مهربان): إذاً كوني جاهزة عند الفجر.

(أفسار): حاضر.

(مهربان) وهو يهم بالخروج من المطبخ: ولا تنسي أن تعيدي الكتاب الذي سرقته من صندوقي ... عندما تتعلمين القراءة خذي ما تشائين منها.

(أفسار) وهي تنزل رأسها بخجل: حاضر.

توقفت (أفسار) عن الحديث مع (أنهار) وبدأت تتمعن في الشمس وهي تغرب!

(أنهار): وماذا حدث بعد ذلك ياخالة؟

(أفسار): أشعلي نارًا يا هجينة فالليل بدأ بالحلول.

(أنهار) وهي تنهض مبتسمة: حاضر ... لم أحس بالوقت.

أشعلت (أنهار) النار وبعدها استأنفت (أفسار) الحديث منذ لحظة استيقاظها فجر اليوم التالي كما طلب منها عمها .

***







# بساتين الدم

استيقظت (أفسار) قبل الفجر من شدة حماسها للذهاب مع عمها، رغم أنها لم تكن تعرف الوجهة، أوالغرض من هذه الرحلة سوى أنها ستتمكن أخيرًا من الثأر لأبيها (آشور)، خرجت من باب المنزل لتنتظر عمها في الخارج، لكنها وجدته جالسًا متكئاً بكلتا يديه على عصا خشبية يحدق في النجوم... اقتربت منه بحذر وجلست بجانبه وقالت:

لَم أنت مستيقظ ياعمي؟

(مهربان) وهو ما زال محدقًا بالنجوم:

لَم استيقظتِ أنتِ قبل الموعد الذي حددته لك؟

(أفسار) وهي تنزل رأسها: أعتذر ياعمي لكن الحماس غلبني.

(مهربان) وهو مازال محدقًا في السماء: حماسك يذكرني بحماس أخي (آشور) كان لا يستطيع النوم عندما يعقد العزم على القيام بشيءٍ ما.

(أفسار) وهي ترفع رأسها، وتوجه نظرها إلى النجوم مع عمها:

لماذا تخليتم عنه ياعمي؟ ... لماذا خذلتموه؟



(مهربان) منزلًا رأسه للأرض وهو يزفر: كفّي عن تكرار هذا الكلام.

(أفسار) وهي توجه نظرها لـ (مهربان): أليست هذه هي الحقيقة؟

(مهربان): الحقيقة ليست ما نفترضه، بل ما نراه ونتحقق منه.

(أفسار): ماذا تقصد ياعمي؟

(مهربان) وهو يلتفت إلى (أفسار) مبتسمًا: لن نتحدث هنا ... لنذهب الآن.

(أفسار): إلى أين؟

(مهربان): ضعي يدك على كتفي، وأغمضي عينينك.

وضعت (أفسار) يدها على كتف عمها، وأغمضت عينيها... ثم سمعته يقول:

يمكنك فتحهما الآن.

فتحت (أفسار) عينيها، وأخذت شهيقًا قويًا ورمت بنفسها على عمها، وأمسكته بكلتا يديها... فقال لها وهو يضحك:

مابك؟

(أفسار) وهي مرتبكة: أين نحن؟

(مهربان) مبتسمًا: على قمة الجبل البارز.

(أفسار) وهي تحاول النظر إلى قاع الجبل بحذر: المنظر مخيف ...!

(مهربان) مبتسمًا: هل أنتِ خائفة؟

(أفسار) وهي تحيد بنظرها عن قاع الجبل، وتحدق بوجه عمها المبتسم: نعم ... بدأت أفهم لماذا يخاف الناس من الارتفاعات الشاهقة.

(مهربان): لماذا؟

(أفسار): خوفاً من السقوط بالطبع ..

(مهربان) وهو ينظر إلى قاع الجبل العميق: البعض يخاف لأسباب أخرى.

(أفسار) باستغراب وهي متشبثة بعمها: مثل ماذا؟

(مهربان) مبتسماً: البعض يخاف أن تراوده رغبةٌ قوية في القفز ..

(أفسار) بتعجب: القفز؟!

(مهربان) وهو سارح في الأفق: نعم.

(أفسار): كيف وصلنا إلى هنا بهذه السرعة؟

(مهربان): بطلسم الانتقال.

(أفسار) وهي تبتسم: أرغب في تعلم هذا الطلسم.

(مهربان) وهو يضحك بشدة: ما زال الوقت مبكرًا لتعلم مثل هذه الطلاسم.

(أفسار) بوجه محبط: متى يحين الوقت إذاً؟

(مهربان): لندخل ذلك الكهف أولًا فالبرد قارسٌ، وأنت لم تلبسي شيئًا ثقيلًا .

(أفسار): حاضر.

توجه الاثنان إلى فوهة كهف كان على قمة الجبل، وبعد دخولهما صفق (مهربان) لتشتعل بعض أجزاء جدران الكهف وتنير الطريق... حدقت (أفسار) بانبهارٍ للممر الطويل المشتعل أمامها وقالت:

ما هذا ياعمي؟ ،

(مهربان): سترين الآن ... اتبعيني .

سارت (أفسار) خلف عمها مسافة ليست باليسيرة، حتى وصلا إلى مكان اتسع من خلاله الممر ليصبح فجوة كبيرة كالقاعة الضخمة، وكانت جدرانه مشتعلة في بعض أجزائه، نظرت (أفسار) بانبهارٍ للمكان وخلال انبهارها قال عمها:

سنأتي كل يوم هنا قبل الفجر وحتى بزوغ الشمس، وسوف تتعلمين أساسيات السحر الأولى، لكن يجب ألاّ تخبري خالتك (براح) أو أحد أبناء عمومتك بذلك.

(أفسار): لماذا؟

(مهربان) وهو يدير ظهره لـ (أفسار): الدرس الأول ... لا تناقشي تعليماتي.

(أفسار): حاضر.

(مهربان): الدرس الثاني ... انسي فكرة الانتقام لأبيك في الوقت الحالي.

(أفسار) وهي تنظر إلى ظهر عمها بوجهٍ متجهمٍ وغاضبٍ: حا ... حاضر.

(مهربان): الدرس الثالث ... عودي الآن للمنزل لوحدك.

(أفسار): ما ... ماذا؟ ... ماذا تقصد؟

اختفى (مهربان) بعد هذه الجملة، وانطفأت بعد رحيله كل الأضواء التي كانت تنير الكهف، مما دفع (أفسار) للصراخ من الخوف.

أمضت (أفسار) بضع دقائق وهي تبكي، لكنها أدركت أن بكاءها لن يخرجها من ذلك المكان، فقررت تحسس الجدران في تلك العتمة والعودة نحو فوهة الكهف. بعد مسيره طويلة رأت (أفسار) نورًا في أخر النفق، فجرت نحوه حتى خرجت ليضرب جسدها برد قارس كاد أن يحطم عظامها... بدأت بالنزول من الجبل وهي تحتضن نفسها وترتجف، وخلال الطريق سقطت عدة مرات وآذت نفسها لكنها لم تتوقف.

لم تكن القرية التي يسكنها عمها بعيدة عن قاع الجبل، لكنها لم تكن قريبة بما يكفي كي تصل (أفسار) في يوم واحدٍ، فقد استغرق النزول من الجبل لوحده النهار باكمله، وعند وصولها كانت على حافة الموت من البرد، لكنها استمرت بالسير حتى أغمي عليها... استيقظت (أفسار) في غرفتها ونهضت مستغربة ...!

لكن استغرابها لم يستمر طويلًا حين دخل عليها عمها وجلس عند حافة سريرها وقال:

«سوف نعاود الكره مرة أخرى بعد أيام ..»

(أفسار) باستغرابٍ: نعاود ماذا؟

(مهربان): عندما تستطيعين قطع المسافة من الكهف للمنزل في يوم واحد سوف ننتقل للمرحلة الثانية.

(أفسار): ما الذي تحاول فعله بي؟ ... هل تحاول قتلي؟

(مهربان) وهو ينهض من حافة سرير (أفسار):

لن أجبرك على الاستمرار، لكنكِ لن تتعلمي شيئاً، وأنت هزيلة بهذا الشكل يجب أن يشتد بأسك، فالساحر لا يعتمد على الطلاسم فقط .

(أفسار) باستهزاء: لم أرك تعامل (برهم) بهذه القسوة خلال تعليمه.

(مهربان) وهو يصرخ بقوةٍ في وجه (أفسار):

(برهم) لا يريد الذهاب لـ «عربستان» ليواجه أعتى السحرة على الأرض!!

سكتت (أفسار) وأنزلت رأسها.

(مهربان): الحمقى هم من لا يسمعون إلا ما يؤمنون به فقط ... لاتكوني مثلهم.

(أفسار) ورأسها للأرض: حاضر ياعمي ... سأخبرك عندما أكون مستعدة.

خرج (مهربان) من الغرفة، وأغلق الباب بقوة.

بعد أيام توجهت (أفسار) إلى عمها وأخبرته بأنها مستعدة للمحاولة مرة أخرى وسألته عن سبب عدم سؤال أحدٍ في المنزل عن سبب



غيابها ذلك اليوم فقال لها:

بعض الطلاسم يمكنك أن تجعلي أي أحدٍ ينسى أي شيءٍ ... ستتعلمين ذلك يومًا ما ... استعدي فجر الغد كي نعاود الكرة.

استمرت (أفسار) في النزول من قمة الجبل أكثر من مرة لعدة أسابيع. وكانت في كل مرة تجتاز مسافة أطول قبل أن يغمى عليها من التعب، وتستيقظ في غرفتها مصابة وأحياناً مريضة، لتبقى عدة أيام تتعافى فيها وتعاود الكرة مرة أخرى. بعد أقل من شهرين اشتد ساعد (أفسار) وبدأت تجد مشقة أقل في مسارها الذي اعتادته، وبدأت تستبدل المشي بالهرولة، وقلصت من وقفاتها للراحة حتى قطعت المسافة بيوم واحد... دفعة واحدة، واستطاعت الوصول إلى عتبة منزل عمها لتجده واقفاً يستقبلها بابتسامةٍ ويقول:

يمكننا الآن الانتقال للمرحلة الثانية يا ابنة (آشور) .

أخبر (مهربان) بعد عدة أيام زوجته بأنه سيسافر مع (أفسار) إلى مدينة أخرى وسيغيبون لمدة قد تتجاوز الشهر، وكان هذا الحديث يدور أمام (أفسار) التي توقعت معارضة خالتها لهذا الأمر، لكن ما أثار استغرابها أن خالتها وافقت بهدوءٍ ولم تعارض مطلقًاً... بعد خروج (براح) من الغرفة توجهت (أفسار) وجلست بجانب عمها وقالت باستغراب:

كيف لم تعارض خالتي على سفري معك؟

(مهربان) وهو يبتسم: استعدي للرحيل غدًا، ولا تفكري بالأمر كثيرًا.



في اليوم التالي خرجت (أفسار) في الصباح الباكر لتجد أن عمها قد اشترى لها بعض الملابس الجديدة، وقدمها لها وقال:

البسي هذه الملابس قبل أن نرحل.

ابتسمت (أفسار) ابتسامة عريضة، واخذت الملابس ودخلت غرفتها لتجربها. خرجت بعد دقائق، وهي تلبسها وقالت لعمها مبتسمة:

شكرًا ياعمي.

(مهربان) وهو يبتسم: هيا لنذهب كي لا نتأخر.

(أفسار): أين خالتي (براح)؟ ... وأين (برهم) و(باران)؟

(مهربان): لِمَ تسألين؟

(أفسار): لم أعتد على عدم رؤيتهم في الصباح، فهم في العادة مستيقظون في هذا الوقت.

(مهربان): عاطفتك ستكون يومًا سبب هلاكك.

نظرت (أفسار) إلى عمها باستغراب ... وهو يخرج من المنزل قبل أن تتبعه بلحظاتٍ ..

عاد الاثنان إلى الكهف في قمة الجبل البارز، وجلسا عند فوهته بصمت لفترة حتى تكلم (مهربان) وقال: مهما بلغت من العلم، فلن أستطيع تعليمك كل شيءٍ تحتاجينه لرحلتك نحو (عربستان)، لكنْ هناك شيءٌ لن تعرفيه إلا مني..

(أفسار): ما هو ياعمي؟



(مهربان): ما حدث في «عربستان» وتحديدًا في «هجر» قبل وبعد مقتل (آشور).

(أفسار): أخبرني.

(مهربان): كما أخبرتك سابقًا فإن السحرة في «فارس» لم يكونوا متحمسين لحلم أبيك في إنشاء تجمعٍ للسحرة في «عربستان» ليكون حليفاً ومواليًا لنا وناشرًا لمنهجنا في السحر والشعوذة ... لكن بعد مقتل أبيك تغير ذلك تمامًا.

(أفسار): كيف ...؟

(مهربان): قبل مقتله بعدة أشهر، لم نكن نعلم مدى تشعب نفوذ (آشور) في «عربستان» ولم نكن نعي العدد الذي كان يقف معه وبايعه على الولاء حتى بعد تقديمه لي ... ولمجموعة من السحرة الكبار في «فارس» زوجاتٍ ... من بنات وأخوات حلفائه هناك، في محاولة منه لا ستمالتنا لدعم توجهه، ولكن بعد مقتله تغير ذلك تمامًا، وبدأت جموع من هؤلاء الأتباع تسافر بشكل متكرر إلى «فارس» يطالبون بالثأر لـ (آشور) فلم نجد مناصًا، إلا أن نحقق رغبتهم بالرغم من عدم اقتناعنا بجدوى ذلك.

(أفسار): لماذا؟ ... ألم تقل: إن أعدادهم كانت كبيرة؟

(مهربان): الكثرة قد تغلب الشجاعة، لكنها لا تغلب القوة.

(أفسار): القوة كل شيء.

(مهربان): القوة بلا عقل كالماسة بلا بريق، مجرد صلابة لا تستحق الإطراء.

(أفسار): ...

(مهربان): السحرة في «عربستان» قد يكونون متفرقين فيما بينهم في موطنهم لكنهم يتحدون بشكل مخيف عندما يتعرضون لعداء من الخارج، ونحن كنا نعي ذلك، لكن تعطش حلفاء أبيك للثأر له أعمى بصيرتهم، وغيب عقولهم عن تلك الحقيقة.

(أفسار): لم أفهم قصدك ياعمي.

(مهربان): السحرة في «عربستان» في صراع دائم فيما بينهم، ونادرًا مايتفقون فسحرة «هجر» على وفاق مع سحرة «الحجاز» وفي استقرار مع سحرة «الجنوب»، لكنهم لا يتفقون مع سحرة «اليمامة» وعلى النقيض فسحرة «اليمامة» متفقون مع سحرة «الجنوب» وفي عداء مع سحرة «الحجاز» وسحرة «الحجاز» لا يعادون أحداً، سوى من يعتدي عليهم وسحرة «الجنوب» منعزلون عن أغلب المناطق، لكنهم في صراعٍ دائمٍ فيما بينهم.

(أفسار): هذه الفرقة من المفترض أن تجعلهم غنيمة سهلة.

(مهربان): هذا ما اعتقده أبوك، وكان يحاول إقناعنا به وبأن ذلك سيكون سببًا أساسيًا في نصرنا وسيطرتنا على «عربستان» بالكامل، لكنه كان يجهل طبيعة العرب والتي كانت السبب الأساسي في عزوف الكثير من الغزاة للدخول إلى أراضيهم القاحلة.

(أفسار): ماذا كانت هذه الطبيعة؟

(مهربان): العرب ينسون كل الخلافات فيما بينهم، ويصبحون يدًا واحدة في حال دخول غريب عليهم، ويكرسون جميع جهودهم للقضاء عليه، وبعدما ينتهي هذا التهديد يعودون ليقتتلوا فيما بينهم.

(أفسار): مثل الذئاب.

(مهربان): نعم ... ولأننا كنا ندرك ذلك من خلال محاولات سابقة في الماضي تجنبنا الدخول إلى ذلك الجحيم مرة أخرى، لكن مقتل أبيك عقد الأمور وزوجاتنا العربيات بدأن بمقاطعتنا حتى نأخذ بثأره.

(أفسار) وهي تبتسم: وكأن أبي كان يعلم أن برودة دمائكم، لن تتحرك إلا بحرارة دماء نساء «عربستان».

(مهربان): ماذا تقصدين؟

(أفسار): أقصد أن أبي خطط لكل شيء كي يضعكم في موقف يجبركم على التدخل لتحقيق مسعاه، وكان لا يريد أن ينتهي حلمه بموته.

(مهربان) بابتسامة حزينة: حلمه انتهى بمجرد استجابتنا لمطالب حلفائه.

(أفسار): كيف؟

(مهربان): حشدنا أبرز السحرة في بلاد «فارس» في تلك الفترة، وكانت الخطة ببساطة هي الدخول لـ «هجر» وتوجيه ضربةٍ مباغتةٍ وسريعةٍ إلى السحرة المعادين لنا في «هجر» خلال اجتماع رتب له



حلفاؤنا معهم، وترسيخ سيطرة الموالين لنا هناك بتصفية منافسيهم، وأن نخرج ونعود لـ «فارس» بأسرع وقت دون أن يلاحظ أحدٌ أننا كنا هناك.

(أفسار): وكيف كنتم ستعرفون من هو عدوكم من الموالي لكم خلال ذلك الإجتماع؟

(مهربان): (آشور) كان ذكياً وكان يطلب من جميع حلفائه الجدد بأن يشِموا ثلاث شموس على ظهور أيديهم، بالإضافة إلى اتفاقنا معهم أن يلبسوا أوشحة سوداء على أعناقهم خلال الاجتماع، كي نتعرف عليهم بسهولةٍ ولا نشتبك معهم.

(أفسار): وهل نجحتم في القضاء علي السحرة في «هجر»؟

(مهربان): بعد وصولنا لـ «هجر» ودخولنا إليها خلسة ليلًا، توجهنا إلى مكان الاجتماع الذي أرشدنا إليه حلفاؤنا، فوجدنا أن أعداد أعدائنا أقل بكثير مما تصورنا، فقد كانت أعداد حلفائنا تعادل ضعف أعدادهم، مما أثار استغرابنا في البداية، لكن هذه الغرابة زالت بمجرد أن اشتبكنا معهم.

(أفسار): لماذا؟ ... ما الذي حدث؟

(مهربان): لقد كانوا أقوياء جدًا حتى صغار السن منهم، كانوا يستخدمون طلاسم قوية لم نتعود على من في مثل أعمارهم أن يستخدمها، لكننا في النهاية أبدناهم جميعًا بالرغم من الخسائر التي لحقت بنا وبصفوف حلفائنا.

(أفسار): ما زلت أنتظر الجانب السيئ فيما تقول، فكل ما قلته شيء مفرح.

(مهربان): النكسة أتت في اليوم التالي ... بعد إبادتنا لسحرة «هجر» ومبايعة حلفائنا لنا على السمع والطاعة، قررنا المبيت في البستان الكبير خارج «هجر» ومن ثم الرحيل في الصباح الباكر قبل أن يلحظ أحدٌ وجودنا، لكن فيما يبدو أن مجموعة منهم استطاعت الهروب خلال المعركة، وتمكنت من إبلاغ سحرة «اليمامة» بوجودنا على أرض «عربستان» فاستيقظنا منتصف الليل على مجزرة بدأت خلال نومنا.

(أفسار): ألم تسطيعوا مقاومتهم؟

(مهربان): قاومنا في البداية، لكن المعركة امتدت إلى بداية الفجر لنفاجأ بدخول سحرة «الحجاز» علينا يتبعهم سحرة من «الجنوب»

(أفسار): وماذا حدث؟

(مهربان): كانت مجزرة بمعنى الكلمة ... حتى دخول بعض حلفائنا من «هجر» في المعركة، لم يغير من الأمر شيئاً، بل قضى عليهم بالكامل.

(أفسار): وكيف نجوت ياعمي؟

(مهربان): السحرة المتمكنون استطاعوا الهروب بطلاسم الانتقال عندما رأوا أن المعركة بدأت تحسم لصالح سحرة العرب، أما البقية فلقوا حتفهم هناك، وعرفت هذه المعركة بـ (بستان الدم)، ومنذ ذلك الوقت لا أحد من سحرة «فارس» يفكر بالعودة لـ «عربستان»

(أفسار): وماذا عن حلفائكم؟

(مهربان): من لم يشارك في تلك المعركة نجا، وبقي مختفيًا وكما سمعنا لاحقاً ممن هاجروا إلى «فارس» بأن جميعهم أزالوا وشومهم إما بالحرق، وإمّا بالسلخ خشية أن تكشف هويتهم وانتماؤهم، ويتعرضون للتصفية.

(أفسار): ...

(مهربان): ...

(أفسار): هل قتل (وصبان) في تلك المعركة؟

(مهربان): لا أعرف.

(أفسار): من يعرف إذاً؟

(مهربان): اسمعي يا (أفسار) أعرف بأني لن أستطيع منعك من الذهاب إلى «عربستان» للثأر لأبيك، لكن ما أستطيع القيام به هو إعدادك وإرشادك إلى الطريق الصحيح في تحقيق مسعاك.

(أفسار): وماهو هذا الطريق ياعمي؟

(مهربان): بأن تتعلمي السحر من أفضل السحرة في «فارس» وهذا لن تجديه عندي.

(أفسار): أين أجده إذاً؟

(مهربان): سأخبرك عندما تكوني مستعدة.

(أفسار): ومتى سيحين ذلك اليوم؟

(مهربان): أنتِ الآن في الخامسة عشرة من عمرك وما زلت صغيرة على مثل هذه الرحلة الشاقة، لكنني أعدك بأني سأعدك لذلك اليوم الذي تكونين فيه جاهزة للذهاب للقاء كبار السحرة في البلاد.

(أفسار): ومتى سنبدأ؟

(مهربان) مبتسماً: لقد بدأنا بالفعل بمجرد دخولك هذا الكهف أول مرة.

خلال عشر سنوات... تلت هذا اليوم، أمضت (أفسار) أيامها في تعلم القراءة والكتابة وبعض العلوم المتفرقة التي كانت تتلقاها من عمها بشغف، ولم تدخل مجال السحر والطلاسم بشكل مفصل إلا بعد تجاوزها العشرين من عمرها، فبعد تجاوزها هذه السن بدأ عمها باصطحابها إلى تجمعات السحرة، وشاهدت لأول مرة في حياتها في تلك التجمعات جنّاً وشياطين متشكلة، وهم يخدمون هؤلاء السحرة وتعلمت بعض الطلاسم البسيطة للتحكم ببعضها... كانت تتعلم بسرعة أذهلت عمها الذي فقد الأمل في تعليم أيّاً من أبنائه هذا المجال، فـ (برهم) تزوج وامتهن الحدادة، و(باران) تزوجت أيضًا وانجبت ثلاثة من الأحفاد لـ (مهربان) وأصبحت ربة منزل، لذا كان أمله الوحيد في توريث علمه هو (أفسار) وشغفها.

كانت (أفسار) عازفة عن الزواج بشكل كبير بالرغم من محاولة خالتها المتكررة لتزويجها، لكنها كانت ترفض دائمًا وبشدة، وكانت تقول: إن

هذا الأمر يتعارض مع هدفها الذي كرست حياتها له، بالرغم من أن عمها لم يتفق معها، لكنه لم يجبرها.

عندما بلغت (أفسار) السابعة والعشرين من عمرها، لم يبق شيءٌ من علم عمها لم تنهله، ولم يبق كتابٌ في صندوقه لم تقرأه، لذا سألت عمها يومًا وهو يتناول طعامه لوحده وقالت: ... من هو؟

(مهربان) وهو يبلع لقمة: عمّن تتحدثين؟

(أفسار): الذي سينقلني للمرحلة الثانية؟

(مهربان) وقد بدا الحزن على وجهه: هل أنتِ متأكدة من طلبك يا (أفسار)؟

(أفسار) بثقة: نعم ... من هو؟

(مهربان): كبير السحرة في «تخت سليمان»

(أفسار): كيف أجده؟

(مهربان): لا أحد يعرف أين مكانه بالتحديد، لكنه قريبٌ من هنا.

(أفسار): سأرحل للبحث عنه إذاً.

(مهربان): عندما ترحلين لا تودعيني، ولا تخبريني بموعد رحيلك

(أفسار) باستغراب: لماذا ياعمي؟

(مهربان): لأني لن أبحث عنك، وسأعتبرك في عداد الأموات.

(أفسار): ...

(مهربان) وهو يتناول لقمة من طعامه: ...

غادرت (أفسار) في تلك الليلة منزل عمها وإلى الأبد، ولم تودعه أو تودع خالتها (براح) وتوجهت نحو وادي «تخت سليمان» بحثًا عن كبير السحرة هناك.

***



# بذرة الشيطان

عند منتصف الليل أكملت (أفسار) حديثها لـ (أنهار) وروت لها قصتها مع الراعي وساحر جبل (آريان) الذي قايض علمه بابنتها (نزيم)، وكذلك كيف غدر بها ساحر الجبل عندما كشف عن وجهه، وطعنها في غفلة منها، لتسقط من أعلى الجبل سقوطًا كاد أن يودي بحياتها، لولا مساعدة شخص غريب لها أبقاها في كوخ فوق الجبل البارد لسنوات طويلة، قدم لها فيها تلك الكتب العربية النادرة التي رفعت من مستواها، ومن قدرتها في السحر أكثر من السابق بكثير.

أكملت (أفسار) حكايتها لـ (أنهار) وأخبرتها عن لقائها الأول بـ (نازانين) وجدتها في تلك القرية الصغيرة أسفل الجبل البارد، وكيف أمضت معها سنوات طويلة تعمل في الخياطة.

هنا قاطعت (أنهار) خالتها وقالت:

وهل نسيتِ ثأرك من الساحر الكبير؟ .. كيف قضيتِ كل تلك السنوات في القرية دون أن تفكري بالعودة إلى كبير السحرة في «تحت سليمان» للانتقام منه بعدما خدعك، خاصة بعد تعلمك كل تلك



العلوم من تلك الكتب العربية والتي بالتأكيد جعلت منكِ أقوى من السابق بكثير؟

(أفسار) وهي تبتسم وتحدق بالنار المتراقصة أمامها:

ومن قال لكِ بأني لم أعد لذلك الوغد؟

(أنهار): وهل قتلته... قتلت زوجك؟

(أفسار) وهي تلتفت على (أنهار) بغضبٍ وصوتٍ مرتفع:

لم يكن زوجي!

(أنهار): ...

(أفسار) وهي تعيد نظرها إلى النار بوجهٍ حزين:

بعد قراءة تلك الكتب العربية، عرفت أن ساحر الجبل لم يكن زوجي.

(أنهار): كيف؟

(أفسار): قرأت عن طلسم التشكل.

(أنهار) باستغرابٍ: طلسم التشكل؟!

(أفسار): نعم ... التشكل صفة يختص بها الجن، والشياطين فقط، لكن هناك طلسم يعطيك تلك الخاصية لفترة محدودة.

(أنهار): كيف؟ ... لم أفهم.

(أفسار) وهي تقلب النار التي أمامها بعصا:

منذ قراءتي لتلك الكتب أدركت أن أهل «عربستان» متفوقون على

«فارس» كثيرًا فيما يختص بالسحر الأسود.

(أنهار): ماهو السحر الأسود؟

(أفسار): سحر جلبوه معهم من الأرض السوداء ... طلاسم لعينة أغلبها لا ينفذ إلا بالدم وإراقته.

(أنهار): ...

(أفسار): لذا أحرقت جميع تلك الكتب بعد رحيلي من الكوخ، فهذا العلم يجب ألاّ يورث

(أنهار): ...

(أفسار): طلسم التشكل هو طلسم يمكن لحافظه اتخاذ شكل أي شخص رآه من قبل ... لذا تأكدت وقتها أن من كنت أتقاتل معه على قمة الجبل في «تخت سليمان» لم يكن زوجي.

(أنهار): وكيف كنت متأكدة؟

(أفسار): نحن لا نرى من نحب بأعيننا بل بقلوبنا ... وأنا لم أرَ زوجي ذلك اليوم عند قمة الجبل.

(أنهار): وماذا حدث عندما عدت يا خالة؟

(أفسار): لم أكن أريد إثارة الشبهات حولي عند جدة (نازانين) لذا عدت بعد شهر تقريبًا في إحدى الليالي إلى «تخت سليمان».

(أنهار): هل لي بسؤال ياعمة؟

(أفسار): ماهو؟

(أنهار): عندما كنت في الكوخ ولا تقوين على الحراك، لِـمَ لم تستدعي مارد الخاتم ليساعدك ... ألم يكن الخاتم معك وقتها؟

(أفسار): بلى... لكن لو كنت قد استدعيته لفتك بي.

(أنهار): لماذا؟ .. أليس مسخرًا لخدمة صاحب الخاتم؟

(أفسار) وهي تبتسم: لا تطلبي المساعدة أبدًا من الشياطين، وأنت في حالة ضعفٍ، لأنهم لن يساعدوك وسيغدروا بك .. لا تنسي هذا أبداً يا هجينة.

(أنهار) باستغراب: حتى وهي مسخرة؟

(أفسار): نعم ... لا يمكنك أن تأمني شرها الا إذا قطعت عهد ولاء لك وهذا نادر الحدوث ... تذكري ذلك جيدًا.

(أنهار): حاضر.

(أفسار) وهي تأخذ شهيقاً وتزفره:

عدت إلى قمة الجبل، ووجدت الساحر الكبير مع بعض أعوانه مجتمعين كعادتهم لم يستغرق الأمر مني وقتًا طويلًا، حتى مزقتهم جميعًا لأشلاء ... كنت أريد الانتقام بشدةٍ ... كنت أريد أن ارتاح.

(أنهار): وهل ارتحت بعدها؟

(أفسار) وهي تنظر للأرض: لا.

(أنهار): لماذا ...؟

(أفسار): لا أعرف ... وجدت نفسي أعود إلى القرية، وثأر أبي نصب عيني .. الانتقام كماء البحر لا يروي عطشنا مهما شربنا منه ..

(أنهار): حتى بعد أن ثأرت له من ساحرة «عربستان»؟

(أفسار): حتى بعد ذلك لم تنطفئ نار قلبي.

(أنهار): ومتى تنطفئ تلك النار ياخالة؟

(أفسار): بموتي ربما.

(أنهار): ...

(أفسار): المهم الآن هو هدفي الجديد، والذي أسعى لتحقيقه.

(أنهار): تقصدين حلم الخال (آشور)؟

(أفسار): نعم ... هذا هو هدفي الآن ... تحقيق حلم أبي الذي اغتاله (وصبان) والهيمنة على أغلب حصص السحرة العرب في «عربستان».

(أنهار): وكيف سنحققه؟

(أفسار): بأن تصبحي أقوى.

(أنهار): أنا؟ ... كيف ...؟

(أفسار) وهي تنظر إلى الأفق: لقد تحدثنا كثيرًا اليوم سنكمل غدًا ... يجب أن تنامي كي تذهبي في الصباح للإطمئنان على أخواتك، والتأكد من قبطان السفينة إذا كان سيرحل قريبًا أم لا.

(أنهار): حاضر ياخالة.

خلدت الاثنتان للنوم بعدها مباشرة.

مع أول بزوغ للشمس استيقظت (أنهار) لتجد خالتها نائمة بجانبها، فلم توقظها وقرأت طلسم الانتقال وانتقلت إلى الساحل الشرقي

مباشرة... وصلت (أنهار) إلى الساحل وتوجهت إلى مرسى سفينة القبطان لتجده يحمل بعض المؤن على سفينته فسألته:

هل اكتمل العدد للرحيل نحو «فارس» أيها القبطان؟

(القبطان) وهو يمسح عرق جبينه بظهر يده:

لم يبق سوى مكانٍ واحدٍ، وسوف نرحل غدًا في كل الأحوال.

(أنهار): شكرًا لك.

توجهت بعد ذلك (أنهار) إلى المكان الذي كانت أخواتها مجتمعات فيه بالأمس للاطمئنان عليهن قبل رحيلها، فوجدتهن نائمات على الساحل فيما عدا (نازانين) التي كانت جالسة بجانبهن تتأمل البحر... اقتربت (أنهار) منها وجلست بجانبها فعانقتها (نازانين) عندما انتبهت إليها بابتسامةٍ عريضةٍ وقالت:

متى وصلت، لم أنتبه لحضورك؟

(أنهار) مبتسمة: وصلت للتو ... السفينة سترحل غداً، كونوا مستعدات.

(نازانين): حمدًا للإله لقد اشتقت إلى منزلنا في «بستك»

(أنهار) وهي تحدق بالبحر بحزن: ..

(نازانين): ما بك .. تبدين حزينة؟

(أنهار): سأشتاق لـ «ديلم»

(نازانين) وهي تبتسم:

الرحلة في البحر لن تستغرق سوى أيامٍ معدودةٍ، وسنكون بعدها في وطننا.

(أنهار) وهي تمسح دمعة صغيرة نزلت من عينيها وتقف بسرعة:

يجب ألاّ أتأخر على الخالة كونوا مستعداتٍ غدًا.

(نازانين) باستغرابٍ: ما بك؟

لم ترد (أنهار) على (نازانين) وأدارت لها ظهرها وقرأت طلسم الانتقال واختفت.

(مهرناز) وهي تستيقظ من النوم وتدعك عينيها:

مع من كنتِ تتحدثين يا (ناز)؟

(نازانين) وهي تحدق في المكان حيث كانت (أنهار) تقف فيه: لا أحد .

عادت (أنهار) إلى البستان الكبير حيث كانت (أفسار) في انتظارها، وأمامها طائر تقلبه على النار فقالت، وهي تضحك متعجبة:

ما هذا ياخالة؟

(أفسار) وهي تبتسم: غداؤنا.

(أنهار) وهي تجلس بجانب (أفسار) بوجه حزين قليلًا:

(أفسار) وهي تقلب الطائر على النار: هل ودعتِ أخواتك؟

(أنهار): لم أستطع .

(أفسار): لا بأس ... سترينهم بعدما تثبتين جذورك في «هجر»

(أنهار): لا أظنني أستطيع القيام بهذه المهمة الصعبة ياخالة.

(أفسار) وهي تتذوق الطائر لتتأكد من نضجه:

ستنجحين ... سوف تتعلمين مني طلاسم لم تحلمي بها يا هجينة.

(أنهار) بحماس: مثل ماذا؟

(أفسار) وهي تمد الطائر لـ (أنهار): كلي أولًا... ولنتحدث بعد تناولنا الطعام

بعدما تناولت الاثنتان طعامهما أخبرت (أنهار) خالتها بما قاله القبطان فقالت (أفسار):

هناك وقت كاف لأعلمك ما أريد تعليمك.

(أنهار): أنا جاهزة ياخالة.

(أفسار): بعد هلاك ابنة (وصبان) وعصبتها أصبحت «عربستان» بلا ملجأ لساحراتها، لذا أريد منكِ أن تكوني هذا الملجأ.

(أنهار) باستغرابٍ: ... كيف؟

(أفسار): ابدئي بـ «هجر» ... جندي سحرتها واجعليهم تحت إمرتك ومن يعارضك اقضي عليه دون جدال وسيحترمك الآخرون ... لكن احذري أن تقومي بذلك كساحرة فارسية، توشحي بعروبتك كي لا تثيري بقية السحرة في المناطق الأخرى.

(أنهار): وماذا عن السحرة في «هجر» لست ندًا لهم مهما كنت متمكنة.

(أفسار): ستكونين ندًا لهم، وسيكون معكِ من يساعدك.



(أنهار): من؟

(أفسار): حلفاء أبي لم يندثروا جميعًا ... ما زال منهم بقية.

(أنهار): وكيف سأعرفهم؟ وكيف سيتعرفون عليّ؟

(أفسار): وشم الثلاث شموس ... هل نسيته؟

(أنهار): ألم تقولي بأنهم تخلصوا من وشومهم خشية الانكشاف؟

(أفسار): نعم ... لكنهم لم يتخلصوا منها تمامًا ... لقد بدلوا مكانها فقط

(أنهار): وأين هو الوشم الأن؟

(أفسار): على صدورهم.

(أنهار): كيف عرفتِ ذلك؟

(أفسار): هذا ما أخبرني به عمي، قبل رحيلي عن المنزل بأشهر.

(أنهار): وكيف سيتعرفون هم عليّ؟

(أفسار): لا يهم تعرفهم عليك في الوقت الحالي، المهم أن تؤسسي عصبتك في «هجر» وفي أسرع وقت، وأن تتخلصي من أي منافسٍ يعترض طريقك.

(أنهار): حاضر ياخالة.

(أفسار): والآن سوف ألقنك الطلاسم التي ستجعلك أقوى ساحرة في «هجر»

(أنهار): لا أظن أن الوقت سيكون كافيًا.

(أفسار): لن أعلمك إلا عدداً محدوداً من الطلاسم، لكن قوتها تعادل مئات الطلاسم التي تعرفينها.

أمضت (أفسار) بقية ذلك النهار وطيلة ليله في تعليم (أنهار) طلاسم من الدرجة الأولى، والتي كانت أحد أسرار (أفسار) التي لم تفصح بها لأحد من قبل، لكن سرعة بديهة (أنهار) وقدرتها على الحفظ القوية والسريعة، وحرصها على تجهيزها لتلك المهمة، جعلها تتنازل عن أسرار تلك الطلاسم... مع اقتراب الفجر انتهت (أفسار) من تلقين (أنهار) تلك الطلاسم فقالت وهي تبتسم:

كيف وجدت الطلاسم الجديدة ياهجينة؟

(أنهار) وهي تنظر إلى كفيها بانبهار وتعجب: لَم لم تعلمينا هذه الطلاسم من قبل ياخالة؟

(أفسار): هذه الطلاسم في يد من لا يحسن استخدامها تكون كارثة.

(أنهار) وهي مازالت تحدق بكفيها: لن أخذلك ياخالة ... أعدك.

(أفسار): احذري من استخدام طلاسم السحر الأسود، بكثرة لأنها ترهق الجسد

(أنهار): حاضر يا خالة.

(أفسار): سأذهب الآن يا هجينة.

(أنهار) وهي تعانق (أفسار): قبلي أخواتي نيابة عني.

(أفسار) وهي تضع يدها على ظهر (أنهار) مبتسمة:



تعرفين أني لن أفعل ذلك ... اذهبي الآن إلى «هجر» ولا تعودي إلى «فارس» أبدًا قبل أن تنجزي مهمتك.

(أنہار) وهي تفك عناق (أفسار) وتمسح دموعها:

إلى اللقاء ياخالة.

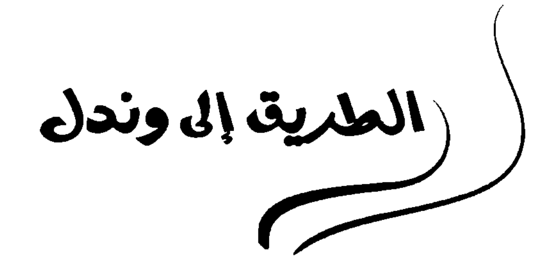
قرأت (أنہار) طلسم الانتقال واختفت.

(أفسار) وهي تنظر في الأفق: وداعًا يا هجينة.

قرأت بعدها (أفسار) طلسم الانتقال، وتوجهت إلى الساحل الشرقي.







# الطريق إلى وندل

توجه (أزرق) إلى بلاد «فارس» بعدما طلبت منه (هنان) تقفي أثر (أفسار) وعصبتها وتحديد أماكنهم، وبمجرد اقترابه من سواحلها أخذه الحنين لأرضه التي لم يعد إليها منذ تدمير مملكة الجن الأزرق على يد (عقربة) وأعوانه، فقرر التوجه لـ «جبال البرز» معقل مملكة الجن الأزرق سابقًا للوقوف على ركامها بنفسه.

الجن الأزرق كانوا يستوطنون الكهوف الداخلية للجبال، وبعض تلك الكهوف والفجوات تمتد لأعماق كبيرة لا يصل إليها البشر بسهولة، لذا وعندما وصل (أزرق) إلى تلك الأعماق التي كانت مقر أسرته الحاكمة، وجدها خاوية ولا أثر لأبيه (وندل) أو أخوته، ليتيقن بما أخبرته (دعجاء) في السابق بأنهم مأسورون في مكان ما... أمضى (أزرق) بضع دقائق أمام عرش أبيه الخاوي قبل أن يقرر الرحيل والبدء في البحث عن عصبة (أفسار)، لكن قبل رحيله سمع صوتًا يأتيه من أحد أركان الكهف يقول:

الأمير (أزرق)؟ .. هل هذا أنت؟



(أزرق): من أنت؟! .. أظهر نفسك.

ظهر أمام (أزرق) أحد افراد الجن الأزرق وانحنى أمامه وقال:

لا أصدق بأنك ما زلت على قيد الحياة.

(أزرق): من أنت؟ ... وأين بقية شعبنا؟

(الجني الأزرق):

أنا (رسكل) خادمك المطيع ياسمو الأمير ... حمدًا لله على سلامتك.

(أزرق) وهو يتفحص المكان بنظره:

ماذا حدث لشعبنا يا (رسكل) وأين أبي وأخوتي؟

(رسكل): شعبنا هلك وتفرق بعد غدرك بتاجر «بابل» والقائد (وندل) في الأسر مع الأمير (فردك) والأميرة (قيرن) منذ ذلك الوقت.

(أزرق) بغضب: أنا لم أغدر بأحدٍ، هل تفهم؟!

(رسكل) وهو ينزل رأسه.

(أزرق) بهدوء وهو يحدق بعرش أبيه: أين أبي وأخوتي؟

(رسكل): لقد أخبرتك للتو.

(أزرق) بغضبٍ وصوتٍ مرتفعٍ يشبه الزئير:

هل أصيب ما تبقى من شعبنا بالغباء؟!! ... أين هم مأسورون؟!!

(رسكل) وهو يخر ساجدًا مرتعبًا:

لا نعرف يا سمو الأمير، كل ما نعرفه أنهم خرجوا من هنا مربوطين ومكبلين ..

(أزرق) وقد استعاد هدوءه قليلًا: كم بقي من شعب الجن الأزرق خارج الأسر؟

(رسكل) وهو ما يزال ساجدًا:

عشرات يا سمو الأمير، ربما مئات لست متأكداً، لكن ما أنا متأكد منه أن أغلب من بقي منا في الأسر مسخرين للسحرة.

(أزرق): ...

(رسكل) وهو يرفع نظره قليلًا نحو (أزرق) ...

(أزرق) وهو يجلس على عرش أبيه:

أذهب وأحضر من نجا من شعبنا، وأخبرهم أن الأمير (أزرق) يطلبهم في الحال.

(رسكل): حاضر.

اختفى (رسكل) بينما بقي (أزرق) صامتًا في انتظار عودته.

لم ينتظر (أزرق) طويلًا حتى بدأت جموع من الجن الأزرق بالتجمع أمامه بأعداد تجاوزت المئتين، وكانوا منبهرين لرؤية أحد أفراد الأسرة الحاكمة لشعبهم حرًا طليقًا... بقي (أزرق) يحدق بمن تبقى من شعبه ولم يتفوه بكلمة حتى ظهر (رسكل) من بينهم وقال:

هؤلاء هم من تبقى من شعبنا يا سمو الأمير.

(أزرق) بنظرة ازدراءٍ... وخده متكئٌ على قبضته: ألا تخجلون من

أنفسكم؟

(رسكل) ومن معه من الجن: ...؟

(أزرق) وهو ينهض وعلى وجهه معالم الغضب:

كيف ترضون بالذل؟! ... كيف تتركون الملك أسيرًا في مكان مجهول دون البحث عنه؟!

أنزل بعض الجن الأزرق رؤوسهم خجلًا من كلام (أزرق).

(أزرق) وهو يقف ويتقدم نحو جموع الجن الأزرق: هل أعجبتكم حياة العبودية؟

(أحد أفراد الجن الأزرق): لكن ياسمو الأمير ...

لطم (أزرق) من كان يتحدث بقوةٍ وقال: انتهى وقت الكلام حان وقت العمل!

انحنى كل من كانوا في الكهف على ركبهم، وأنزلوا رؤوسهم في انتظار أوامر (أزرق).

(أزرق): دعوا مسألة البحث عن أبي وأخوتي لي، أما أنتم فكرسوا جهودكم للبحث عن ساحرة فارسية وأعضاء عصبتها ... أريدكم أن تجمعوا أدق المعلومات عنهم، لكن لا تصطدموا معها بأي شكلٍ.

(غفير الجن الأزرق) بصوت واحد: سمعًا وطاعة.

(أزرق): الساحرة تناهز السبعين من العمر، ولقد عادت للتو من

«عربستان» عصبتها مكونة من خمس ساحرات، إحداهن تملك خصلة بيضاء في غرتها وأخرى ملامحها قريبة من ملامح أهل «ديلم»، ووجهها مليء بالندوب، تحركوا الآن.

(غفير الجن الأزرق) بصوت واحد: سمعًا وطاعة.

تفرق الجن من أمام (أزرق) الذي ظل واقفاً لفترة وجيزة يفكر في الطريقة التي سيجد بها أهله، وبعد تفكير وجيز أدرك أن الحل يكمن في «تخت سليمان» .

بعد عدة أسابيع قضاها (أزرق) في تنظيم شعبه، وإعادة بناء جزءٍ يسيرٍ من مملكته المدمرة، قرر أن الوقت حان للتوجه ومقابلة كبير السحرة هناك، لأن أكبر تجمع للسحرة كما هو معروفٌ هو في «تخت سليمان» والسحرة هم وحدهم من يمكنهم إرشاده عن مكان أسرته، وكان يريد أخذ العلم من كبيرهم... رغم أن المخاطرة كانت كبيرة في الظهور في العلن، لأن الجن الأزرق سهل الربط، لكن (أزرق) قرر المخاطرة.

وصل (أزرق) إلى جبل «تخت سليمان» ولم يخبر أحدًا من شعبه بنيته للذهاب هناك، وبسؤال بعض الجن والشياطين القاطنة في تلك المنطقة، علم أن كبير السحرة الذي كان يعرفه سابقًاَ قد مات مقتولًا... والساحر الذي تولى الزعامة بعده قتل أيضاً... وقد انتزعت منه القيادة بالقوة ساحرة أتت من «جبل آريان» وكانت تلقب من قبل أتباعها بـ (جهنم) ونقلت مركز تجمع السحرة من «تخت سليمان» إلى



جبل (آريان)... توجه (أزرق) إلى المكان الذي وصف له بأنه مكان إقامة (جهنم) وأتباعها، حيث كانوا يمارسون طقوسهم الغريبة في السحر التي اعتمدت بشكل كبير على النار... تشكل (أزرق) على هيئة بشرية قبل دخوله حدود منطقة (جهنم) وأتباعها في «تخت سليمان» وبعد مسيرة قصيرة رأى نارًا كبيرة تشتعل يجلس حولها مجموعة من السحرة، وهم في حالة من السكون يتمتون ببعض الطلاسم... اقترب (أزرق) منهم بحذرٍ... وقبل أن يصل إليهم سمع صوتًا يناديه من خلفه يقول:

«أفصح عن غرضك... أو ارحل بسلام ..»

التفت (أزرق) نحو مصدر الصوت ليرى سيدةً في الخمسين من عمرها، تلبس خمارًا أسود يغطي معظم وجهها ماعدا فمها تقف أمامه... استجمع (أزرق) نفسه وقال:

أتيت بحثاً عن الساحرة (جهنم).

(السيدة): لأي غرض؟

(أزرق): أنتِ هي اليس كذلك؟

(جهنم): نعم .

(أزرق): أتيت باحثًا عن (وندل) ملك الجن الأزرق.

(جهنم) وهي تضحك وتسير نحو النار المشتعلة مديرة ظهرها لـ

(أزرق):

هل أنت مخمور أيها الغريب؟

(أزرق): أ تستطيعين مساعدتي أم لا؟

(جهنم) وهي تحدق في اللهب:

وماذا عن (قيرن) و(فردك) ألا ترغب في إيجادهما أيضًا يا (أزرق)؟

(أزرق) بوجه مصدوم: ...

(جهنم) وهي تدير نظرها عن النار وتوجهه نحو (أزرق):

أليس من المفترض أنك مت بعد خيانة شعبك؟

(أزرق) بغضب: أنا لم أخن شعبي!

(جهنم): اخفض صوتك فنحن في مكان عبادة.

(أزرق) باستهزاء: ماذا تعبدون؟ ... تلك النار.

(جهنم) وهي تبتسم: هل أتيت لتستهزئ بنا يابن (وندل)

(أزرق) وهو يكظم غيظه... وينزل رأسه: لا.

(جهنم) وهي تسير نحو (أزرق):

أبي (ياجوت) كان يقول دائمًا: إنك أكثر أبناء (وندل) اندفاعًا.

(أزرق): أنتِ ابنة (ياجوت)؟ .. لم أكن أعرف أن لديه أطفالاً .. هل ما زال على قيد الحياة؟

(جهنم): أبي لم يعد هنا، لقد مات منذ سنوات طويلة.

(أزرق): ...

(جهنم) وهي تعود مرة أخرى وتحدق بالنار:

سوف أقايضك أيها الجني الازرق في مكان أبيك، وبقية أسرتك مقابل معرفة مكان شخص آخر.

(أزرق): من؟

(جهنم): مكان شخص بحثت عنه سنين طويلة، وسخرت من بقي من شعبكم المنكوب لإيجاده، لكنه لم يجد أحدٌ منكم له أثراً.

(أزرق): أنا الأفضل بين شعبي في إيجاد المفقودين ... أخبريني باسمه أو أعطيني أثرًا منه، وسيكون بين يديك في الحال.

(جهنم) وهي تبتسم وتحدق بالنار:

هنا تكمن المشكلة يابن (وندل) فأنا لا أعرف شيئاً عنه.

(أزرق) باستغراب: كيف تريدين مني إيجاد شخص لا تعرفينه؟

(جهنم) وهي تدخل يدها في لهب النار الكبيرة:

لو كان الأمر بتلك السهولة لما احتجت إليك.

(أزرق) وهو ينظر إلى (جهنم) بتوتر:

لكن يجب أن تخبريني شيئًا ولو يسيرًا عن هذا الشخص، كي أستطيع البحث عنه وإيجاده.

(جهنم) وهي ترفع الخمار عن وجهها: أريدك أن تبحث عن امرأة ..

(أزرق): امرأة؟

(جهنمٌ): امرأة أنجبت فتاةً في هذا الجبل قبل خمسين عامًا ... فتاة... أسمتها (نزيم)

(أزرق): وماذا تعرفين عنها أيضًا؟

(جهنم وهي تعيد الخمار على رأسها:

لا شيء ... أحضِرْ لي هذه المرأة وهي على قيد الحياة، وسأخبرك بمكان أسرتك.

(أزرق) بغضب: هل تهزئين بي؟!

(جهنم) وهي تلتفت بهدوء نحو (أزرق):

انتهى اللقاء ... ارحل ولا تعد إلا بهذه المرأة... وإلا لن ترى أسرتك مرة أخرى.

(أزرق) وهو يندفع بغضب نحو (جهنم): ستخبرينني ياساقطة بمكانهم بالقوة.

(جهنم) بهدوء وهي تعقد أصابعها: ما زلت أحمقَ يابن (وندل).

وفي لمح البصر شلت حركة (أزرق) وسقط على الأرض مربوطَاً.

وقف السحرة الذين كانوا حول النار واصطفوا خلف (جهنم) يحدقون بـ (أزرق) المربوط فقالت:

«خذوه بعيدًا عن جبل (آريان) وارموه أسفل الوادي»

نفذ السحرة ما طلبته (جهنم) منهم ورموا بـ (أزرق) في أعمق وادي في جبل (آريان)، ولم يقوموا بفك الربط الذي كان يقيده ورحلوا

عنه ... أمضى (أزرق) أياماً في قاع الوادي بلا حراك ... وشيئًا فشيئًا تحولت الأيام إلى أسابيع وبدأ الجوع والعطش يتمكن منه، وأخذت قواه تخور تدريجًا، وأوشك على الهلاك، وقبل فقدانه للوعي بقليل سمع نعيق غراب حط بجانبه... تعرف (أزرق) على الغراب وعلم أن (هنان) قد أرسلته لأنها بدأت بالقلق عليه ... فبدأ بالصراخ في الغراب وهو يقول:

أخبر (هنان) أنني في وادي جبل (آريان) ... .أخبرها أيها الغراب الأحمق.

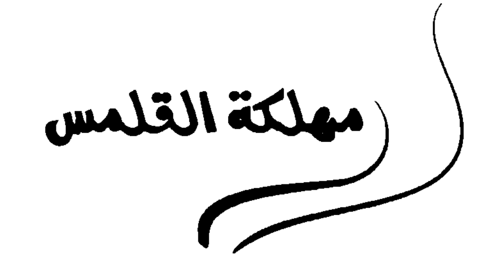
حلق الغراب بعد صراخ (أزرق) مباشرة تاركًا (أزرق) خلفه يصرخ، ويحاول فك

قيوده بلا جدوى.

***







# مهلكة القلمس

عادت (أفسار) من البستان الكبير الى الساحل الشرقي، بعدما أمرت (أنهار) بالتوجه لـ «هجر» والبدء في تأسيس عصبة السحرة التي ستكون حليفة لها ولبلاد «فارس»، وعند وصولها إلى ضفاف الساحل وجدت بقية عصبتها يستحممن في البحر، وبمجرد رؤيتهن لها خرجن فرحات بعودتها:

(أرتميس) وهي تعصر الماء من شعرها مبتسمة: افتقدناك ياخالة.

(جريرة) وهي تبتسم: هل حان وقت الرحيل؟

(أفسار) مبتسمة: نعم ... هيا لنذهب إلى مرسى السفينة، قبل أن يرحل القبطان.

(نازانين) باستغراب: أين (أنهار) ياخالة؟

(أفسار): لن تأت معنا.

(مهرناز) بقلق: لماذا؟ .. ماذا فعلت؟

(أفسار): لم تفعلْ شيئاً .. ولا تكثرن الأسئلة كي لا نتأخر هيا لنذهب.

تحركت الفتيات خلف خالتهن، وهنَّ في تعجب مما قالته، لكن لم يناقشنها ..

وصلت العصبة إلى مرسى السفينة، ورأين الركاب يركبون على متنها واحدًا تلو الآخر والقبطان ينظر إليهم في انتظار فك عقدة الحبل المقيد في المرسى... بدأت العصبة في الصعود إلى السفينة وبعد صعودهم جميعًا قال القبطان لـ(أفسار):

بقيت واحدة.

(أفسار) وهي تجلس في إحدى زوايا سطح السفينة: العدد مكتمل ولن أطالبك بأجرها.

(القبطان) وهو يفك العقدة: لنرحل إذاً.

(مهرناز) وهي تجلس بجانب (أرتميس) التي سبقتها بالجلوس: انظري هناك..

(أرتميس) وهي تبحث بنظرها: أين ...؟

(مهرناز) وهي تشير بأصبعها إلى أحد الركاب:

هناك ... ذلك الصبي الذي يجلس بجانب الكهل ذي اللحية البيضاء.

(أرتميس) باستغرابٍ:

أليس ذلك الصبي هو الذي كان يعزف الآلة الوترية عند الشاطئ؟

(جريرة) وهي تنظر إلى الصبي بوجه متجهم: هو بعينه.

(نازانين) وهي تضحك وتغطي أسنانها بكفها:

لم أتعرف عليه بسبب الرباط الكبير على رأسه ... ماذا فعلت به يا (مهرناز)؟

(مهرناز) وهي تسند ظهرها إلى القارب وتبتسم:

ألم تريّ كيف عزفت على رأسه بآلته الوترية؟

(أرتميس) وهي تضحك: أنتِ مجنونة!

(مهرناز) وهي تبتسم وتغمض عينيها: في الجنون جاذبية لا أجدها في العقلانية

(جريرة) وهي متجهمة: المهم أنه نال ما يستحق.

(القبطان) وهو يخاطب الجميع بالفارسية:

رحلتنا إلى «فارس» سوف تستغرق من ثلاثة إلى أربعة أيامٍ، لو كانت الرياح مواتية، وأكثر بقليل لو لم يحالفنا الحظ برياح منتظمة وقوية ... في كل الأحوال يجب أن تدركوا أن السفر في البحر، وإن كان لرحلة قصيرة يحمل في طياته مخاطر جمة... وأهم مصدر لتلك المخاطر هو عدم اتفاق الركاب فيما بينهم، فأنا قد شهدت وقطعت الكثير من الرحلات بين «فارس» و«عربستان» ولم يمت أحدٌ يومًا من الجوع، أو العطش، أو حتى من المرض، لكن كل من ماتوا خلال سنوات إبحاري، كان بسبب ركاب آخرين اختلفوا، أو قرروا الصدام معهم... أنا هنا القائد والآمر والناهي، وما أقوله... قانون ينفذ بلا نقاش ومن لديه اعتراض على ما قلته للتو... فليترجل الآن من سفينتي .

صمت الجميع ولم يعترض أحد.

(القبطان) بالفارسية: قبلِ أن نتحرك يجب أن يعرّف الجميع بنفسه... والمتحدثون بلسان «عربسان» ولا يجيدون الفارسية سأتحدث معهم بلسانهم...أعاد (القبطان) كلامه السابق بالكنعانية، وهي أكثر اللغات الدارجة في (جزيرة العرب) آنذاك.

كان عدد الركاب ثلاثة عشر راكبًا بمن فيهم القبطان الذي أشار بيده نحو (جريرة) وقال بالفارسية: عرفي بنفسك.

(جريرة) وهي مرتبكة: أنا (جريرة) ... راقصة شيش من «قشابي».

(القبطان) وهو يشير بسبابته نحو (أفسار): وأنتِ؟

(أفسار) وقد بدا على وجهها الاستياء من طريقة (القبطان) في الحديث معها:

(أفسار ابنة آشور) ... خياطة.

(القبطان): من أي بلد؟

(أفسار) بتجهم: وما شأنك بمسقط رأسي؟

(القبطان) وهو يبتسم: كي أعرف أين أعيد جثتك ... لو حدث لكِ مكروه.

(أفسار) وهي تحيد بنظرها إلى الأفق بتجهم: ألقها في البحر.

(القبطان) وهو يبتسم: لكِ ذلك.

(أفسار) تتجهم ..

(القبطان) وهو يشير لـ (أرتميس) مبتسماً بسبب تجهم (أفسار):
وأنت يافتاة عرّفي بنفسك.
(أرتميس): (أرتميس) ... بائعة فستق من «كرمان»
(القبطان) بالفارسية وهو يشير لأمرأةٍ كبيرةٍ في السن ذات أظافر طويلةٍ، وتلبس خمارًا أحمر يغطي رأسها وجسدها بالكامل ولا يظهر إلا شفتيها:
و أنتي ياخالة عرفي بنفسك.
(المرأة) بالعربية: (نافجة ابنة أملج) ... تاجرة من «هجر».
(القبطان) بالعربية وهو مبتسم:
لما لا تردين بالفارسية بما أنك تجيدينها فيما يبدو؟
(نافجة): طعمها مرٌّ على لساني ..
(أفسار) تلتفت بأعينٍ غاضبةٍ نحو (نافجة) ..
(القبطان) بالفارسية لبقية الركاب: هذه (نافجة ابنة أملج) .. تاجرة من «هجر»
(القبطان) بالفارسية وهو يشير بأصبعة مبتسماً نحو الصبي الذي كان يعزف الآلة الوترية:
وأنت أيها الصبي ملفوف الرأس عرّف بنفسك؟
أمسك الرجل الذي كان بجانب الصبي أكتافه بتوترٍ وقال بالعربية:
نحن لا نجيد الفارسية، لكن هذا ابني (رخو) وأنا أبوه (جهير) عازفان من «سوبارو» ونحن ذاهبان لـ (فارس) كي ...

(القبطان) مقاطعًا (جهير) بالعربية: يكفي، يكفي ... لا أحتاج لمعرفة المزيد

(جهير) ينزل رأسه: ...

(القبطان) بالفارسية: هذا الرجل هو (جهير) والصبي بجانبة هو ابنه (رخو) وهما عازفان من «بلاد الفراتين» .

(جريرة) تنظر إلى الفتى نظرةً حادةً.

(رخو) ينزل رأسه.

(القبطان) بالفارسية وهو يشير بسبابته لـ (مهرناز):

وانت؟ ... عرفي بنفسك.

(مهرناز) وهي تقف على قدميها وتخاطب الجميع بابتسامة وحماس:

أنا (مهرناز) وارموني في البحر كخالتي لو مت.

(القبطان) وهو ينظر إليها ببرود: هل انتهيتِ؟

(مهرناز) وهي تجلس: نعم.

(أرتميس) تضحك و(أفسار) تبتسم.

(القبطان) بالفارسية وهو يشير إلى رجل ضخم مفتول العضلات، يجلس في آخر السفينة، ممسكًا بأحد أشرعتها ويحدق بالبحر:

وأنت أيها الضخم؟ ... عرّف بنفسك.

(الرجل الضخم) دون أن يلتفت إلى القبطان: ...

أعاد القبطان كلامه بالعربية، لكن الرجل الضخم لم يرد عليه واستمر بالتحديق في الأمواج ...

(القبطان) بصوت مرتفع قليلًا: عرف بنفسك أو انزل من سفينتي!

(الرجل الضخم) وهو ما زال محدقًا بالبحر: ...

نزل القبطان من دفة القيادة وتوجه إلى الرجل الضخم كي ينزله، لكن قبل وصوله إليه تحدث الرجل بالعربية، دون أن يلتفت إلى القبطان وقال:

(طود) ... «وادي سوق».

(القبطان) وعلى وجهه نظرةٌ يخالطها الاستغراب والتجهم:

انزل من سفينتي الآن!

(نافجة) بالعربية وبهدوء دون أن تلتفت إلى القبطان:

لقد عرف بنفسه ... اتركه وشأنه.

(القبطان) بغضب: لا شأن لكِ بالأمر! .. أنا لا أقل أحدًا من «وادي سوق» على سفينتي ..!

(نافجة): هل أخبرته بذلك قبل أن تأخذ ماله؟

(القبطان) بتوترٍ: لا...

(طود) وهو يحدق بالبحر .

(نافجة): إذاً... لا حق لك بطرده ... عد إلى مكانك.

(أفسار) تراقب النقاش بتجهم..

(القبطان) وهو يشير بسبابته لظهر (طود) ويتحدث بالعربية بغضب:

لو تسببت في أيّة مشكلة سأرميك في البحر!

(نافجة): لا تهدد بما لن تستطيع فعله به ... عد إلى دفة سفينتك أيها القبطان

وأكمل حديثك، واترك ابن جلدتي وشأنه .

(القبطان) لـ (نافجة) بغضب بالعربية: وما شأنك أنتِ؟

(نافجة) بهدوء: الصمت حكمة إلا عندما ترى ظلمًا أو تسمع حماقة.

(أرتميس) تومئ برأسها لخالتها بالتدخل.

(أفسار) تنظر لـ (نافجة) وتشير بيدها خفية لـ (أرتميس) بعدم التدخل.

عاد (القبطان) غاضبًا إلى مكانه وقال بصوت مرتفع بالفارسية:

وأنت؟ ... عرف بنفسك.

قفز الشخص الذي كان القبطان يوجه كلامه نحوه مرتعدًا وقال:

أنا (آزاد).

ضحكت (أرتميس) عندما رأت (آزاد) مرتعدًا وخائفاً من القبطان، مما جعل القبطان يلتفت نحو (نازانين) ويصرخ ويقول:

ومن أنتِ؟

(نازانين): (نازانين) مع الخالة (أفسار).

(القبطان) وهو يأخذ نفسًا عميقًا ويزفره: وأنت؟ ... عرف بنفسك...

رد عليه بالعربية شاب أسمر البشرة يرتدي ملابس ممزقة عليها بعض قطرات الدماء، وظهره ورقبته مليئة بالندوب وقال:

أنا (عنبس).

(القبطان) باستهزاء: (عنبس) ابن من؟

(عنبس) يتجهم.

(القبطان): وأين سيدك؟

(عنبس) وهو ينظر إلى قطرات الدم على ملابسه:

بعض منه على ملابسي ..

(القبطان) بتوتر: لا يهمني الأمر.

(عنبس) يبتسم.

(القبطان) بالفارسية: وأنت أيها الكهل عرف بنفسك كي نرحل من هنا فأنت آخر المجموعة

(كهل ذو لحية بيضاء) بالعربية مبتسماً: أنا (كلكامش) من (المسرة).

(أفسار) بالعربية مبتسمة: عين الشرق.

(كلكامش) مبتسماً: نعم.

(أفسار) بالفارسية: طالما رغبت في زيارتها.

(كلكامش) بالفارسية مبتسماً: ستحبينها.

(أفسار) مبتسمة: هل تجيد الفارسية؟

(كلكامش) بالفارسية مبتسمًا: ولغات كثيرة غيرها.

(أفسار) تحدق مبتسمة بـ (كلكامش).

(مهرناز) وهي تهمس في أذن (جريرة): ما بها الخالة؟

(جريرة) وهي تبتسم بخبثٍ:

لا أعرف، لكن يبدو أنها معجبة بذلك الشيخ؟

(مهرناز) وهي توكز كتف (جريرة): هل أنتِ حمقاء؟

(القبطان) بصوت مرتفع للجميع: سوف نتحرك الآن فالرياح مواتية!

رفع القبطان أشرعته وتحركت السفينة باتجاه «فارس» وكان الوقت أول النهار أمضى المسافرون ساعات في البحر حتى توقفت السفينة، عندما توقفت الرياح تمامًا.

(أرتميس): لماذا توقفنا؟

(أفسار): سوف نتحرك مرة أخرى عندما تهب الرياح.

(نازانين): ومتى سيحدث ذلك؟

(القبطان) وهو يتفحص الأشرعة: هذا في علم الغيب.

(مهرناز): وماذا سنفعل إلى ذلك الوقت؟

(القبطان) وهو يفتح صندوقًا:

سنتناول الطعام، وسيأخذ كل واحد منكم حصته من الماء والزاد لهذا اليوم.

(جهير) بالعربية لـ (القبطان):

هل يمكنني أن أسبح قليلًا في البحر أيها القبطان؟

(القبطان) بالعربية: لا ... فالمكان ليس آمناً.

(جهير): أرجوك أنا لا أستطيع تحمل حرارة الشمس، أعدك بأني لن أطيل.

(القبطان) بالعربية بغضب: النساء هنا لم يشتكين من الحر، وأنت تريد السباحة!

(جهير) ينزل رأسه.

قام القبطان بتوزيع حصص الطعام والماء على الركاب، وأخبرهم أن الماء شحيح لذا يجب أن يقتصدوا فيه وأن يحتسوه على جرعات وليس دفعة واحدة... الماء كان يصب من قربة كبيرة في قرب صغيرة، وزعها القبطان بالتساوي بين الجميع وكان القبطان يملأ تلك القربة الكبيرة من برميل كبير على متن السفينة... بدأ الجميع بالأكل ماعدا (طود) الذي لم يلتفت لطعامه، ولم يمد قربته الصغيرة ليملأها القبطان بالماء... وظل يحدق بالبحر من مقدمة السفينة.

(مهرناز) هامسة لـ (نازانين) وهي تلوك قطعة من الخبز في فمها:

ما حكاية هذا الرجل الضخم؟

(نازانين) وهي تشرب بعض الماء من قربتها:

لا أعرف، ولا تتدخلي فيما لا يعنيك.

(جريرة) وهي تنضم إلى حديثهم: هذه الرحلة مخيفة.

(نازانين): لماذا؟

(جريرة): ألا ترين أشكال من معنا؟ ... أغلبهم يبدو عليهم الشر والكراهية اتجاهنا.

(مهرناز): هل تعرض أحدهم لكِ بسوء؟

(جريرة) وهي تحيد بنظرها نحو (رخو) متجهمة:

لا أحد سوى ذلك الصبي الأحمق!

(مهرناز) وهي تقضم قطعة من الخبز:

وقد حطمت رأسه لك وانتهى الأمر ... لا تقلقي والخالة معنا.

(جريرة): انظري إلى الخالة.

(نازانين): مابها؟

(جريرة): لا تكف عن التحديق بتلك المرأة التي تغطي وجهها.

(مهرناز) وهي تبتسم: لم أنتبه لذلك، لكني انتبهت لشيء آخر.

(نازانين) و(جريرة) بصوت واحد: ماذا؟

(مهرناز) وهي تومئ بوجهها تجاه (أرتميس):

فتاة الفستق تحدق بذلك الشاب طيلة الرحلة وتبتسم كلما قام بشيء أحمق.

(نازانين) و(جريرة) يحولان نظرهما نحو (أرتميس) و(آزاد).

(نازانين) مبتسمة: فعلًا.

(جريرة): انظري إليها وهي تحدق به، وتبتسم على طريقته الغبية في الأكل.

(مهرناز) مبتسمة: وهو لا يعرف بأنها تحدق به من الأساس.

(نازانين): أكملا طعامكما، وأتركاها وشأنها.

(القبطان) مخاطباً الجميع بالفارسية والعربية:

الرياح بدأت بالتحرك ... سوف نتحرك معها قبل أن تتوقف أغلقوا قرب الماء الخاصة بكم، كي لا ينسكب محتواها.

سار (القبطان) مع الرياح لفترة، وقبل المغرب بقليل توقفت الرياح مرة أخرى فجلس يشرب بعض الماء... جلس الركاب بصمت يحدقون ببعضهم البعض ماعدا(جهير) الذي كان نائمًا ويشخر... بدأت بعض الأحاديث الجانبية تدور بين الركاب.

(أفسار) لـ (كلكامش) بالفارسية: الى أين أنت ذاهب في «فارس»؟

(كلكامش) مبتسماً: وجهتي ليست «فارس» بل بلاد «السند».

(أفسار): «السند»؟ .. لأي غرض؟

(كلكامش) مبتسماً: أنا دائم الترحل إليها.

(أفسار) مبتسمة: أليس السفر في هذا العمر فيه مشقة عليك؟

(كلكلمش) مبتسماً: من يترك شغفه بإرادته يحفر قبره بيده.

(أفسار) مبتسمة: صدقت.

نهضت (أرتميس) من مكانها، وتوجهت لتجلس بجانب (آزاد) وأخواتها ينظرن اليها بتعجبٍ مبتسماتٍ ..

(أرتميس) وهي تجلس بجانب (آزاد) مبتسمة: اسمك (آزاد) أليس كذلك؟

(آزاد) بتوتر: نعم.

(أرتميس) مبتسمة: أنا (أرتميس) .

(آزاد) بتوتر: تاجرة الفستق من «كرمان»

(أرتميس) مبتسمة: صحيح.

(آزاد): ...

(أرتميس) مبتسمة: لِـمَ يبدو عليك الارتباك؟

هل تخشى السفر في البحر؟ ... هذه أول مرة لي وأنا مستمتعة جدًا.

(آزاد) يحيد بنظره عن (أرتميس) بتوتر ..

(أرتميس) مبتسمة: لماذا لا تنظر إلى عيني؟

(آزاد) يعيد نظره وينظر في عيني (أرتميس) بصمت.

(أرتميس): هل ترى أني جميلة؟

(آزاد) بتوتر: نعم ... أنتِ كأميرات الشرق ..

(أرتميس) بتجهم خفيف: لا تشبهني بغيري كي لا أقارنك بأحد ..

(آزاد) وهو ينزل رأسه: ماذا تريدين مني؟

(أرتميس) وهي تحدق في وجه (آزاد) مبتسمة: انظر إليَّ فقط .

رفع (آزاد) رأسه وبدأ يحدق بـ (أرتميس) ثم بدأت شفتاه بالارتجاف، وقبل أن تسأله (أرتميس) عن سبب توتره، تقيّأ علبها ... فصرخت مذعورة وسط ضحكات أخواتها اللواتي كنّ يراقبنها طيلة الوقت.

(القبطان) وهو يصرخ في (آزاد): لا تلوث سطح سفينتي ... تقيأ في البحر.

(أفسار): مابه هل هو مريض؟

(جريرة) وهي تضحك بشدة: يبدو أن وجه (أرتميس) أثار غثيانه!

(مهرناز) و(نازانين) تضحكان بشدة و(أفسار) تبتسم.

(كلكامش): إنه مصابٌ بدوار البحر.

(أفسار): وما هو علاجه؟

(كلكامش): هذا ليس بمرض سيشعر بتحسن بعدما يفرغ ما في جوفه.

(مهرناز) وهي تضحك: وهل بقي شيء غير الذي غطى به (أرتميس)؟

(أرتميس) وهي تعود إلى المكان الذي كانت تجلس فيه ... وقد بدأت بالبكاء:

توقفن عن الضحك.

(جريرة) وهي تضحك بشدة: حسنًا.

(أرتميس) وهي تمسح ملابسها بيدها بغضب:

أوقفيهن ياخالة عن الضحك.

(أفسار) وهي تبتسم: هل يمكنها الاغتسال أيها القبطان؟

(القبطان): خذي هذا الدلو وعبّئي لها ماءً من البحر.

رمى (القبطان) الدلو باتجاه (أرتميس) فالتقطته (مهرناز) وهي تضحك وقالت: لـ (أرتميس):

هيا تعالي لنغسل هدية معشوقك، قبل أن تجف وتصبح فستانًا.

(أرتميس) تقف بتجهم ...

كان الليل وقتها قد حل، والضوء الوحيد الذي ينير سطح السفينة، كان آتيًا من القمر شبه المكتمل والنجوم المحيطه به.

أنزلت (مهرناز) الدلو للماء وعبأته بماء البحر، وبدأت بغسل وجه (أرتميس) وملابسها وهي تقول ضاحكة:

يبدو أنه يحبك جدًا.

(أرتميس) بغضبٍ وهي تمسح وجهها: هل يمكن أن تصمتي؟

(مهرناز) وهي تبتسم وتغسل ملابس (أرتميس): حسنًا.

بعدما انتهت (مهرناز) من غسل أختها، أفرغت ما تبقى من محتوى الدلو بقوة في وجه (آذار) الذي شهق بقوة من برودة الماء ثم أعادته إلى (القبطان).

أخذ (القبطان) الدلو من (مهرناز) وهو يحدق بالنجوم ويقول:

نحن نسير في الاتجاه الصحيح.

تحركت الرياح مرة أخرى، وكانت هذه المرة أقوى من سابقاتها،

فاستبشر القبطان بها وقال:

لو استمرّ السير بهذه السرعة سنصل إلى ميناء «بوشير» في نصف المدة

استمرت الرياح تهب بقوةٍ، رغم أنها كانت تتوقف بين الحين والآخر، لكنها كانت تعاود الهبوب بنفس القوة مرة أخرى، حتى توقفت في اليوم التالي تمامًا بعد المغرب بساعات:

(القبطان): لقد قطعنا مسافة جيدة والميناء أصبح على بعد يسير منا.

(عنبس) بالعربية: متى سنصل؟

(القبطان) بتجهم بالعربية: سنصل وقتما نصل!

(نافجة) بالعربية: تحدث بلباقة معه أيها الأجير.

(القبطان) بالعربية بغضبٍ: وما شأنك أنتِ؟!

(مهرناز) موجهة كلامها لـ (نازانين):

ما بهم؟ ... لماذا يتشاجرون مع القبطان؟

(نازانين) بغضب خفيف: وهل أنا أتحدث العربية؟

(مهرناز): لا.

(نازانين): إذاً... فأنا لا أعرف ولا تتدخلي وكوني قريبة من الخالة.

(نافجة) بالعربية إلى (القبطان): لا تختبر سخطي أيها الأجير.

(جهير) وقد استيقظ من النوم بسبب الأصوات المرتفعة:

ما رأيكم أن أجعل ابني (رخو) يعزف لكم شيئًا كي نهدأ قليلًا؟

(كلكامش) بالعربية بصوتٍ مرتفعٍ: لا... العزف في البحر ليلًا فأل شؤم!

(جهير) وهو ينزل رأسه: حاضر.

(طود) بصوت مرتفعٍ بالعربية: كفى.

صمت الجميع بعد صرخة (طود) ..

(طود) بالعربية وهو يحدق بالبحر:

نحن في مكانٍ خطرٍ، ورفع الأصوات في هذه الساعة سيقود لهلاكنا جميعًا.

(أفسار) باستغراب بالعربية: عن ماذا تتحدث أيها الرجل؟

(كلكامش) بالعربية: يتحدث عن (الغرانيق).

(أفسار) بالعربية: عن ماذا؟

(نافجة) بالعربية: شياطين البحر.

(جريرة) تهمس لـ (نازنين): عن ماذا يتحدثون؟

(نازانين) تهمس لـ (جريرة):

لا أعرف وكفّي عن سؤالي فأنا لا أتحدث العربية مثلكم.

(القبطان) بالعربية: لا تقلقوا فـ (الغرانيق) لا تظهر مع اكتمال القمر

(نافجة) بالعربية:

ومن قال لك أن القمر مكتمل؟ ... لقد بدأ بالتناقص منذ أيام

(القبطان) والقلق على وجهه: لا تقلقوا ... فقط حافظوا على هدوئكم.

سكت الجميع لدقائق وبعدها سمعوا صوت غناء جميل باللغة العربية قادمًا من البحر.

(أفسار) بالفارسية: ما هذا الغناء؟ ... ومن أين يأتي؟

ارتسمت على وجه (كلكامش) ملامح القلق.

(طود) بالعربية وهو يشد بقبضته على أحد حبال الأشرعة المربوطة: لقد سمعتنا (الغرانيق).

(أفسار) بالعربية بقلق: وماذا يعني ذلك؟

(نافجة) بالعربية وهي تبتسم: لن يرحلوا قبل أن يأخذوا واحدًا منا..

(أفسار) بالعربية: ماذا؟

(نازانين) بالفارسية: ما بك باخالة؟

(كلكامش) بالعربية موجهًا كلامه للقبطان: ألا تستطيع التحرك من هنا؟

(القبطان) بالعربية وهو يحدق بالسماء: الرياح متوقفة تمامًا ولا نستطيع التحرك

(أفسار) تقول في نفسها وهي تلتفت بقلق نحو بناتها:

«بناتي من دون طلاسمهن سيصبحن عاجزاتٍ أمام أي خطر ..»

في هذه اللحظة تعرضت السفينة لضربة قوية من تحت الماء هزت معظم الركاب

(نافجة) بالعربية وهي تقف وتدير نظرها للبحر:

لا مناص منهم الآن فهم يحيطون بنا من كل جانب ... ذيولهم واضحة وهم يحومون حولنا ..

(أفسار) بالعربية وهي تنهض وتقف بجانب (نافجة) وتنظر من حافة السفينة:

ما هذه الأسماك؟

(نافجة) بالعربية وهي تبتسم وتحدق بالبحر: هذه ليست أسماكاً ... هذه هي الغرانيق.

(أفسار) بالعربية وهي تشاهد مايشبه ذيول الأسماك الكبيرة وهي تضرب سطح الماء: وماذا يريدون؟

(نافجة) بالفارسية وهي تبتسم وتدير نظرها نحو عصبة (أفسار): قرباناً!

(أفسار) بالفارسية وهي تلتفت على (نافجة) بغضب: ابتعدي عن بناتي!

(نافجة) بالفارسية وهي تعود وتجلس مكانها مبتسمة:

هذا سيكون قرار القبطان وليس قراري ... أليس كذلك أيها القبطان؟

أدار معظم الركاب أنظارهم نحو القبطان، والذي كان متوترًا والعرق يتصبب من جبينه ويقول بالفارسية:

يجب أن نضحي بأحد الركاب ونرميه إليهم، وإلا لن يتركونا وشأننا





حتى يحطموا السفينة ويلتهموننا جميعًا..!

بعد كلام القبطان تعرضت السفينة لضربة أقوى من السابق ..

(جريرة): ماذا؟ ... هل أنت مجنون؟!

(نازانين) وهي تلتفت نحو (أفسار): خالة...

(أفسار) وهي تصرخ في القبطان: لن أسمح لك بمس إحدى بناتي.

(آزاد) يرتعد ويعانق نفسه.

(جهير) بالعربية: ما الذي يحدث عن ماذا تتحدثون؟

(نافجة) تبتسم وتحدق بعصبة (أفسار).

(أرتميس) وهي تمسك بيد (مهرناز) بخوف: لا أريد أن أموت.

(مهرناز) وهي تحتضن (أرتميس): لا تقلقي.

تعرضت السفينة لضربةٍ أقوى من جميع الضربات السابقة.

(كلكامش) وهو يحدق بالبحر:

يجب أن تتخذوا قراركم بسرعة، فالغرانيق لن تصبر أكثر من ذلك.

وقبل أن ينهي (كلكامش) جملته... قفز أحد الغرانيق من خارج الماء باتجاه السفينة في محاولة منه لقضم (طود) الواقف عند مقدمتها لكن (طود) باغتها بلكمةٍ من قبضته أعادتها إلى الماء وهي تصرخ بصوت حادٍ وبشعٍ... بدأ (جهير) بالصراخ بعد هذا المشهد مما دفع (طود) لنهره بقولٍ:

اصمت فنحن لا نحتاج للمزيد من جذب الانتباه.



لكن (جهير) استمر في البكاء بالرغم من محاولات ابنه (رخو) تهدئته..

ازداد غضب (طود) من بكاء (جهير) عندما وجهت الغرانيق ضربة أخرى للقارب اسقط من قوتها (عنبس) الذي كان واقفاً عند حافة السفينة في الماء والذي بدأ يصرخ مستنجدًا:

ساعدوني! أنا لا أجيد السباحه!

(القبطان) بالفارسية ببرود: يبدو أن الآلهة اختارت الضحية عوضًا عنا.

وقفت (نافجة) بغضب وقالت بالعربية: وأنا لا أوافق على اختيار الهتك!

قفزت بعد ذلك (نافجة) في الماء وأمسكت بـ (عنبس) قبل أن يغرق، لكنها فوجئت بسرب من الغرانيق يحومون حولهما في استعداد لافتراسهما.

نهض جميع الركاب وبدؤوا يشاهدون عاجزين منظر الغرانيق وهم يحيطون بـ (عنبس) و(نافجة) بالرغم من محاولات (طود) مد يده الطويلة لالتقاطهما... بعد ثوانٍ صرخ (عنبس) بقوة جراء قضم أحد الغرانيق لساقه التي بترت على الفور وأحدثت بركة من الدماء حوله وحول (نافجة) والتي اجتذبت المزيد من الغرانيق وزادت من شراستهم... صرخ (كلكامش) في (نافجة) وقال لها بالعربية:

اتركيه فهو لن ينجو .

نظرت (نافجة) للركاب بغضب وشدت من قبضتها على (عنبس) في إشارة منها بأنها لن تتخلى عنه

خلال ... انتظار الركاب الواقفين على طرف السفينة ... لحظة افتراس الغرانيق لـ (عنبس) الجريح و(نافجة) ... بدأ (رخو) وبشكل مفاجيء بالغناء بالعربية بصوت عميق وجهوري... التفتت (جريرة) عليه لا شعوريًا وقالت:

هل هذا وقت الغناء أيها الأحمق!

مدت (مهرناز) يدها وهزت كتف (جريرة) وقالت: انظري ...

وجهت (جريرة) نظرها إلى البحر ورأت ما كان يراه الجميع باستغراب وتعجب وهو أن الغرانيق بدأت شيئًا فشيًا بالابتعاد عن (عنبس) و(نافجة) التي استغلت الفرصة وعادت مسرعة نحو السفينة وهي تجر معها (عنبس) المصاب. استمر (رخو) في الغناء، واستمرت الغرانيق في الإنصات إليه، وهي تسبح بهدوءٍ حول السفينة حتى وصلت (نافجة) إلى طرف السفينة وأمسكت بيد (طود) الممدودة إليها.

صعد الآثنان على متن القارب وبدأ (عنبس) يصرخ من ألم ساقه المبتورة، فهرع إليه (كلكامش) وربطها بوشاح كان يلبسه... صرخ (كلكامش) بالفارسية في الركاب وقال: أشعلوا لي نارًا في الحال!

رفعت (أرتميس) كفيها لتشعل النار لكن (أفسار) أمسكت ذراعها لتمنعها وهمست في أذنها وقالت:

لا تتدخلي وتكشفي هويتك يا حمقاء.



(أرتميس) وهي تهمس في أذن خالتها بقلق: لكن الرجل سيموت.

(أفسار) بصوت خافت لـ (أرتميس) وهي تنظر لـ (عنبس) وهو يصرخ وينزف:

فليمت.

استمر (كلكامش) بطلب النار بيأس، ولم يستجب له أحد حتى فارق (عنبس) الحياة..

رحلت الغرانيق وتوقف ( رخو) عن الغناء.

***



# غرق الغرانيق

كان الجميع في حالة أشبه بالصدمة مما حدث معهم، ولم يكن أحد منهم يتحدث أو يقوم بشيء سوى (كلكامش) الذي كان ينظف مكان نزف (عنبس) على سطح السفينة بخرقةٍ اقتطعها من لباسه، و(جهير) الذي كان يحتضن ابنه بقلق... تحدث القبطان مع الجميع بالفارسية، وقال وهو يوزع حصة إضافية من الماء بسبب ما مر بهم:

الماء بدأ في النقصان لذا اقتصدوا في الشرب.

عندما وصل القبطان لـ (نافجة) قالت له بالعربية:

أعط حصتي من الماء للعجوز.

(القبطان) بالعربية: خذي حصتك، وسوف أعطيه حصة العبد.

اندفعت (نافجة) بقوةٍ وسرعةٍ كبيرتين إلى القبطان وأطاحته أرضًا مع قربة الماء وجثت على صدره وقالت بالعربية: العبد هو من يتملكه الخوف فقط.

(القبطان) بصوت مرتفع بالفارسية: ابتعدي عني يا ساقطة!!



همت (أفسار) بالتدخل لنجدة (القبطان) لكن (نازانين) أمسكت ذراعها وقالت:

تذكري كلامك لنا ياخالة.

رمى (كلكامش) الخرقة التي في يده وسحب (نافجة) من فوق (القبطان) الذي كان يصرخ بغضب ويقول بالفارسية:

الماء الذي سُكب سيخصم من حصتك!!

لم ترد (نافجة) على (القبطان) وعادت إلى مكانها وهي تبتسم بسخرية..

(أفسار) بالفارسية: أعطها حصة (أنهار).

(القبطان) بغضبٍ: (أنهار) من؟!

(أفسار): الفتاة السادسة التي قبضت ثمن رحلتها ولم تأت معنا.

(نافجة) بالعربية: لا أريد إحسانك.

(أفسار) بالفارسية: هذا ثمن اتقاء شرك.

(القبطان) بغضبٍ وهو يسكب ما تبقى في القربه لبقية الركاب:

لن أسقيها شيئًا لمدة يومين، وهذا ما يعادل ما سكبته من الماء!

(نافجة) وهي تمد يدها في الهواء وترفع نظرها إلى السماء وتبتسم:

لو كانت الأرزاق بيدك كنت سأكترث لكلامك.

بعد كلامها بقليل بدأت السماء تهطل بأمطار غزيرة عبأت قرب الركاب الصغيرة والبرميل الكبير.

استمرت الأمطار بالهطول على السفينة والركاب، وهم يحدقون بـ (نافجة) التي كانت فاتحة فمها بأعينٍ مغمضة للسماء، وتحرك لسانها في الهواء كالأفعى .

(جريرة) لـ (مهرناز) بقلق: هذه المرأة تخيفني.

(مهرناز) وهي تنظر لـ (أفسار): وتخيف الخالة أيضًا ... انظري إليها

وجهت (جريرة) نظرها لـ (أفسار) التي كانت تراقب (نافجة) بقلق كبير ..

(أرتميس): الخالة لا تخشاها لأنها ليست شريرة.

(جريرة) باستغراب: وكيف عرفت بأنها ليست شريرة؟

(أرتميس) وهي تحدق بـ (نافجة):

الشر لا ينمو إلا في العقول الخاوية ... وعقل هذه المرأة ليس بخاوٍ.

(مهرناز) بسخرية: هل تعتقدين أنها طيبة القلب إذاً؟

(أرتميس): هناك فرق بين أن تكون شريرًا، وأن تكون خطرًا ... وهذه المرأة بالتأكيد خطرة، والعمة تدرك ذلك لذا لم تتصادم معها حتى الآن، ولا أظنها ستفعل

(كلكامش) بالفارسية وهو يشاهد قطرات المطر:

عندما ينزل المطر أغمض عينيك، وافتح يديك.

(أرتميس) وهي تهمس لـ(مهرناز): هذا الكهل هو من يخيفني بحق.

(مهرناز) وهي تضحك: نظرتك للأمور مقلوبة.

توقفت الأمطار وتبددت الغيوم وظهر القمر مرة أخرى.

اجتمع القبطان بالركاب وقال لهم بالفارسية:

الغرانيق سيعودون بلا شك، ويجب أن نرمي لهم شيئًا يقينا شرهم ولا أجد خيارًا غير جثة العـ .. (عنبس) ... هل هناك من يعترض على هذا القرار؟

(كلكامش) بالعربية: نعم ... لا يمكنك رمي جثته للغرانيق.

(القبطان) بالعربية: لماذا؟

(طود) بالعربية: الغرانيق لا تأكل الجيف!

(القبطان) بالعربية: وما أدراك أنت؟

(نافجة) بالعربية: نحن أعلم بلجاج «جزيرة العرب» أكثر منك!

(أفسار) بالعربية: هذا بحر «فارس» وليس بحر «عربستان».

(طود) بالعربية وهو يحدق بالبحر ويبتسم: ومتى اشتريتموه؟

(أفسار) بتجهم بالعربية: اسأل القبطان فهو أعلمنا بتاريخ هذا البحر.

(نافجة) بالعربية بابتسامة ساخرة:

أسأل فارسيًا عن الحق؟ ... ستكون هذا سابقة في عرفي.

(القبطان) بالعربية بغضب وتعجب:

هل أنتم مجانين...؟! نحن نواجه الموت هذه الليلة وأنتم تجادلون في مسمى البحر!

(أفسار) بالعربية بغضب: أجب أيها (القبطان) ولا تراوغ!

تجاهل القبطان كلام (أفسار) وتوجه إلى (جهير) بتوتر وقال له بالعربية:

هل يستطيع ابنك الغناء مرة أخرى وحمايتنا من الغرانيق؟

(جهير) بتوتر: ابني استطاع الغناء لفترة محدودة، لكني لا أظنه يستطيع الغناء طيلة الليل .

(آزاد) وهو يقف ويقول بالفارسية:

أنا لا أجيد العربية، لكني أعرف أنكم تتشاجرون بسبب الغرانيق ... لا تقلقوا أنا لدي الحل ... عصبة (أفسار) تراقب النقاش بصمت ...

(القبطان) بالفارسية باستهزاءٍ: وما الذي يستطيع شابٌ مهزوزٌ مثلك فعله؟

(أفسار) بالفارسية وهي تقترب من (آزاد):

اسكت أيها القبطان لنستمع إليه ... ماذا تنوي أن تفعل أيها الشاب؟

(آزاد) بالفارسية وهو يبتسم ويدمع في نفس الوقت:

أنا إنسان لا قيمة لي ولا أحد ينتظرني في «فارس» ولا أعيش لهدف لذا أريد الموت لهدف.

(أرتميس) بتعجب: هل أنت مجنون؟!

(أفسار): لا تكن أحمق ما زلت صغيرًا والحياة أمامك.

(آزاد): لا تقلقي ياخالة هذا اختياري وأنا راضٍ به.

(أفسار) بتعجب: ...

(نافجة) بالفارسية وهي تبتسم: انتهت المشكلة إذاً.

(كلكامش) بالعربية: يجب أن نرمي (عنبس) في الماء قبل أن تبدأ جثته بالتعفن

(القبطان) بالعربية وهو يدير نظره نحو (نافجة): هل لديكِ اعتراض؟

(نافجة) وهي تنظر لجثة (عنبس): لا .

حمل (القبطان) بمعاونة (جهير) جثة (عنبس) ورموها في البحر، وبمجرد ارتطام جثته في الماء اجتمعت بعض الأسماك الصغيرة وبدأت تنهش فيها.

بقي الركاب ينتظرون الغرانيق لكن ما حدث كان مفاجئًا لهم وللقبطان، فقد تحركت الرياح فجأة وبدؤوا بالتحرك... ابتهج الجميع بتلك الرياح وقالت (أرتميس) بصوت خافت:

حمدًا للآلهة أن ذلك الأحمق لن يضطر لرمي نفسه في الماء.

(مهرناز) مبتسمة: ولماذا تكترثين لأمره؟

(أرتميس) بتوتر: من قال: إني أكترث، أنا فقط لا أريد أن يموت أحد.

(مهرناز) تبتسم بخبث.

استمرت السفينة بالسير مع الرياح وعين القبطان على النجوم، وهو يبتسم ويقول:

لو تابعنا على هذا النهج في المسير سنصل إلى سواحل «بوشير» مع أول الصباح.

(نافجة) بالعربية: الرياح ستتوقف بعد قليل.

(أفسار) بالعربية وهي تنظر اليها بتوترٍ: لا تتشاءمي.

(نافجة) بالعربية وهي ترفع غطاء رأسها: أنا لا أتشاءم .. أنا أعرف.

توقفت الرياح بعد جملة (نافجة) بدقائق، وهي تحدق بـ (أفسار) وتبتسم... كان ذلك قبل الفجر بساعات قليلة، وقبل وصولهم إلى ميناء «بوشير»... لم ينزل القبطان أعينه من الأشرعة على أمل عودة الرياح... لكن أمله تبدد عندما احس هو والركاب بضربةٍ قويةٍ أسفل السفينة تبعها قول (نازانين) بقلق:

لقد عادوا ..!

استمرت الضربات للسفينة بكثافة وقوة حتى صرخ (القبطان) في (رخو) بالعربية وقال له: ابدأ بالغناء أيها الأحمق!

لم يستجب (رخو) لصرخة القبطان ... وعانق أباه من الخوف ... توجه القبطان لـ (رخو) وسحبه من أبيه، وبدأ يصرخ فيه بغضب كي يغني، لكنه لم يكمل صراخه حتى وجه له (طود) لكمة افقدته الوعي ... صرخت (أفسار) في (طود) بالعربية وقالت:

ماذا فعلت أيها الأحمق؟

وقفت (نافجة) وهي تعقد أصابعها وتقول لـ (أفسار) بالفارسية:

أعتقد أنه حان الوقت كي تخبري ساحراتك باستخدام طلاسمهن، فالأمر أصبح حياة أو ممات الآن.

وقبل أن ترد (أفسار) على (نافجة) قفز أحد الغرانيق على السفينة، وبدأ يتحرك بسرعة وبقوة ويقضم بفكه يمينًا وشمالًا ومع حركاته السريعة ضرب بذيله الكبير (أفسار) وأوقعها أرضًا فداهمته (نافجة) بطلسم أحرقه في ثوانٍ..

شاهد الجميع ما قامت به (نافجة) بصمت وتعجب فيما عدا (طود) لكن صمتهم انقطع بقفز المزيد من الغرانيق على السفينة، واستمرار ضربهم لها من الأسفل. بدأت (نافجة) بمقاومة (الغرانيق) بطلاسمها و(طود) بقوته الجسدية.

صرخت (أفسار) في بناتها وهي على الأرض وقالت:

ساعدن العربية بطلاسمكن، ولا تتفرجن عليها!

بدأ فتيات (أفسار) بمقاومة الغرانيق مع (نافجة) و(طود) فيما عدا (كلكامش) الذي ذهب لـ (أفسار) وأبعدها عن منطقة القتال على سطح السفينة... استمرت الغرانيق بالقفز على سطح السفينة بأعداد هائلة، وأصبحت مقاومتها تزداد صعوبة مع تزايد أعدادها، وخلال ذلك قفز أحدها في المكان الذي كان فيه (جهير) مختبئًا مع ابنه (رخو) وتمكن من قضمه وإصابته إصابه مميتة.

(آزاد) خلال تلك المعركة كان مختبًا خلف برميل الماء الكبير، لكن أحد الغرانيق القافزة حط خلفه وهم بافتراسه، وفي لحظة ذعر قفز في الماء فتوجهت أسراب الغرانيق التي كانت في البحر نحوه وتركت السفينة... شاهد من كان على السفينة أسراب الغرانيق وهي متوجهة

نحو (آزاد) بقلق ولم يتكلم أحد سوى (مهرناز) التي قالت: إصراره على الموت فاق رغبتنا في الحياة.

(أرتميس) وهي تجري مسرعة إلى مقدمة السفينة وترفع كفها تجاه أسراب الغرانيق المتوجهة نحو (آزاد):

رغبتي به تفوق رغبته في الموت.

قرأت (أرتميس) بعدها طلسم شيطان «كرمان» وتحولت عيناها وشعرها إلى البياض التام وسط ذهول الجميع، وأطلقت وميضًا باتجاه أسراب الغرانيق فتبدد معظمها وهي تصرخ بحدة، مما دفع البقية للهروب لتفقد (أرتميس) بعدها الوعي مباشرة.

استيقظت (أرتميس) على ساحل «بوشير» صباحًا، ورأسها في حجر (مهرناز) وهي تمسح على جبينها وتقول مبتسمة:

يجب أن تعلميني هذا الطلسم يومًا ما يا فستقة.

بادلت (أرتميس) (مهرناز) ابتسامتها، لكنها لم ترد أو تنهض.

(جريرة) وهي تجلس على الرمال بالقرب من (مهرناز) و(أرتميس):

القبطان استيقظ وبدأ بإصلاح السفينة.

(أرتميس) ورأسها ما زال في حجر (مهرناز): هل (آزاد) بخير؟

(جريرة) وهي تبتسم: نعم لا تقلقي.

(أرتميس): أين الخالة؟

(مهرناز): الخالة رحلت مع (نازانين) وطلبت منا الانتظار هنا.

(أرتميس) بقلق: أين ذهبت؟

(مهرناز): لا نعرف لكنها قالت: إنها لن تتأخر.

(جريرة) بوجه حزين: أمر مزعج.

(أرتميس) ورأسها في حجر (مهرناز): ما بك يا (جريرة)؟

(جريرة): ذلك الفتى الأحمق فقد أباه، ويزعجنا ببكائه!

(أرتميس): لا أسمع أي بكاء.

(جريرة): لقد توقف منذ قليل، ويجلس على الشاطئ لوحده .

(أرتميس): وماذا عن ذلك الرجل الضخم، وتلك العجوز؟

(مهرناز): رحلا بمجرد وصولنا إلى اليابسة.

(أرتميس): والسيد (كلكامش)؟

(جريرة) وهي تدير نظرها للبحر: رحل بطريقة غريبة ..

(أرتميس): كيف؟

(مهرناز): قبل وصولنا إلى الساحل بقليلٍ اختفى.

(أرتميس) بتعجب: اختفى؟ .. كيف؟

(جريرة): لا نعرف ... كنا ننزل من السفينة واحدًا تلو الآخر ولم نره معنا.

(أرتميس): غريب ... ربما وقع في الماء وغرق

(مهرناز) وهي ترفع نظرها وتحدق بالبحر: لا أعتقد، لكنه كان

يتحدث مع الخالة قبل اختفائه.

(أرتميس): الخالة؟

(مهرناز): نعم لذلك لا أعتقد أنه غرق.

(أرتميس): ماذا إذاً؟

(أفسار) وخلفها (نازانين): هل استيقظت (أرتميس)؟

(أرتميس) وهي تقوم من حجر (مهرناز) بثقل: نعم ياخالة.

جلست (أفسار) و(نازانين) مع الفتيات وهي تبتسم.

(جريرة) بوجه محبط: متى سنعود لـ «بستك» ياخالة؟

(أفسار) وهي تبتسم: سأعود أنا والمقرونة فقط .

(مهرناز) بتعجب: ماذا؟ ... ماذا تقصدين ياخالة؟

(أفسار): أختكن (أنهار) بقيت في «عربستان» لتكمل حياتها وبعد هذه الرحلة وما مررنا به، قررت بأنه أنتن أيضًا يجب أن تشققن طريقكن بأنفسكن.

(جريرة) بحزن: هل ستتخلين عنا يا خالة؟

(أفسار) وهي تضع يدها على رأس (جريرة) مبتسمة:

كيف أتخلى عن بناتي؟ .. ستبقين دائمًا جزءاً مني.

(أرتميس) بحزن: ماذا إذاً؟

(نازانين) مبتسمة: الخالة تريدكن أن تعشن حياتكن وألاّ تهدرنها.

(مهرناز): وهل نحن أموات؟

(أفسار): أنا والمقرونة كرسنا حياتنا لثأر أبي، وقمنا بالتضحية بأشياء كثيرة لا نريد منكن التضحية بها.

(جريرة): أشياء مثل ماذا؟

(أفسار) وهي تبتسم: اذهبي وأحضري ذلك الفتى العربي إلى هنا.

(جريرة) بتعجب: تقصدين الأحمق؟!

(نازانين) وهي تبتسم: نعم الأحمق الذي تحبينه.

(جريرة): أحبه؟ ... هذا طفل أحمق يصغرني بسنوات.

(أفسار): نعم طفل أحمق يحتاج رعاية حمقاء مثله.

(مهرناز) و(أرتميس) تبتسمان.

(جريرة) بغضب: إذا كنت تريدين التخلص مني ياخالة فلا بأس، لكن لا تلصقي بي ذلك الصبي!

(أفسار) مبتسمة: إذاً سنتركه حتى يموت لوحده.

(جريرة) بقلق: يموت؟

(نازانين) مبتسمة: نعم ... ماذا تتوقعين أن يحدث له؟ ... لقد فقد أباه وهو لا يجيد الفارسية ولا يعرف أحداً هنا ... سيموت بلاشك.

(جريرة) وهي تنظر إلى الصبي وهو يحدق بالبحر:

لكن كيف أتزوجه؟ ... إنه مجرد طفلٍ ... ثم أين سنعيش؟ وكيف؟

(أفسار) مبتسمة: عودي إلى «قشابي» وابدأي حياة جديدة معه.

(جريرة) تحدق بالصبي .

(مهرناز) وهي تبتسم وتدمع في نفس الوقت:

اسمعي كلام الخالة يابقرة، فالصبي أجمل منك بكثير، ولن تجدي مثله يقبل بك.

(أرتميس) وهي تدمع وتبتسم: أتنمى أن يأخذ أطفالكم شكله.

(نازنين) وهي تنهض وتشد (جريرة) الصامتة والمحدقة في الصبي:

هيا ... هيا لنذهب إليه.

(أفسار) تبتسم بحزن ...

سارت (جريرة) مع (نازنين) حتى وصلتا الى الصبي ودار بينهم حوار بسيط بالإشارة وبعدها أمسكت (جريرة) بيده وقرأت طلسم الانتقال إلى «قشابي» واختفت معه.

عادت (نازانين) وهي تمسح دموعها وجلست مع البقية وقالت وهي تبتسم:

جاء دور (أرتميس) ياخالة.

(أفسار) وهي تبتسم: نعم .. فستقتي البيضاء.

(أرتميس): أنا؟ ماذا عني ياخالة؟

(أفسار): هل سأشرح لكِ مع من يجب أن ترحلي، وتبدئي معه حياتك الجديدة؟

(أرتميس) وهي تنزل رأسها للأرض: لقد رحل.

(نازانين) مبتسمة: لا لم يرحل ... لقد طلبنا منه أن يذهب إلى السوق ويشتري بعض الحاجيات لزوجته قبل أن يرحل معها.

(أرتميس): زوجته من؟

(مهرناز) وهي تبتسم وتدفع رأس (أرتميس) بأصبعها: هذا ليس وقت الغباء ..

(أرتميس): تنزل رأسها وتبتسم .

(أفسار) وهي تمد خاتمًا من الذهب لـ (أرتميس):

هذا الخاتم هدية لكِ منا جميعًا.

(أرتميس) وهي تأخذ الخاتم بوجه حزين: لكني لن أقوى على فراقكن.

(نازانين): ومن قال إننا سنتركك سنزورك دائمًا؟

(أرتميس): تزرنني أين؟

(أفسار): يبدوا أن (آزاد) ميسور الحال، ويملك مزرعة كبيرة في «شيبكوة» وقد أخبرنا أنه سيأخذك الى هناك.

(أرتميس): ...

(نازانين) تحتضن (أرتميس) وتدمع.

(أفسار) وهي تبتسم وتدمع: ما بكما؟

(مهرناز) وهي تبتسم: وأنا يا خالة من ستزوجينني؟

(أفسار) وهي تضحك: أنتِ عنيدة، وستختارين زوجك بنفسك في المستقبل.

(مهرناز) مبتسمة: سأعود معكن إذاً؟

(نازانين) وهي تفك عناق (أرتميس) مبتسمة: لا.

(مهرناز): ماذا إذاً؟

(أفسار): سأخبرك بعدما ترحل (أرتميس) مع (آزاد).

(أرتميس) بحزن: هل أنتن مستعجلاتٌ لهذه الدرجة على رحيلي؟

(نازانين) مبتسمة: لا تكوني حمقاء، الخالة تريد أن تراكِ سعيدة.

(أرتميس) بحزنٍ: أنا سعيدةٌ معكن.

(أفسار): قمة السعادة هي في إسعاد غيرك ... رحيلك مع (آزاد) سيسعدني لأني متأكدة بأنه سيسعدك.

(نازانين) وهي تضحك وتشد خصلة (أرتميس) البيضاء:

ثم أين ستجدين رجلًا يتحمل سلاطة لسانك؟

(آزاد) وهو متوتر: لقد أحضرت ما طلبته ياخالة.

(أفسار) وهي تلتفت على (آزاد) مبتسمة: تعال هنا يابني.

(أرتميس) تنزل رأسها بخجل.

(آزاد) وهو يجلس بجانب (أرتميس) بتوتر.

(مهرناز) و(نازانين) تبتسمان.

(أفسار) مبتسمة: اعتني بابنتي يا (آزاد).

(آزاد) بتوتر: يجب أن تزرنني في مزرعتي.

(نازانين) وهي تضحك:

لا تقلق سوف تسأم مِنا هيا... ارحلا... فقافلتكما المتوجهة لـ «شيبكوة» ستتحرك بعد قليل.

(أفسار): قدم هديتك لـ (أرتميس) يا (آزاد).

(آزاد) يمد علبة مغلقة لـ (أرتميس).

(أرتميس) وهي تضع العلبة جانبًا وتعانق (أفسار):

سأفتقدك ياخالة ... سأفتقدكن جميعًا ..

(أفسار) وهي تعانق (أرتميس) وتهمس في أذنها:

هيا ارحلي يا فستقة قبل أن تبكي أخواتك.

نهضت (أرتميس) بعدما عانقت أختيها ورحلت مع (آزاد).

(مهرناز) تبكي بصمت.

(نازانين) تبتسم وتدمع.

(أفسار) تحدق بالبحر وتدمع.

(مهرناز) وهي تدمع وتبتسم: والآن كيف ستتخلصين مني ياخالة؟

(أفسار) وهي تدمع وتبتسم، وتضع رأس (مهرناز) على صدرها:

لا يمكننا التخلص أبدًا ممن يسكنون قلوبنا حتى وإن حاولنا.

(نازانين): الخالة تريد منك الرحيل نحو «السند».

(مهرناز) باستغراب: «السند»؟

(أفسار): نعم «السند» وتحديدًا إلى المنطقة التي تستوطن فيها عشائر (كوسلا)

(مهرناز) باستغراب: لماذا ياخالة؟

(أفسار): لقد اتفقت مع (كلكامش) أن ينتظرك هناك.

(مهرناز): العجوز الذي كان معنا في السفينة؟

(أفسار): نعم ... فهو متنور من الطائفة الجنتية، ويمكنه تطوير قدرتك لمراحل متقدمه جدًا.

(مهرناز): أي قدرة يا خالة؟

(نازانين) وهي تبتسم:

الخالة تريد مصلحتك و(كلكامش) هو من عرض عليها أن تكوني إحدى تلميذاته.

(مهرناز) بحزنٍ: لكني لا أريد ذلك.

(أفسار): منذ اليوم االذي رأيناك أنا والمقرونة فيه في السوق تشحذين طعامك وأنا أنتظر اليوم الذي تصبحبن فيه شيئًا عظيمًا، والفرصة قد أتتكِ فلا تضيعيها.

(مهرناز) بحزنٍ ...

(نازانينِ) وهي تضع يدها على رأس (مهرناز) مبتسمة:

لا تضيعي هذه الفرصة يا حافية.

(مهرناز) وقد بدأت تبكي: ماذا سأفعل لوحدي هناك؟

(أفسار): لا تقلقي (كلكامش) وعدني أنه سيعتني بك.

(مهرناز): ولماذا لم يأخذني معه؟ لماذا يريد مني اللحاق به في أرضٍ أجهلها؟

(أفسار): يقول إنكِ ستجدينه بسهولة بمجرد دخولك بلاد «السند».

(مهرناز): أنا حتى لا أعرف لغتهم.

(نازتنين): لا تقلقي لقد أكد للخالة أنه سيجدك.

(مهرناز) بوجهٍ حزينٍ: ...

(أفسار): هناك قافلة ستسير من هنا نحو «دزدآب» شرق البلاد ومن هناك ابحثي عن قافلة أخرى تعبر بك حدود «السند» ... هيا كي لا تتأخري.

(مهرناز): وماذا سأفعل بعدها ياخالة؟

(أفسار): توجهي إلى «جبال الملح»

(مهرناز): «جبال الملح»؟

(أفسار): نعم فـ (كلكامش) سيكون بانتظارك هناك.

(مهرناز): هل تثقين بهذا الرجل ياخالة؟

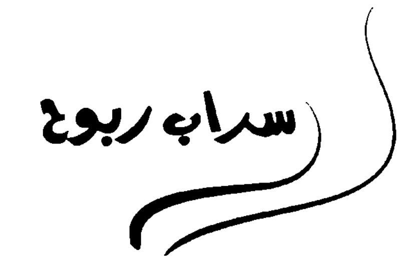
(أفسار) وهي تبتسم: أثق بكِ أنتِ يا حافية ... هيا اذهبي مع أختك، كي ترشدك إلى مكان القافلة.

(مهرناز) وهي تدمع: بهذه السرعة؟

(أفسار) وهي تعانق (مهرناز) وتدمع: هيا يا حافية اذهبي ولا توجعي قلبي.

سارت (مهرناز) مع (نازانين) مبتعدتين عن (أفسار) التي بقيت على الشاطئ حزينة.

***



# سراب ربوح

دخلت (ربوح) على (هنان) المذهولة برؤيتها، وقبل أن تتكلم اندفعت نحوها (هنان) وعانقتها وهي تبكي وتقول:

لا أصدق عينيّ ... لقد دفنتك بيدي في الصحراء.

(ربوح) تبتسم خلال عناق (هنان) لها.

(هنان) وهي تجلس (ربوح):

كيف؟! .. ما الذي حدث؟ .. أخبريني بكل شيء.

(ربوح) تشير إلى فمها بأنها لا تستطيع الكلام.

(هنان) بتوتر: ما بك؟ ... هل أنتِ مريضة؟

(ربوح) تبتسم وتهز رأسها بالنفي.

(هنان) بتوترٍ: ماذا إذاً؟ ... لماذا لا تستطيعين الكلام؟

(ربوح) وهي تبتسم وترفع أكتافها في إشاره منها بأنها لا تعرف السبب.

(هنان) وهي تبتسم ودموعها تتساقط:

لا بأس لا تقلقي ارتاحي الآن وسنتحدث لا حقًا.

نادت (هنان) على أحد الخدم، وأمرته بتجهيز جناح في قصرها لـ (ربوح) وأمرته بأن يعاملها مثلها تماماً، وأن يقدم لها كل ما تريد، أشار الخـــادم ... وهـــو ينحني

لـ (ربوح) بأن تتقدم أمامه، فنهضت وعانقت (هنان) وقبلت جبينها وهي تبتسم ولحقت بالخادم و(هنان) تشاهدها بخليط من الفرح والدموع ... أعدت (هنان) تلك الليلة وليمة كبيرة على شرف (ربوح) وجلست معها على المائدة تطعمها بسعادة وقالت لها: لقد طلبت من أكبر حكيم في المدينة أن يأتي كي يتفحصك ويطمئنني عليك، وقد يجد حلًا لحالة فقدانك النطق... اشارت (ربوح) بأنها لا تريد أن ترى ذلك الطبيب فقالت (هنان) باستغرابٍ:

لماذا يا (ربوح)؟ ... أريد الاطمئنان عليك.

(ربوح) وهي تبتسم وتشير لـ (هنان) بأنها بخيرٍ، ولا تمانع مقابلة الحكيم، لكن لاحقًا.

(هنان) وهي تبتسم:

لا بأس يا أختي كما تشائين ... أكملي طعامك.

أكملت (ربوح) طعامها وأشارت لـ (هنان) بأنها متعبة وتريد النوم، رغم أن (هنان) كانت مشتاقة للجلوس والحديث مع أختها، إلا أنها لم تجبرها على البقاء وتركتها تذهب إلى غرفتها لتنام.

بقيت (هنان) تلك الليلة مستيقظة تفكر، وبدأت تدريجيًا تقلق على حال (ربوح) المتغير وسلوكها المختلف، وعزت ذلك لما مرت به في الماضي من صدمةٍ وعقدت العزم على الوقوف بجانبها حتى تستعيد عافيتها وثقتها بنفسها... وخلال تفكيرها ظهر لها (أزرق) بهيئته البشرية فنهضت بسرعةٍ وعانقته وقالت:

أين كنت؟ ... لقد ظننت بأنك لن تعود أبداً.

حكى (أزرق) لـ (هنان) كل ما حدث معه منذ لحظة إرسالها له وحتى تقييده أسفل الوادي في جبل (آريان)، لكنه لم يحكِ لها بالتفصيل ما حدث له مع (جهنم) واكتفى بالقول: بأنها ساحرة التقى بها وقيدته خلال بحثه عن أهله:

(هنان): كيف تحررت اذاً؟

(أزرق): أتباعي من الجن الأزرق قاموا بالبحث عني طيلة فترة غيابي حتى وجدوني، وأنا بين الحياة والموت.

(هنان): هل حدد أتباعك أماكن العصبة التي غدرت بنا؟

(أزرق) بشيءٍ من التردد: ليس بعد، لكنهم مازالوا يبحثون.

(هنان) بغضب:

كم من الوقت سيستغرق الأمر؟! .. لقد أخبرتك بألاّ تعود حتى تجدهم.

(أزرق): لا تقلقي سأستأنف البحث غدًا ... أحببت فقط...

الاطمئنان عليك وطمأنتك... لأني رأيت الغراب الأسود يحط في الوادي فعلمت أنكَ من أرسله.

(هنان) بغضب: ذلك الغراب لا يفيد بشيء!

(أزرق): لماذا؟ .. أين الخاتم الفضي؟

(هنان) بغضب: لقد تحطم ولم يعد يعمل.

(أزرق) يحدق بـ (هنان) باستغراب ..

(هنان) بعبوس: هل ستحدق بي طيلة اليوم؟!

(أزرق): لا ... سوف أذهب الآن ولن أعود حتى أحدد مكان أفراد تلك العصبة

(هنان): وهي تبتسم: لدي خبر قد يفرحك.

(أزرق): ما هو؟

(هنان) وهي تبتسم: لقد عادت (ربوح).

(أزرق) باستغراب شديد: (ربوح)؟!

(هنان) وهي تبتسم: نعم (ربوح) ... لقد نجت!

(أزرق) باستغراب: لكنكِ دفنتها في الصحراء

(هنان): أعرف ... يبدو أنها كانت ما تزال على قيد الحياة، وحررت نفسها من ذلك القبر المظلم

(أزرق) وهو يحط يده على كتف (هنان):

من المستحيل أن تكون نجت يا (هنان).

(هنان) بغضب وهي تدفع (أزرق):

ألا تسمع ما أقول يا أحمق؟! ... أقول لك: إنها نجت وهي في الطابق العلوي نائمة الآن.

(أزرق) وهو ينظر لـ (هنان) بهدوءٍ: نادي عليها.

(هنان): إنها نائمة.

(أزرق): سأذهب أنا إذاً... لأرَى بنفسي.

(هنان) وهي تجلس بغضبٍ: اذهب كي ترى مدى حمقك!

ذهب (أزرق) إلى المكان الذي قالت (هنان): بأن (ربوح) نائمة فيه، وعاد بعد قليل وجلس بجانب (هنان) وقال بهدوء:

كيف هي أحوال تجارتنا في «هجر»؟ ... هل كل شيءٍ يسير على ما يرام؟

(هنان) باستغرابٍ: ما هذا السؤال؟ .. أرأيتها أم لا؟!

(أزرق) بوجهٍ حزينٍ: لم أرَ شيئاً، وكذلك أنت.

(هنان) بصوتٍ مرتفعٍ: هل تتهمني بالجنون؟!

(أزرق) ينظر لـ (هنان) بشفقة.

(هنان) وهي تنهض وتتوجه إلى غرفة (ربوح) بغضبٍ:

تعال معي... وانظر بنفسك .

فتحت (هنان) باب غرفة (ربوح) بقوة ولم تجدها في فراشها ..

(هنان) باستغراب: مستحيل ... لقد كانت هنا ... أنا متأكدةٌ من ذلك!

(أزرق): لا بأس يا (هنان) ... حاولي أخذ قسطٍ من الراحة.

نادت (هنان) بصوت مرتفع، وغاضب على الخادم الذي استقبل (ربوح) أول مرةٍ واستدعت معه جميع خدم القصر، وعندما حضروا قال الخادم:

نعم سيدة (هنان)؟

(هنان) بغضب: ألم تأت سيدةٌ عندنا بالأمس، واستقبلتها هنا وباتت الليلة في هذه الغرفة؟

(الخادم) ينزل رأسه للأرض.

(هنان) بغضبٍ: تكلم.

(أزرق): تكلم لا تخف.

(الخادم) ورأسه ما زال للأرض: لا ياسيدتي لم يحدث ذلك.

بقية الخدم ينظرون إلى الخادم بتوتر.

(أزرق) يوجه السؤال لبقية الخدم: ماذا عنكم... هل رأيتم شيئاً؟

لم يتحدث أحد من الخدم وأنزلوا رؤوسهم للأرض ...

(هنان) وهي تندفع نحو الخادم وتمسك بعنقه:

لماذا تكذب أيها اللعين؟!

(أزرق) وهو يفك الخادم من قبضة (هنان): توقفي يا (هنان).

(هنان) وهي ترمي بالخادم على الأرض: أنا لست مجنونة!

(أزرق) وهو يمسكُ بـ (هنان): أعرف لكن اهدئي.

(هنان) وهي تصرخ في الخادم: أخرج من هنا ولا تعد أبدًا.

خرج الخادم من المكان ولحق به بقية الخدم.

(هنان) وهي تجلس وتبكي: أقسم بأنها كانت هنا.

(أزرق) وهو يجلس بجانبها: لا بأس ... حاولي النوم قليلًا.

(هنان) بغضبٍ: لن أنام ولن أرتاح حتى أنتهي من ثأري!

(أزرق): حسنًا لكن حاولي أن ترتاحي الآن.

(هنان) بغضبٍ: كف عن قول ذلك.

(أزرق): ...

(هنان) بغضبٍ: اسمع يا (أزرق) ... من الغد سوف نرحل عن «هجر»!

(أزرق) باستغرابٍ: الى أين؟!

(هنان): الى الواحة .

(أزرق): أيّة واحة؟

(هنان): الواحة التي التقيت فيها بـ (خود) أول مرة.

(أزرق) باستغراب: لماذا؟!

(هنان): لأنني سابدأ بتجنيد عصبتي ... يكفي الوقت الذي أضعته في «هجر» في التجارة ... حرصي على كسب المال أهدر ما هو أثمن.

(أزرق): لا يمكننا الرحيل هكذا وترك تجارتنا ... سوف يشك الوالي بأمرنا وسوف يستاء جداً، لأن تجارتنا أصبحت القلب النابض لمدينته ومرتبطة بتجارته ولو رحلنا سنتسبب له بخسارةٍ كبيرةٍ لن يغفرها لنا أبدًا.

(هنان) بغضب: لا يهمني ذلك!

(أزرق) بهدوء: فكري بعقلك ولا تفكري بقلبك.

(هنان) بصوت مرتفع: أنا ذاهبة إلى الواحة غداً بك... أو من دونك.

(أزرق) ينظر لـ (هنان) وهو محتار.

(هنان) بغضب وهي تتوجه إلى غرفتها:

كن جاهزًا في الصباح كي تأخذني إلى هناك.

(أزرق) يراقب (هنان) وهي تذهب إلى غرفتها.

بقي (أزرق) جالسًا في الغرفة التي قالت (هنان): إن (ربوح) كانت نائمة فيها وهو يفكر، وبعد مدة نادى على الخادم وعندما حضر سأله وقال:

هل أنت متأكدٌ بأنه لا أحد زار السيدة (هنان) وبات في هذه الغرفة؟

(الخادم) ورأسه للأرض: أقسم لك يا سيدي بأنني لم أرَ أحدًا.

(أزرق): هل كانت تصرفات السيدة (هنان) طبيعية فترة غيابي؟

(الخادم) ينزل رأسه للأرض.

(أزرق) بهدوء: تكلم لا تخف.

(الخادم): مؤخرًا لاحظت عليها بعض التغيرات.

(أزرق) بقلق: مثل ماذا؟

(الخادم): لا حظت أنا وبقية العاملين في القصر أنها تتحدث مع نفسها كثيرًا وخاصة في الليل، ومن وقت لآخر نسمعها تضحك... وأحيانًا تبكي في غرفتها.

(أزرق) بقلق: منذ متى لا حظتم ذلك؟

(الخادم): منذ شهر تقريبًا.

(أزرق): ...

(الخادم): هل تأمرني بشيءٍ آخر ياسيدي؟

(أزرق): لا ... يمكنك الانصراف.

في اليوم التالي استيقظت (هنان) وأعدت نفسها للرحيل إلى الواحة، وخلال تجهيزها لنفسها دخل عليها (أزرق) وقال:

هل ما زلتِ مصرة على الرحيل؟

(هنان) وهي تكمل تجهيز نفسها دون الالتفات على (أزرق):

نعم ... وجهز نفسك أنت أيضاً.

(أزرق): ماذا عن مهمتي في البحث عن أفراد العصبة الفارسية؟

(هنان): يمكن لأتباعك القيام بذلك، ألم تخبرني بأنك وجدت أفراداً من قومك هناك؟

(أزرق): نعم.

(هنان): ألم توكل مهمة البحث عن الفارسيات لهم؟

(أزرق): بلى .. لكن.

(هنان): إذاً لا حاجة لعودتك، فأنا أحتاجك هنا معي الآن.

(أزرق): وماذا عن تجارتنا في «هجر»؟

(هنان) وهي تلتفت إلى (أزرق) بغضب: فلتذهب إلى الجحيم!!

(أزرق) بهدوء: أنا أم تجارتنا؟

(هنان) بغضب وصوت مرتفع: كل شيء يقف في طريقي!

(أزرق) وهو يجلس بهدوء ويراقب (هنان) وهي تعد نفسها:

لن أذهب معك.

(هنان) وهي تكمل استعدادها بعصبية دون أن تلتفت على (أزرق):

توقعت أنك ستتخلى عني يومًا.

(أزرق): أنا لم أتخل عنك، لكنكِ تتصرفين لوحدك ... ولا تطلبين المشورة مني وأنا لا أريد أن أكون سببًا في هلاكك ... أنا حتى لا أعرف سبب ذهابك إلى تلك الواحة.

(هنان) وهي تجلس وتنظر لـ (أزرق): سأبحث عن (ضارم) .

(أزرق) باستغراب: (ضارم) من؟

(هنان): أخو (خود).

(أزرق): هل كان لـ (خود) أخ؟

(هنان): (ضارم) زعيم قبيلةٍ من الجن وهو من وسم (خود) بوسم الجن.

(أزرق): ولماذا تلجئين إليه؟

(هنان): (ضارم) لا يعرف بأن أخته قتلت والدي، إحساسٌ بأنه سيشاركني الرغبة في الثأر لها.

(أزرق): وهل ستذهبين إليه بناءً على إحساسك فقط؟

(هنان): لست متيقنة من رغبته في مساعدتي، لكني سأحاول وسأعرف حقيقة مشاعره عندما أقابله

(أزرق): أشك أن جن «عربستان» يملك مشاعر أصلًا.

(هنان): سيساعدني ... فليس الجميع مثلك ينسى ثأره بسهولة

(أزرق) بغضب: ماذا تقصدين؟!

(هنان): أقصد أن حماسك للثأر لـ (ضنة) يخفت، ويضمحل يومًا بعد يوم، وبدأ يؤثر عليّ أنا أيضًا... لذا لن أجبرك على القدوم معي.

(أزرق): كوني لست مندفعًا مثلك... فهذا لا يعني أني نسيت ثأر (ضنة).

(هنان): وإلى متى ستبقى هادئاً وغير مندفع؟! ... لقد قاربنا على إتمام عام كامل في «هجر» ولم نفعل شيئاً سوى التجارة وجني المال.

(أزرق): نحتاج المال في تحقيق ما نسعى إليه صدقيني.

(هنان) وهي تنهض وتهم بالخروج من الغرفة:

لن أصدق شخصًا يكذب على نفسه ... نحتاج للتحرك فقط .

(أزرق) وهو يمسك بذراع (هنان): إلى أين؟

(هنان) وهي تفلت من قبضة (أزرق): إلى الواحة شمال «شبوة»

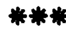
(أزرق): سوف آخذك إلى هناك.

(هنان): لا أريد منك شيئاً.

(أزرق) بتعجب: يبدو أنكِ فقدتِ عقلك فعلًا!

(هنان) بغضب: ماذا تقصد أيها الجني الأحمق؟!

وضع (أزرق) يده على جبين (هنان) ففقدت الوعي.







# شيخ الجن

استيقظت (هنان) لتجد نفسها عند الواحة، و(أزرق) بجانبها يحدق بها.

(هنان) وهي تنهض ببطء وتنظر إلى الواحة وتبتسم:

عندما شاهدنا هذه الواحة لأول مرةٍ قفزنا جميعًا أنا وأخواتي فيها بلا تفكير.

(أزرق) وهو منصت إلى حديث (هنان) .

(هنان) وهي تشير لنخلة قريبة منها: وهنا ربطت العمة دوابنا.

(أزرق): ...

(هنان) مبتسمة ... وبدأت عيناها تدمعان: (رتيكة) كانت تخاف أن يبتل شعرها

(أزرق): ...

(هنان) وهي تحيد بنظرها إلى الجهة الأخرى:

هناك رأينا قطيع الخراف الذي كانت ترعاه (خود) مع أبيها.

(أزرق): ...

(هنان) وهي تنهض وتمسح دموعها: هيا يجب ألاّ نضيع الوقت.

(أزرق) وهو ما زال جالسًا: إلى أين؟

(هنان) وهي تحدق في الأفق: حيث يسكن شيخ الجن (ضارم) وعشيرته.

(أزرق): ماذا تعرفين عنه؟

(هنان): لا شيء سوى ما أخبرتني به (خود) في أحد الأيام.

(أزرق): وماذا أخبرتك بالتحديد؟

(هنان): ليس بالكثير.

(أزرق): وهل هذا كافٍ كي تواجهيه؟

(هنان): أنا لن أواجهه.

(أزرق): ماذا ستفعلين إذاً؟

(هنان): هل ستأخذني إليه؟ أو سأضطر للسير على أقدامي؟

حمل (أزرق) (هنان) لمسافة قصيرة حتى طلبت منه إنزالها وقالت وهي تشير باصبعها للأسفل:

هناك ... هناك كانت خيمة (خود) وأبيها.

(أزرق) وهو ينزل (هنان): وماذا تنوين فعله؟

(هنان): لا أعرف ... مارأيك انت؟ .. أنت من الجن وتعرف أطباعهم.

(أزرق) وهو يبتسم: قبائل الجن هنا تختلف عن بعضها البعض

(هنان): كيف؟

(أزرق): رؤيتهم لي قد لا تكون في صالحنا.

(هنان) بتعجب: هل ستتركني أذهب لوحدي؟

(أزرق) وهو يضع يديه على أكتاف (هنان):

تيقني أنني لن أتركك أبدًا حتى لو طلبتِ مني ذلك.

(هنان) تبتسم .

(أزرق) وهو ينظر إلى المكان الذي ستذهب إليه (هنان):

أنا سأعود إلى «هجر» لأشرف على تجارتنا، وأنتِ أكملي طريقك.

(هنان) بتعجبٍ وقلقٍ: ماذا؟ ... كيف تتركني في وسط الصحراء هكذا؟

(أزرق): هل أحضرتِ الخواتم معك؟

(هنان): نعم ... خاتم ... (الشيطان الأسير) الأبيض الذي كان معي... وخاتم (عاشق نورة) الأصفر الذي كان مع (ربوح)، وخاتم (شيطان الهرم الأخضر) الذي كان مع (خود).

(أزرق): وماذا عن (رتيكة) ألم تعطها السيدة (دعجاء) خاتمًا؟

(هنان) بوجهٍ حزينٍ: لا لم تلحق.

(أزرق): ...

(هنان): وخاتم (ضنة) الفضي تحطم... ولم يعد يعمل .

(أزرق): ...

(هنان): لقد تذكرت شيئًا.

(أزرق): ماذا؟

(هنان): أ لم تعطك العمة خاتمًا بفص أزرق؟

(أزرق): نعم ... خاتم أختي (قيرن)

(هنان): أ لم تقل مرة أن الجن الأزرق يجد المفقودين باستخدام أثرٍ منهم؟

ألا يعتبر هذا الخاتم أثرًا من أختك؟ ... لماذا لم تجدها باستخدامه؟

(أزرق): ألا تظنين أني حاولت؟ ... يبدوا أنها محبوسة في مكان محمي بالطلاسم مثلما فعل (عقربة) معي عندما حبسني في ذلك الكهف لسنواتٍ عديدة.

(هنان): ...

(أزرق): هناك شيءٌ أثار استغرابي عندما دفنا أخواتك.

(هنان): ما هو؟

(أزرق): خواتم السيدة (دعجاء) لم أجد لها أثراً.

(هنان): هل بحثت عنها؟ .. أنا نسيت أمرها ولم أفعل.

(أزرق): نعم فبعد رحيلك نحو «اليمامة» عدت إلى المكان الذي احترقت فيه لأني توقعت أني ساجد خواتمها.

(هنان): وهل وجدتها؟

(أزرق): لا وهذا ما أثار استغرابي.

(هنان): ربما احترقت مع العمة.

(أزرق): ربما.

(هنان): أو ربما وجدتهم تلك الساحرة الفارسية، وأخذتهم معها.

(أزرق): هذا وارد أيضاً.

(هنان): على أيّة حال لم نجدهم وهذا ليس موضوعنا الآن ... الأمر الذي يشغلني هو رحيلك وتركك لي وحدي هنا!

(أزرق): هل تعرفين طلسم الانتقال الذي يعيدك لـ «هجر»؟

(هنان): لا فالعمة لم تعلمنا يومًا طلاسم الانتقال.

(أزرق): هل تعرفين الطريق المؤدي لـ «هجر» من هنا؟

(هنان): نعم على ما أظن.

(أزرق): لستِ محتاجة لي إذاً.

(هنان) بقلق: وإذا احتجتك؟

(أزرق) وهو يبتسم: نادي عليّ... وستجدينني أمامك قبل أن يرتد طرفك.

(هنان): أنا خائفة يا (أزرق) .

(أزرق) وهو يمسح بسبابته على خد (هنان) ويحدث ندبة فيه:

هذا الوسم هو وسم الجن الأزرق، ولن يتعرض لك الجن هنا بسوء لا تقلقي.

(هنان): وسم؟

(أزرق): نعم ... وسم يشهد بأنك تحت حماية مملكة الجن الأزرق. ولا يوجد نفر من الجن على هذه الأرض لا يحترمه أو يحترم حامله.

(هنان) وهي تضع يدها على يد (أزرق) التي كانت على خدها.

(أزرق) وهو يسحب يده: سأذهب الآن ... كوني حذرة .

اختفى (أزرق) وترك (هنان) في الصحراء ..

سارت (هنان) مسافة قصيرة مبتعدة عن المكان الذي كانت (خود) وأبوها يقطنانه حتى بدأت الشمس بالنزول، فتوقفت وجمعت بعض الحطب وصفقت بيدها وأشعلت نارًا وجلست بجانبها.

بقيت (هنان) بجانب النار تفكر في خطوتها التالية، لكن لم يخطر ببالها شيء، لم تكن تملك خطة معدة مسبقًا، فقد أتت إلى هذا المكان فقط، لأنها شعرت برغبة ملحة في الخروج من «هجر»، والبدء في ثأرها بتجنيد عصبتها، لكن الكيفية لم تخطر ببالها أو تفكر بها حتى جلست أمام تلك النار.

عند انتصاف الليل سمعت (هنان) بعض الأصوات خلفها... كانت تلك الأصوات أشبه بالهمسات الخافته... همسات لأكثر من صوت، وكأنها أصوات لمجموعةٍ من الناس يتحدثون مع بعضهم بسرعة...





لم تتحرك (هنان) رغم ارتباكها ولازمت مكانها حتى جزعت من صوت نباح لكلب خلفها، فالتفتت بسرعة لكن وبسبب حلكة الظلام في المكان وغياب القمر تلك الليلة لم تر شيئاً... عادت بنظرها إلى الأمام بعد فترة وجيزة من تفحص العتمة خلفها، لتصعق برؤية خروفٍ يجلس متربعًا كالبشر عند النار، وكان ينظر إلى النار بتركيز... حدقت (هنان) بالخروف والذي كان بقرن مكسور وهو يمعن النظر في النار... بقي الخروف على حاله مدة ليست باليسيرة حتى خرج عن صمته ونظر لـ (هنان) وقال:

كيف حال (خود) ...؟

(هنان) وهي مرعوبة:

(الخروف) وهو يعيد نظره إلى النار:

أنتِ كنتِ مع تلك الساحرة التي رحلت معها (خود) أليس كذلك؟

(هنان) بخوفٍ: ... نعـم ... نعم.

(الخروف): أخوتي كانوا سيفتكون بك، لكنهم رأوا وسم الجن الأزرق على خدك فاخبروني ... لماذا عدتِ إلى هنا؟

(هنان) بتوترٍ: ... أنت (ضارم) اليس كذلك؟

(الخروف) وهو ما زال يحدق في النار: وما شأنك يا إنسية؟

(هنان): أتيت برسالة له من (خود) ولن أسلمها إلا له.

(الخروف) وهو يرفع نظره ويحدق بـ (هنان):

(هنان): ...

(الخروف): نعم أنا (ضارم) ... ما هي رسالة (خود)؟

(هنان): إنها تحبك.

(ضارم) وهو ما زال يحدق في النار:

إذا كنتِ أتيتِ هنا للاستهزاء بي، فدعيني أخبرك بأن ذلك الوسم لن يحميك مني.

(هنان) بخوفٍ: أنا لست هنا لأستهزئ بك ... أنا ...

(ضارم): أفصحي عن سبب قدومك هنا، أو سيكون مصيرك مصير كل من عبر هذا المكان دون دعوة.

(هنان) بتوتر: أتيتك لتساعدني ..!

(ضارم) وهو يحدق بالنار: أساعدك؟ .. أساعدك في ماذا؟ ... ولماذا؟

(هنان): تساعدني في الثأر لـ (خود).

(ضارم) وهو يرفع نظره عن لهب النار ويحدق في (هنان).

(هنان) بقلق وخوف: (خود) قتلت غدرًا ... وأنا أرغب في الثأر لها، لكنني لا أستطيع ذلك وحدي، وأحتاج مساعدتك.

صرخ (ضارم) في وجه (هنان) صرخة قوية، تبعتها صرخات أخرى من حولها اطفأت النار المشتعلة، وتوقفت في لحظاتٍ تاركة (هنان) تحتضن نفسها على الرمال وتبكي في الظلام الدامس حتى أغمي عليها.

استيقظت (هنان) في الصباح، ولم تجد حولها شيئاً سوى رماد النار التي أشعلتها في الليلة السابقة، وبعض الحطب الذي لم تلحق النار التهامه... عادت (هنان) سيرًا نحو الواحة لتتزود بالماء وتتناول بعضاً من البلح، وجلست على الرمال قليلًا حتى قررت العودة مرةًأخرى لـ (ضارم).

عادت وجلست في نفس المكان، وانتظرت حتى المغرب وأشعلت النار مرة أخرى في نفس مكانها بعدما جمعت المزيد من الحطب... انتصف الليل ولم يظهر (ضارم)... انتظرت (هنان) أكثر حتى اقترب الفجر فيأست من قدومه، فتوسدت الرمال ونامت.

استيقظت (هنان) على بعض الوكزات في جنبها، وعندما فتحت عينيها شاهدت رجلاً بلحيةٍ سوداء يقلب النار بعصا، فنهضت (هنان) على عجالةٍ وقالت:

من أنتَ؟

(الرجل) وهو يقلب النار بالعصا ويحدق بها: من قتلها؟

(هنان): قتل مَن؟

(الرجل): (خود) ... من قتلها؟

(هنان) وهي تحدق بالنار:

مجموعة من الساحرات من بلاد «فارس».

(الرجل) وهو يقلب النار بالعصا ويحدق بـ (هنان):

ولماذا يقتلون فتاة بريئة مثل (خود) ماذا فعلت لهم؟

(هنان) وهي تدمع:

لم تفعل شيئاً ... كبيرتهن فيما يبدو كانت تريد الانتقام من عمتنا لشيءٍ ما، وقتلتنا جميعًا نكاية بها

(الرجل): لكنها لم تقتلك.

(هنان): نجوت لأنها تركتني أنجو فقط .

(الرجل): ولماذا تركتكِ أنتِ بالذات؟

(هنان) بعصبية:

لا أعرف! .. ولا تسألني! ... ثم أنا هنا من أجل (ضارم) من أنت؟!

(الرجل) وهو يبتسم ويرمي العصا في النار: أين أجد هؤلاء الساحرات؟

(هنان): لم أحدد مكانهن بعد لكن الجن الأزرق يبحثون عنهم، وسيحددون مكانهن.

(الرجل) وهو يقف: أخبريني بمكانهن عندما تعرفينه.

(هنان) وهي ترفع رأسها: ولماذا أخبرك أنت؟

(الرجل) وهو ينظر لـ (هنان) ويبتسم:

كي لا أترك أحدًا منهم على قيد الحياة، مثل ما فعلوا معك.

(هنان) وهي تنهض: أنت (ضارم) اليس كذلك؟

(ضارم): عودي إلى هنا عندما تحددين مكانهن.

(هنان) بغضبٍ: لن أفعل!

(ضارم) بتجهم: لماذا أتيتِ إذاً؟

(هنان) بغضبٍ: معرفتك لمكان قاتل (خود) لن يكون بلا ثمن!

(ضارم) وهو يقبض عنق (هنان) ويرفع أقدامها عن الأرض:

الثمن الإبقاء على حياتك.

(هنان) بلا اكتراث: اقتلني إذاً واترك قاتل (خود) يعيش ..

(ضارم) وهو يرخي قبضته عن عنق (هنان) وينزلها على الأرض:

ما هو الثمن الذي تطلبينه؟

(هنان) وهي تضع يدها على عنقها: أن تساعدني.

(ضارم) بتجهم: أساعدك في ماذا؟

(هنان): في تجنيد شيطان.

(ضارم) باستغرابٍ: شيطان ..؟

(هنان): نعم ... (عاشق نورة).

(ضارم) وهو يجلس أمام النار ويضحك: هل أنتِ مجنونة؟

(هنان) وهي ما زالت واقفة: هذا هو ثمن معرفتك بمكان قاتل (خود).

(ضارم) بهدوء وهو يحدق بالنار: هل تعرفين من هو (عاشق نورة)؟

(هنان) وهي تجلس أمام النار: نعم وأريد أن أضمه لعصبتي.

(ضارم) وهو يضحك مسهزئًا: عصبتك؟

(هنان) بصرامة: نعم ... عصبتي من الشياطين!

(ضارم): لا يوجد شيءٌ اسمه (عصبة شياطين) ... العصبة للسحرة فقط.

(هنان): سيكون لي عصبة ومن الشياطين.

(ضارم): الشياطين نادرًا ما تتفق مع بعضها، وخاصة العلوية منها.

كـ (عاشق نورة) فما بالك بتجنيدها لخدمتك ... ابحثي عن شياطين سفليةٍ وجنديها في عصبتك، فذلك ممكن إلى حد ما.

(هنان) بثقة: سأطوعه لأمري وسأجنده.

(ضارم) باستهزاء: ومن هم أعضاء هذه العصبة التي تطمحين لتكوينها؟

(هنان): أنت أولهم.

(ضارم) بغضب: أنا لست خادماً لأحد!

(هنان) بهدوء: وأنا لست سيدةً على أحدٍ.

(ضارم): وأنا لست بشيطان!

(هنان): لا فرق بينكما ..

(ضارم): بل هناك فرقٌ! ... فرقٌ كبيرٌ!

(هنان): ألا تريد أن تقتل لأجل (خود)؟

(ضارم): بلى.

(هنان): إذاً... فأنت شيطانٌ بما ستفعل، وليس بما أنت عليه وتكون.

(ضارم): لم تجيبي عن سؤالي ... من هم الشياطين الذين ترغبين في ضمهم لعصبتك غيري... و(عاشق نورة).

(هنان) وهي تخرج خواتم أخواتها من جيبها:

(الشيطان الأسير) و(شيطان الهرم).

(ضارم) وهو يبتسم: أنتِ مجنونة فعلًا.

(هنان): لماذا؟

(ضارم) وهو يلتقط أحد الخواتم ويرفعه أمام وجهه وينظر فيه بعناية:

الشياطين التي ذكرتها من أعتى الشياطين العلوية على مر التاريخ، ولن تتمكني أبدًا من تجنيدها لتعمل لصالحك ... لن تتمكني حتى من الاقتراب منها.

(هنان): سنرى.

(ضارم): ولماذا ترغبين في كل هؤلاء الشياطين المستعصية؟

أنا أستطيع القضاء على عصبة الساحرات اللواتي قتلن (خود) لوحدي.

(هنان): لا تثق كثيرًا بذلك.

(ضارم): الأمر لا يستحق تجييشك لكل هؤلاء الشاطين، القوة ليست كل شيء.

(هنان) وهي تحدق بالنار: بل هي كل شيءٍ .. وسوف أثبت ذلك.

(ضارم): ليس هذا ما تعلمته من الحياة.

(هنان): أنا لست هنا لأجادلك ... سوف أنام الآن وأرحل في الصباح إذا كنت موافقًا على مساعدتي، فارحل معي، وإذا كنت لا تريد فهذا شأنك.

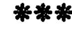
(ضارم) بزمجرةٍ: لن تخرجي من هذا المكان على قيد الحياة دون إذني.

(هنان) وهي تدير ظهرها لـ (ضارم) وتضطجع على الرمال:

وقتها ستجد غفيرًا من الجن الأزرق مع أميرهم في واديك، ليقتصوا ممن لم يحترم وسمهم على خدي.

(ضارم) وهو يزمجر: ...

رحل (ضارم) ونامت (هنان) تلك الليلة في مكانها وبعد مداعبة الشمس لعينيها أول الصباح استيقظت وبدأت بالمسير نحو الواحة، للتزود بالماء والبلح وبالتفكير بخطوتها التالية... لأن (ضارم) فيما يبدو لم يوافق على عرضها.





# كهف العشاق

قررت (هنان) العودة إلى «هجر» ... وخلال تفكيرها بالطريقة التي ستعود بها سمعت صوتًا خلفها يقول: وكيف تنوين تجنيد (عاشق نورة)؟

التفتتْ (هنان) خلفها نحو مصدر الصوت لتجد (ضارماً) وهو متشكلٌ بهيئة ذلك الرجل، وهو يجلس بقرب نخلةٍ من نخلات الواحة، فابتسمت وقالت وهي تتقدم نحوه: هنا يأتي دورك؟

(ضارم) بتجهم: دوري؟ .. وماذا تريدين مني أن أفعل؟

(هنان) مبتسمة: أن تساعدني في تجنيده.

(ضارم) بتجهمٍ: كيف؟

(هنان) وهي تجلس بجانب (ضارم) وتبتسم: أخبرني أنت.

(ضارم) بغضبٍ يخالطه التعجب: هل تعرفين من هو (عاشق نورة)؟!

(هنان) وهي تخرج الخاتم ذو الفص الأصفر من جيبها:

أعرف قصته وأملك خاتمه.



(ضارم) وهو يضحك مستهزئًا بـ (هنان):

كأنكِ لا تعرفين شيئًا عنه.

(هنان) مبتسمة: أخبرني أنت إذاً.

(ضارم): لماذا تبتسمين؟

(هنان) وهي مبتسمةٌ: لأنك وافقت على مساعدتي.

(ضارم): أنا لم أوافق بعد.

(هنان): بل وافقت... وإلا لما كنت تبعتني إلى الواحة.

(ضارم) وهو يحدق بالواحة بوجهٍ عابسٍ ...

(هنان): هيا أخبرني كيف أجند شيطان قبيلة (سحيان)؟

(ضارم): (عاشق نورة) شيطانٌ علويٌّ وأميرٌ... وليس من السهل مقابلته والحديث معه، فما بالك بتجنيده.

(هنان): ألست من شيوخ الجن؟ ... ألا تستطيع ربطه لي؟

(ضارم) وهو يضحك بشدة وبصوت غليظ:

هل أنتِ مجنونة يا فتاة؟! ... هل هو بهيمة كي أربطه لك؟!

(هنان) وهي تقف بغضب: لا وقت لدي لمزاحك! .. ساعدني!

(ضارم) وهو يبتسم ويشير بيده لـ (هنان) بالجلوس: اجلسي أولًا .

(هنان) بغضبٍ: لن أجلس!

(ضارم) وهو يحرك أصبعه ويربط (هنان) ويسقطها على الأرض:

قد لا أستطيع ربط (عاشق نورة) لكنني أستطيع ربطك ..

(هنان) بوجهٍ غاضبٍ تحاول التملص من قيد (ضارم) ..

(ضارم) وهو يحدق في البحيرة ويبتسم: أنا أعرف مكانه.

(هنان) بحماس وهي مربوطةٌ على الأرض: أين؟

(ضارم) وهو يلتفت على (هنان): في كهف الشياطين العاشقة في (خور روري) في أقصى الجنوب.

(هنان) بحماس: لنذهب إلى هناك إذاً.

(ضارم) بنظرة تعجب: هل أنتِ جادةٌ؟ ... كهف الشياطين ... العاشقة مليءٌ بأكثر الشياطين جنونًا و(عاشق نورة) قابعٌ في أعمق نقطة فيه، ولو رآكِ أحدها سوف يمزقونك في ثوانٍ.

(هنان) مبتسمة: أنت سوف تحميني.

(ضارم): كوني أحد شيوخ الجن، فهذا لا يجعل مني متفوقاً على آلاف الشياطين العاشقة... وعلى رأسهم (عاشق نورة) .

(هنان): كنت أظن الجن أقوياءٌ.

(ضارم) وهو يبتسم: بساطة الجن جعلت منهم لغزًا محيرًا عند الكثيرين ... قوتنا ليست ببطشنا، كما هو الحال مع الشياطين.

(هنان) بوجه محبط: لا أمل إذاً.

(ضارم) وهو يحرك أصبعه ويفك رباط (هنان) مبتسمًا: لم أقل ذلك.

(هنان) وهي تجلس بجانب (ضارم) مبتسمه بحماس:

دلني إذاً على الطريقة لدخول الكهف وتجنيد (عاشق نورة).

(ضارم): يمكنني أن أدلك على الطريقة للدخول للكهف ... والبحث عن (عاشق نورة) دون أن يتعرض لكِ أحد من الشياطين العاشقة، لكن مسألة تجنيده فهذه لا حيلة لي فيها، وأمرها متروكٌ لكِ.

(هنان): لا بأس أخبرني كيف أدخل الكهف، كي أصل إليه وأتحدث معه

(ضارم) بابتسامة ساخرة: تتحدثين معه.

(هنان): نعم أتحدث معه ... مثلما تحدثت معك.

(ضارم) وهو يهز رأسه متعجبًا ..

(هنان): هل ستخبرني أم لا؟

(ضارم): يجب أن تستعيني بـ (أبي كاسب).

(هنان): أبو من؟

(ضارم): (أبو كاسب) هو الشيء الوحيد الذي تهابه كل الشياطين العاشقة

(هنان): وأين أجد (أبا كاسب) هذا؟

(ضارم): لن تجديه فقد مات منذ زمن طويل.

(هنان): هل يمكنني سؤالك عن شيءٍ؟

(ضارم): ماذا تريدين؟

(هنان): هل الجن تحتسي الخمر؟

(ضارم) باستغراب: لماذا تسألين؟

(هنان) : لأني بدأت احس باني أتحدث مع شخص ثمل

(ضارم) يضحك بصوت مرتفع غليظ ..

(هنان) بتجهم :

هل ستخبرني بالطريقة التي أجد فيها (أبو كاسب) هذا أم تريد مني ان أحضر لك القليل من النبيذ كي تتذكر ؟!

استمر (ضارم) بالضحك وبقوة أكبر ..

(هنان) وهي تضع كفيها على وجهها وتقول بصوت خافت في نفسها:

كيف كانت (خود) تستطيع تحمله ..؟

بعدما توقف (ضارم) عن الضحك اعتدل في جلسته وقال لـ(هنان) :

قبل أن تبحثي عن (أبو كاسب) يجب أن تعرفي حكاية (كهف العشاق)

(هنان) : وما حكايته ..؟

(ضارم) وهو يبتسم : اسمعي ..

هو بسبب (عاشق نورة) لأنهم يرون فيه قائدًا لهم، رغم أنه لم يتعاون معهم يومًا أويحاول قيادتهم، لكنه اختار هذا الكهف ليبقى فيه بعدما أباد معظم أفراد قبيلة (سحيان) ... كي يبكي فقدان (نورة) لوحده بسلام.

(هنان) وهي تزيح يد (ضارم) عن فمها:

تقصد الفتاة التي قتلها أبوها بسبب عشقها له؟

(ضارم): نعم ... فمنذ أن تفرقت قبيلة (سحيان) عن مضاربها، هربًا من بطش (عاشق نورة) الذي أقسم أنه سيمضي حياته يقتل أفرادها حتى يقطع دابرهم جميعًا، واختار هذا الكهف ليقيم فيه، ولا يخرج منه إلا عندما يصله علمٌ أو خبرٌ عن مكان أحد أفراد قبيلة (سحيان) المتناثرين في الجزيرة، ليقتله ويعود إلى الكهف.

(هنان): وكيف كان يصله خبر عن أفراد قبيلة (سحيان) وهو لا يخرج من الكهف؟

(ضارم): ( تلمذ)

(هنان): من؟

(ضارم): (تلمذ) شيطانة عاشقة وقعت في حب (عاشق نورة)، وهي تعتبر أكبر الشياطين العاشقة شأناً في الكهف، لأنها كانت تنحدر من قبيلة عريقة قبل نفيها.

(هنان): ولماذا نفيت من قبيلتها؟

(ضارم): هذا ليس موضوعنا الآن؟

(هنان): حسنًا.

(ضارم): كانت (تلمذ) تحاول دائماً كسب ود (عاشق نورة)، لكن دون فائدةٍ فقد كان كارهاً لها ولكل الشياطين في ذلك الكهف.

(هنان): لماذا يبقى معهم إذاً؟

(ضارم): هم من تجمعوا حوله، فالكهف كان خاويًا لسنوات قبل قدوم (عاشق نورة) إليه، لكن ومع مرور الوقت أصبح من أكبر التجمعات لهم.

(هنان): لماذا؟ ... لماذا اختاروا هذا الكهف بالذات مكاناً لتجمعهم؟

(ضارم): أغلب الشياطين العاشقة شياطينٌ سفلية ومنبوذة، حتى في عالم الجن والشياطين ويعاملون بازدراء دائمًا، وكانوا على الدوام يعاملون باحتقارٍ وينبذون بسبب عشقهم للإنس... ولم يكونوا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم وكان ينكل بهم دائمًا من عالمنا وعالمكم، لكنهم وجدوا في (عاشق نورة) شيئًا يشعرهم بالفخر والاعتزاز، فهو أول شيطانٍ عاشقٍ ينتقم لنفسه ولمعشوقته، ويثير الرعب في نفوس الذين حاربوه.

(هنان): لكن (عاشق نورة) لم يكن شيطاناً سفلياً؟

(ضارم): صحيح فقد كان أميرًا في قبيلته... وهذا ما جعل الشياطين السفلية تتعلق به وتحبه، لأنه كان أول شيطان من نسلٍ شريفٍ يعشق

إنسيًا... فقد كانت هذه العادة محصورةً على الشياطين السفلية الوضيعة.

(هنان): ...

(ضارم): مابك؟

(هنان): هل حبك لـ (خود) يعرضك للنبذ؟

(ضارم) وهو يبتسم: عشق الشياطين العاشقة مختلفٌ، فهي تعشق الأجساد لا القلوب.

(هنان): و(عاشق نورة) كان من أي نوع؟

(ضارم): كان من نوعٍ مختلفٍ عن الفئتين.

(هنان): كيف؟

(ضارم): (عاشق نورة) عشق قلبها وجسدها، وهو أول من تجرأ من الشياطين لطلب الزواج من إنسية، بأخذ الإذن من أبيها.

(هنان): ألم تكن هي من طلبت ذلك؟

(ضارم): نعم ومن شدة حبه لها حقق لها طلبها، مع أنه كان من السهل عليه أن يخطفها رغمًا عنها، لكن جنونه بها أوهمه أن طلبها يمكن تحقيقه.

(هنان): ماذا فعل بعد موتها؟

(ضارم): يقال: إنه بعدما فرق قبيلة (سحيان) بقتل ما استطاع منهم،

حمل جثمانها معه إلى كهف «خور روري»، لكن لا أحد يستطيع التأكد من هذا الكلام.

(هنان): وماذا حدث بعد ذلك؟

(ضارم): بقي (عاشق نورة) في الكهف يبكي ليلًا ونهاراً على (نورة) ومع مرور الأيام بدأت الشياطين العاشقة تتجمع في الكهف حوله، حتى أصبحت أعدادها كبيرة جدًا، وعرف الكهف لاحقًا بكهف العشاق.

(هنان): وماذا يريدون منه؟

(ضارم): الشياطين العاشقة وكما أخبرتك شياطينٌ وضيعة، ولا قبول لها في عالمنا، وهم يأملون ويتأملون في (عاشق نورة) أن يقودهم ويصبحون قبيلة مهابة (هنان): وهل استجاب لهم؟ (ضارم): (عاشق نورة) في حالة لا تسمح له بالقيام بمثل هذا الدور، فهو منذ مقتل (نورة) في حالة أشبه بالجنون ... وهمه الأول والأخير قطع دابر قبيلة (سحيان) من على وجه الخليقة. (هنان): لماذا تبقى الشياطين العاشقة حوله إذاً؟ (ضارم): الشياطين العاشقة ما زالت تحاول التقرب منه واستمالته، وخصوصًا (تلمذ) لذا كرست نفسها للبحث عن أفراد قبيلة (سحيان) المتبقين، وتزويد (عاشق نورة) بأماكنهم من وقت لآخر كي يقتلهم بهدف التقرب منه.

(هنان): وكيف سيعرف أنه قضى عليهم كلهم؟



(ضارم): يقال: إنه عندما عاد إلى مضارب قبيلة (سحيان) بعد مقتل (نورة) مباشرة، حصر أعدادهم جميعًا قبل أن يبدأ في إبداتهم.

(هنان): ألهذه الدرجة هو مهوس بالأمر؟

(ضارم) وهو يبتسم: وأكثر ... لذا أقول لك: إنه من الصعب تجنيد مثل هذا الشيطان المجنون.

(هنان) وهي تحدق في الواحة: أعتقد أن القصص التي تروى عنه فيها مبالغات

(ضارم) وهو يبتسم ويحدق في البحيرة مع (هنان): ربما.

(هنان): ماحكاية (أبو كاسب) إذاً؟

(ضارم): (أبو كاسب) هو الشيء الوحيد الذي كاد أن يبيد تلك الشياطين العاشقة كلها في ذلك الكهف، وهم وإلى هذا اليوم يخافون حتى من ذكر اسمه حتى بعد تيقنهم من موته

(هنان): يبدو أن (أبا كاسب) هذا شيطان مخيف.

(ضارم) وهو يحدق في الواحة: لم يكن شيطاناً.

(هنان) باستغراب: بشر؟!

(ضارم): ولا بشر .

(هنان) وهي تبتسم: هل احتسيت الخمر مرة أخرى في غفلة مني؟

(ضارم) وهو يبتسم: (أبو كاسب) كان ذئباً .

(هنان): ذئب؟

(ضارم): نعم ذئب أثار الرعب في قلوب تلك الشياطين العاشقة، لدرجة أن بعضها هاجر من الكهف... وتخلى عن أحلامه مع (عاشق نورة).

(هنان): كيف ... ما الذي حدث؟

(ضارم): سأخبرك بقصة الذئب (شيذم) أو كما عرف لاحقاً بـ (أبي كاسب).

***





# شيذم

عاش في تلك البلدة الصغيرة الواقعة بالقرب من «سمارم» رجلٌ وابنته الصغيرة التي لم تتجاوز ثمانية أعوام... كان الرجل يعمل في دبغ جلود الحيوانات وبيعها على القوافل التي تمر من خلال بلدتهم... كانت تجارته تزدهر في الشتاء بسبب الطلب المرتفع على الفراء المدبوغ لغرض التدفئة، لذا كان يخرج في رحلات صيدٍ لدوابٍ مختلفة، كي يستفيد من جلودها بعدما يبيع لحومها... أغلب الحيوانات التي كان يصطادها كانت من الأرانب والغزلان، أومن الضباع وقرود الرباح، ومن وقت لآخر يوفق باصطياد نمر أو ذئب.

اعتاد الرجل أن ينصب فخوخًا متفرقة خارج البلدة، وكان يبتعد عن الشاطئ القريب منها لكثرة الحيوانات في العراء المفتوح... كان ينصب فِخاخه بأحجام وطعومٍ مختلفة، ولم يكن ينصب إلا فخّاً واحداً للدواب اللاحمة الكبيرة، ويكرس بقية فخاخه للدواب العاشبة الأصغر منها... مع بزوغ فجر أحد الأيام ذهب الرجل لتفقد فخاخه في أول الصباح بعدما تركها يوماً كاملاً في العراء... ولم يصطد





شيئًا ذلك اليوم، لكنه وعندما مر بالفخ المعد للدواب اللاحمة، وجد أنها أطبقت على ذئب كبير

أصيب الذئب إصابة بليغة، حيث إن الفخ أطبق على خاصرته، وتسبب له بجرح غائر نزف على أثره كثيرًا، ومع ذلك كان يزمجر بغضب ويحدق في الرجل بكراهيةٍ... أخرج الرجل سكيناً حادةً كان يحتفظ بها لسلخ جلود ما يصطاده من الحيوانات قبل أن تبرد أجسادها، وكان ينوي إراحة ذلك الذئب من معاناته ومن ثم سلخ جلده والاستفادة منه.

تقدم الرجل نحو الذئب المصاب... لكنّ الذئب كان عدائيًا جدًا ويحاول إخافة الرجل بأيّة طريقة كي يبتعد عنه، لم يعتد الرجل على مثل هذه المقاومة والغضب الشديد فالحيوانات في الغالب تكون متعبة ومرهقة من محاولة التفلت من الفخ، ولا تقاوم كثيراً... لكن هذا الذئب كان يصارع كي يبقي الرجل بعيدًا عنه.

لم يكترث الرجل لغضب الذئب وتهديده ووجه له طعنة أراحته من عذابه. بدأ الرجل بعدما تيقن من موت الذئب الكبير، بمباعدة فكي الفخ المطبقين على جثته وعندما سحبه بعيدًا عن مكان الفخ كي يبدأ بسلخه، اكتشف أن الذئب كان يحمي ذئبًا صغيراً تحته، وعلى الأرجح أنها كانت أمّاً تحاول حماية صغيرها.

نظر الرجل إلى الذئب الصغير والذي كان هادئاً يراقب أمه المذبوحة بهدوء. هم الرجل بسلخ أمه... لكنه لم يستطع... والذئب الصغير



يراقبه... حاول إبعاده بإخافته لكن الذئب الصغير لم يتحرك، ولم يحِد بنظره عن أمه... أشفق الرجل عليه... وقرر أخذه معه وترك غنيمته الثمينة دون أن يمسها... ولم يفكر حتى بحملها، أو بدفنها والعودة إليها لاحقاً.

عند وصول الرجل إلى منزله كانت في استقباله ابنته الصغيرة التي ما أن شاهدت الذئب الصغير على ذراع أبيها حتى بدأت بالقفز من الفرح وهي تقول:

هل أحضرت لي كلبًا يا أبي؟

(الأب) وهو يضع الذئب الصغير على الأرض: إنه ذئب... وليس كلباً.

(الصبية) وهي تلتقط الذئب من الأرض وتحتضنه مبتسمة:

أيّاً كان ساحتفظ به.

(الأب) وهو يعلق حقيبته: لا يمكننا الاحتفاظ به.

(الصبية) بوجه حزين: لماذا ...؟

(الأب) وهو يجلس: لأنه ذئب، والذئاب لا يمكن استئناسها وتربيتها.

(الصبية) بوجه عابس: يمكنني ذلك.

(الأب) وهو يبتسم: لقد تنازلت عن جلد أمه وسوف أعوض خسارتي ببيعه.

(الصبية): بغضب: هل قتلت أمه يا أبي؟

(الأب): ...

(الصبية) وهي تحتضن الذئب: لن تبيعه.

(الأب) وهو يزفر:

كما تشائين ... لكن عندما يغدر بك ويعضك... لا تأتي إليَّ باكية!

(الفتاة) وهي تداعب أنف الذئب بأنفها مبتسمة: (شيذم) لن يغدر بي أبدًا

(الأب) باستغراب: (شيذم) من؟

(الفتاة) وهي ما تزال تداعب الذئب الصغير: لقد أسميته (شيذم)

(الأب) وهو يبتسم: لن يكون وفيًا كالكلب ... دعيني أبيعه وسأشتري لكِ كلبًا يشبهه.

(الفتاة) وهي تسكب بعض الماء في إناءٍ لـ (شيذم):

الكلاب تفي لمن يحبها، والذئاب لمن يطعمها.

(الأب) بنصف ابتسامة: إذاً سيغدر بك إذا لم تطعميه.

(الفتاة) وهي تدعك رأس (شيذم) وهو يشرب الماء: لن يغدر بي.

بقي (شيذم) مع الفتاة وعاش معها ومع أبيها في منزلهم الصغير عدة أعوام، كبر خلالها وأصبح ذئبًا كبيرًا فاق في حجمه أي ذئب آخر... كان الزبائن الذين يأتون إلى منزل (الدباغ) يخافون من (شيذم) لأنهم لم يروا من قبل ذئبًا عن قرب، وهو حي ففي الغالب لا يرى الناس الذئاب الا بعد قتلها، أو كفراءٍ مدبوغٍ معد للبيع، لذا كان (الدباغ)

يربط (شيذم) بحبلٍ متينٍ لمنعه من التجول بحريه في المنزل، خلال وجود الزبائن كي لا يزعجهم أو يرعبهم، وكان هذا الأمر يضايق ابنته كثيرًا وكانت تعاتبه من وقت لآخر بقول:

لماذا تربط (شيذم) يا أبي؟

(الدباغ): ألا ترين كيف يفزع الزبائن الذين يأتون إلى منزلنا للتسوق يا (حور)؟

(حور) بغضب: لكنه لم يتعرض لأحد منهم... فما ذنبه إذا كانوا جبناء؟!

(الدباغ): مهما تحدثت معهم فلا أحد منهم يقتنع بأننا نملك ذئبًا مستأنساً!

(حور) بوجهٍ عابسٍ: كما تشاء يا أبي!

(الدباغ) وهو مبتسم: لقد عرض عليّ أحدهم شراءه اليوم بمبلغ كبير؟

(حور) وهي تدير ظهرها لأبيها بغضب: هذه ليست المرة الأولى!

(الدباغ) وهو يبتسم: لكن السعر الذي عرضه المشتري هذه المرة كبير جدًا.

(حور) وهي تحتضن رأس (شيذم) الكبير:

لو عرضوا أموال الدنيا كلها فلن أبيعه.

(الدباغ) وهو يضحك: لو عرض عليّ أحدهم أموال الدنيا سأبيعكما... أنتما الاثنان.

(حور) تتجهم... و(شيذم) يزمجر بغضب ..

بعد رحيل جميع الزبائن ذلك اليوم حل (الدباغ) وثاق (شيذم) الذي بدأ بالجري والقفز حول فناء المنزل بجسمه الضخم.

(حور) وهي تراقب (شيذم) مبتسمة: ألا ترى سعادته بحريته يا أبي؟

(الدباغ) وهو يجلس في الفناء:

أعرف يابنتي أنكِ تحبينه وأنا أحبه أيضًا، لكن لا يرضيك أن نخسر قوتنا ومصدر رزقنا بسببه؟

(حور) وهي تنظر لـ (شيذم) وهو يداعب دجاجة في الفناء:

انظر إليه يا أبي ... هل هذا حيوانٌ يثير الخوف في قلب أحد؟

(الدباغ) وهو يراقب (شيذم) ويبتسم:

أنا وأنت نعرف ذلك، لكن الناس لا تحكم إلا بما يظهر لها، وما يظهر لها هو ذئبٌ ضخم بأنيابٍ حادة، ومخالب مخيفة.

(حور) وهي تركض باتجاه (شيذم) وتمتطيه:

فليذهب الناس إلى الجحيم إذاً ... سأخرج قليلًا معه يا أبي ... أراك لاحقاً.

(الدباغ) وهو يقف ويصرخ في ابنته المبتعده عن المنزل على ظهر (شيذم):

إلى أين؟ عمك (حاتب) قادم بعد قليل... من سيعد لنا الطعام؟

انطلقت (حور) مسرعة على ظهر (شيذم) ولم تلتفت نحو أبيها.

(الدباغ) وهو يجلس:

هذه الفتاة ستصيبني بالجنون ... تخرج وسط البلد على ظهر ذئب وحافية القدمين كذلك! ... أنا أبيع الأحذية للناس وابنتي حافية!

(حاتب): ابنتك أعقل فتاة رأيتها... مع أنها ما زالت في الثانية عشرة من عمرها

(الدباغ) وهو يقف مبتسمًا: أهلًا... أهلاً تفضل يا أخي!

(حاتب) وهو يعانق (الدباغ): كيف حالك يا أبا (حور)؟

(الدباغ) مبتسمًا: الحمد لله كيف حالك أنت؟.. هل يجب عليّ أن أدعوك إلى العشاء كي تزورني، وأراك؟

(حاتب) وهو يضحك: وأين هو هذا العشاء؟ ... من تطبخ طعامك خرجت مع ذئبها، وأنت من دونها بلا حيلة.

(الدباغ) وهو يهز رأسه: ماذا أفعل؟ ... هذه الفتاة عنيدة، وتنفذ ما في رأسها مهما يحدث ... وهذا الذئب يساعدها في عنادها.

(حاتب) وهو يضحك: (شيذم)؟

(الدباغ): نعم (شيذم).

(حاتب) مبتسمًا: هذا الذئب أكثر براءة من الأرانب التي تصطادها ... لم أره يومًا يؤذي أحداً.

(الدباغ): هذا لأنك لا تعيش معه ... هو بالفعل ودودٌ، لكن عندما يتعلق الأمر بـ(حور) يزمجر في وجهي كالوحش.

(حاتب) وهو يضحك بقوةٍ: لا تزعجها إذاً!

(الدباغ): لو لم يكن هذا الذئب جبانًا، لكنت استفدت منه أكثر.

(حاتب) وهو يضع يده على كتف (الدباغ):

الشجاعة ليست بالدفاع عن نفسك فهذه غريزة... الشجاعة هي الدفاع عن غيرك

(الدباغ): ماذا تقصد؟

(حاتب): أقصد أن هذا الذئب لا يظهر شجاعته إلا عندما يتعلق الأمر بـ (حور) وهذا أكبر دليلٍ على شجاعته.

(الدباغ): دعك من (حور) الآن وذئبها، وقل لي: كيف حالك؟

(حاتب): بخير ... عدت للتو مع قافلةٍ من الشمال.

(الدباغ): هل مررتم بـ (هجر)؟

(حاتب) وهو يبتسم:

كنت أعرف أنك ستسألني هذا السؤال ... لا لم نمر بها .

(الدباغ) بوجه حزين ...

(حاتب): لِمَ لا تعود إليها؟

(الدباغ): لا أستطيع.

(حاتب): لقد خرجت منها منذ أن كانت (حور) طفلة، ألم يحن الوقت كي تعود؟

(الدباغ): لا ... ولن يحين ذلك الوقت أبدًا.

(حاتب): ...

(الدباغ) وهو ينهض: سأحضر لك بعض الشراب.

(حاتب) وهو يشد لباس الدباغ ويجلسه:

لا، لا .. أريد التحدث معك في موضوعٍ هامٍ.

(الدباغ) وهو يجلس بقلق: ما الأمر ما بك؟

(حاتب): هل سمعت عن المرض الذي انتشر في البلدة مؤخرًا؟

(الدباغ) بقلق: مرض؟ ... أي مرض؟

(حاتب): لا أحد يعرف أسبابه أو علاجه، لكنه لا يصيب إلا الفتيات والنساء، ولم يصب به أحدٌ من الرجال إلا القليل.

(الدباغ) بقلق: لا لم أسمع بشيء ... أنا ومنذ توقفي عن عرض بضائعي في السوق، وعرضها في منزلي عوضًا عن ذلك، وأنا لا أحتك بأهل البلد كثيرًا، ولولا زياراتك من وقت لآخر لما علمت بأخبارهم أبداً.

(حاتب): جيد... فربما كان هذا المرض معدياً.

(الدباغ): ماهي أعراض هذا المرض؟

(حاتب): أعراضه غريبة ... يستيقظ المصاب به بكدمات وأحياناً بجروح في أماكن متفرقة من جسده، يصاحبه غالبًا ألمٌ شديدٌ في الظهر أو في الرقبة

(الدباغ): هذه الأعراض ليست أعراض مرضٍ مألوفٍ لديّ

(حاتب): ولا مألوفة عند حكيم البلد، أوعند الحكيم الذي أحضرناه من المدينة أيضاً

(الدباغ): هل ذهبت إلى حكيم المدينة أيضًا؟

(حاتب): نعم ...أخذنا بعض الحالات المتقدمة وعرضناها عليه، لكن دون جدوى

(الدباغ): وما الفرق بين الحالات المتقدمة وغيرها؟

(حاتب): ...

(الدباغ): ما بك؟ .. لماذا سكت؟.. أخبرني .

(حاتب): بعض الحالات تتعرض ...

(الدباغ): تتعرض لماذا؟

(حاتب): تتعرض لما يشبه الاعتداء.

(الدباغ): الاعتداء؟

(حاتب): نعم ... اعتداء جسدي ..

(الدباغ): تقصد الضرب؟

(حاتب): لا .. أقصد ..

قاطع حوار (الدباغ) مع (حاتب) دخول (حور) مسرعة، وهي على ظهر (شيذم) لتقفز من فوقه وتندفع نحو (حاتب) وتعانقه وتقول: كيف حالك ياعمي؟

(حاتب) وهو يضحك ويضع يده على ظهر (حور) المتعلقة برقبته:

كيف حالك أنتِ يا شقية؟

(حور) وهي تترك عنق عمها مبتسمة وبحماس:

بخير ... تعال انظر ماذا تعلم (شيذم) اليوم.

(حاتب) وهو مبتسم:

سأرَى كل شيء لاحقًا، ولكن هل ستتركينا دون عشاء؟

(الدباغ) وهو يبتسم: كل همها إطعام (شيذم)

(حور): لا، لا، سوف أعد لكما الطعام فورًا.

دخلت (حور) المطبخ ولحق بها (شيذم) ..

(حاتب) وهو يجلس: ابنتك فتاة روحها قوية لم أر مثل حيويتها في أيّة فتاة

(الدباغ) وهو يزفر مبتسماً: روحها ستخرج روحي يومًا ما لتلعب معها.

ضحك (حاتب) بصوت مرتفع ..

بعد تناول العشاء ولعب (حور) مع عمها لفترة رحل (حاتب) مودعاً (الدباغ) وابنته، وتركهما جالسين عند نار أشعلوها سابقاً يتحدثان:

(حور) وهي تضع رأسها على (شيذم) المضطجع أمام النار: أبي ...

(الدباغ) وهو ينظف بعض أدواته أمام النار: نعم يا (حور).

(حور) وهي تحدق في النجوم: لماذا لا يتكلم (شيذم)؟

(الدباغ) وهو يربط شيئًا ما ويبتسم: منذ متى والذئاب تتحدث؟

(حور) وهي تلعب بخصلة من شعر (شيذم) وتحدق في السماء:

لا أقصد أن يتحدث مثلنا ... أقصد لماذا لا يعوي مثل الذئاب؟

(الدباغ) وهو يدعك أحد أدواته لينظفها: ولماذا تريدين منه أن يعوي؟

(حور): أرغب في سماع صوته ..

(الدباغ) وهو يبتسم وينفخ أحد أدواته:

ألا يكفي زمجرته في وجهي عندما أوبخك؟

(حور) وهي تبتسم وتحدق في النجوم: لا ... لا يكفي أريد سماع عوائه

(الدباغ) وهو يضع أحد أدواته بجانبه وينظر إلى (حور):

الذئاب لا تعوي من دون سبب ..

(حور): وما هو السبب الذي يدفعه للعواء؟

(الدباغ): لا أعرف ... لكن سمعت مرة أنها تفعل ذلك عندما تحذر أحدًا من الاقتراب من مناطقها، أوعندما تريد أن تنادي أحدًا تفتقده من قطيعها.

(حور) بوجه حزين: معنى ذلك بأني لن أسمع عواءه أبدًا..

(الدباغ): لماذا؟

(حور) وهي تجلس وتعانق (شيذم) مبتسمة: لأني لن أتركه أبدًا كي يفتقدني.

(الدباغ) وهو يبتسم: لنكتفي بزمجرته إذاً.

(حور) تنهض.

(الدباغ): إلى أين؟

(حور): سوف أطعم (شيذم) فهو لم يأكل شيئًا منذ خروجنا.

مرت الأيام وزادت حالات الإصابة بالمرض المجهول بين أهل البلدة، وكان (حاتب) يمر بمنزل (الدباغ) من وقت لآخر كي يطمئن عليه وعلى ابنته، لأنه كان قلقاً على (حور) ومن إصابتها بذلك المرض الغريب والذي بدأ يفتك ببعض الضحايا ويودي بحياتهم.

(حاتب) وهو يدخل منزل (الدباغ) صباحًا ويرى (حور) تنظف المنزل:

كيف حالك يا (حور)؟

(حور) وهي تبتسم:

اهلًا عمي (حاتب) .. تفضل بالجلوس سوف أعد لك بعض الطعام.

(حاتب) وهو يجلس في الفناء: لا شكرًا يابنتي، أين أبوك؟

(حور) وهي تستأنف التنظيف مبتسمة: خرج مع (شيذم)

(حاتب): مع (شيذم) ... لماذا؟

(حور) وهي تضحك:

يريد أبي تعليمه الصيد ككلاب الصيد، لكن (شيذم) ودود أكثر من

اللازم ولن ينفع أبي بشيء ... بالأمس أخبرني أبي أنه حاول إرساله خلف أرنب بري فلحق بفراشة عبرت من أمامه!

(حاتب) وهو يضحك: لقد خالف هذا الذئب كل قواعد الطبيعة!

(حور) وهي تتوقف عن التنظيف:

لا ياعمي .. (شيذم) طيب ولم ير منا إلا الطيبة، فمن أين سيأتي بالشراسة؟

(حاتب): هذا ذئبٌ يا (حور) وغرائزه مزروعة في قلبه، وورثها عن أجداده ولا يمكنه نسيانها ببساطة.

(حور) وهي مستاءة من كلام عمها:

سلوك (شيذم) مرهونٌ بمشاعره ولا حاجة له لأن يصبح شرسًا!

(حاتب) مبتسمًا: ربما.

(حور) وهي تعاود التنظيف .

(حاتب) وهو يراقب (حور) وهي تنظف .

(حور) وهي منشغلة بالتنظيف .

(حاتب) بوجهٍ قلقٍ: تعالي يا (حور)

(حور) وهي تترك ما بيدها وتتوجه نحو عمها: نعم ياعمي

(حاتب) وهو يضع يده على رقبة (حور) ويرفع شعرها:

من أين لك تلك الكدمة؟

(حور): أيَّة كدمة؟

(حاتب): يوجد كدمة على رقبتك.

(حور) وهي تبتسم: ربما أذيت نفسي وأنا نائمة.

(حاتب) بوجه قلق .

(حور) وهي تعود للتنظيف: لا تشغل بالك ياعمي... فهي لا تؤلمني.

(حاتب) وهو ينظر إلى (حور) بقلق: ..

خلال تنظيف (حور) للمنزل ومراقبة (حاتب) لها دخل أبوها مع (شيذم) الذي اندفع نحوها، ووقف على أقدامه وبدأ بلعق وجهها.

(الدباغ) وهو يبتسم: أهلًا (حاتب) لَم لم تخبرني بأنك قادمٌ؟

(حاتب) وهو يقف مبتسماً: لقد مررت من هنا فأحببت السلام والاطمئنان عليكما

(الدباغ) وهو يضع حقيبته وأدواته مبتسماً: ابق معنا إذاً لتناول الغداء.

(حاتب) مبتسماً: لا شكرًا يجب أن أرحل لقضاء بعض المهام، ثم إني لا أرَى أنك اصطدت شيئًا ... ألم يساعدك (شيذم)؟

(الدباغ) وهو ينظر لـ (شيذم) مبتسماً:

لو كنت ذاهبًا لاصطياد الفراشات لعدنا بالكثير منها

(حور) مبتسمة: لا تقلق ياعمي فلدينا ما يكفي من اللحوم.

(حاتب) وهو يهم بالخروج: لا شكراً يا (حور) ... (أبا حور) هل يمكنك إيصالي إلى الخارج؟

(الدباغ) مبتسماً: بالطبع.

خرج الاثنان من المنزل... وعندما ابتعدا عن مسامع (حور) قال (حاتب):

المرض تفشى بالبلدة وعدد الضحايا في ازدياد.

(الدباغ) بقلق: ألم يعرفوا سببه حتى الآن؟

(حاتب): بلى

(الدباغ) بوجه مستبشر: هذا خبر جيد، معنى ذلك أنهم يستطيعون علاجه الآن

(حاتب): المسألة ليست مرضاً اعتيادياً.

(الدباغ) بقلق: لم أفهم قصدك

(حاتب): ما يتعرض له أهالي البلدة هو بسبب شياطين استوطنت جوف الأرض عند حدود «خور روري».

(الدباغ) باستغراب: شياطين؟

(حاتب): نعم...هذا ما قاله أحد السحرة الذي لجأ له أحد الأهالي، كي يعالج ابنته.

(الدباغ) بتعجب: لا أفهم شيئًا ممّاا تقول!

(حاتب): ولا أنا لكن هذا آخر ما بلغنا، ويجب أن تأخذ الحيطة وتنتبه لـ (حور)

(الدباغ) بقلق: (حور).

(حاتب): نعم فهي تظهر عليها أول علامات المس وقد تتطور حالتها.

(الدباغ): أيّة علامة؟

(حاتب): الكدمة التي على عنقها، رأيت مثلها كثيرًا بين الحالات الأخرى في البلدة

(الدباغ) بتوتر: وما العمل؟ ... ما الذي يجب أن أفعله؟

(حاتب): لا تقلق لقد خرج وفد من البلدة ليبحثوا عن حل لهذه المشكلة، وحتى ذلك الوقت حاول ألاّ تتركها لوحدها.

(الدباغ): هل تلك الشياطين هي من قتلت أهالي البلدة؟

(حاتب): نعم ... ففي البداية يبدأ الأمر بكدمات، ويتطور إلى هجمات في الليل حتى يفتكوا بضحيتهم بطريقة بشعة.

(الدباغ): ولِمَ لا نتوجه إلى الكهف ونطردهم؟

(حاتب): هل تسمع نفسك؟ ... هؤلاء شياطين مستوطنة لكهف عميق تحت الأرض، وأعدادها قد يصل إلى المئات، وربما الألوف... ما الذي نستطيع فعله؟

(الدباغ): أي شيء عدا الوقوف هكذا ننتظر أن يقضوا علينا واحدًا تلو الآخر.

(حاتب): أخبرتك أن وفدًا من البلدة خرج للبحث عن حل.

(الدباغ): وماهو هذا الحل الذي خرجوا من أجله؟

(حاتب): ...

(الدباغ): أخبرني .

(حاتب): ذهبوا للبحث عن طارد ...

(الدباغ): طارد ... طارد ماذا؟!

(حاتب): طارد للشياطين.

(الدباغ): هل يمكنك التحدث بلغة مفهومة كي أفهم؟

(حاتب): نصح الساحر الذي أخبرنا بأمر الشياطين المستوطنة في الكهف أن إخراجهم منه عملية ليست بالهينة، وتستلزم شخصًا متخصصاً في ذلك، فأرشدنا للبحث عمّن يسمون أنفسهم بطاردي الشياطين... وهم فئة من الناس يملكون قدرة خاصة للتعامل معهم وطردهم من المنازل التي يقطنونها.

(الدباغ): ...

(حاتب): ما بك؟

(الدباغ): لا شيء ... لن أبقى في هذا المكان وأعرض حياتي وحياة ابنتي للخطر!

(حاتب): هل سترحل؟

(الدباغ): بالطبع سأرحل ... المكان أصبح خطراً وحكاية الطارد هذه لن تنجح لأنه فيما يبدو أن تلك الشياطين قد اختارت الإقامه هنا، ولن ترحل بسهولة.

(حاتب): هل ستعود إلى «هجر»؟

(الدباغ): لا أعرف ... ربما ... المهم أن أخرج من هذه البلدة وفورًا.

(حاتب): لا أستطيع معارضتك، فقرارك يبدو سليمًا في ظل هذه الظروف.

(الدباغ): وأنت هل ستبقى؟

(حاتب) وهو يبتسم:

أنا دائم الترحال... وبقائي في هذه البلدة لن يطول قبل أن أسافر مرة أخرى.

(الدباغ) وهو يعانق (حاتب): رافقتك السلامة.

دخل (الدباغ) إلى المنزل ليجد (حور) وهي تلعب مع (شيذم) فأخبرها بأنهما سيرحلان مع أول الصباح فقالت:

لماذا سنرحل يا أبي؟

(الدباغ): الصيد هنا لم يعد وفيرًا كالسابق، لذا يجب أن نغير مكان إقامتنا.

(حور) باستغرابٍ: وأين سنذهب؟

(الدباغ): بعدما نخرج من حدود البلدة سنرى.

(حور): ألم تحدد وجهتنا بعد؟

(الدباغ) بعصبيةٍ خفيفةٍ: لا تناقشيني يا (حور)، قومي بجمع حاجياتنا فقط والاستعداد للرحيل غدًا مع إطلالة نور الفجر.

حل الليل ... وقرر الدباغ الخروج لجمع الفخوخ التي نصبها، كي

يأخذها معه قبل رحيله عن البلدة، وقبل خروجه لحقت به (حور) وقالت:

خذ (شيذم) معك يا أبي .

(الدباغ): لماذا فأنا لست خارجًا للصيد... ولا أريد أن أتركك لوحدكِ.

(حور) وهي تدفع (شيذم) باتجاه أبيها:

خذه معك ولا تقلق عليّ، فأنا هنا بأمانٍ لكنك أنت ستكون لوحدك في العراء ليلًا وتحتاج لمن يؤنس وحشتك.

(الدباغ): أعرف أنكِ عنيدة، وقد يستمر هذا النقاش طيلة الليل ... هيا يا (شيذم) تعال معي!

خرج (الدباغ) مع (شيذم) .

بعد منتصف الليل عاد (الدباغ) محملًا بفخاخه التي جمعها وكان (شيذم) يسبقه بالخطى جريًا أمامه وعند دخولهم المنزل نادى على ابنته وقال:

(حور)! ... تعالي وساعديني في حمل الفخوخ!

لم ترد (حور) على أبيها ..

(الدباغ) وهو يحدث نفسه:

يبدو أنها نامت ... اذهب لها يا (شيذم) وأنا سأبقى لترتيب بقية الحاجيات.

دخل (شيذم) للمنزل ولأول مرة يسمع (الدباغ) عواءه ... كان عواء طويلًا في امتداده قويًا في نبرته ..

هرع الرجل داخل المنزل وتوجه إلى غرفة (حور) ليجدها على فراشها ممددة والكدمات والجروح تغطي جسدها و(شيذم) بجانبها يلعق تلك الجروح النازفة. اندفع الأب نحو ابنته محاولًا إيقاظها، لكنها قد فارقت الحياة.

بقي (الدباغ) بجانب ابنته يبكي... وخلال بكائه بدأ (شيذم) بالزمجرة فالتفت عليه (الدباغ) وقال: مابك يا(شيذم)؟

استمر (شيذم) في الزمجرة وهو يحدق في إحدى زوايا الغرفة ..

وقف الرجل مستغربًا من سلوك (شيذم) لكن تعجبه زال عندما سمع صوتًا من الزاوية التي كان (شيذم) يحدق بها. يقول بصوت مرتعب وخائف:

أبعد دابتك عني!

(الدباغ) باستغراب وبشيءٍ من الخوف: من الذي يتحدث؟

تشكل في زاوية الغرفة شيء يشبه الرجل، لكنه كان نحيلًا ولزج الملمس، وجلده أحمر وخاليًا من الشعر .

(الدباغ) بنظرة استغرابٍ يخالطها الاشمئزاز: من أنت؟

(الرجل اللزج) وهو يرتجف من تحديق وزمجرة (شيذم) له: خادم!

(الدباغ): خادم لمن؟

(الرجل اللزج) وهو خائفٌ: خادمٌ لهم.
(الدباغ) وهو يشير لـ (حور) بغضب: هل أنت من فعل هذا بابنتي؟
(الرجل اللزج) وهو مرعوب ويحدق بـ (شيذم):
لم أكن أنا فقط... كلنا استمتعنا بها!
(الدباغ) بغضب: أنتم من؟!
(الرجل اللزج): شياطين كهف «خور روري» العاشقة!
(الدباغ) وهو يندفع نحو الشيطان اللزج، وينهال عليه ضربًا: لماذا؟... لماذا؟
(الشيطان اللزج) وهو يرتعد من الخوف من دون مقاومة: أبعد دابتك عني!
أخرج الدباغ خنجرًا كان في جيبه وغرسه في رأس الشيطان الذي بدأ بالصراخ بقوةٍ، ليعاود الدباغ ضربه وركله بأقدامه، حتى بعد سقوط الشيطان على الأرض وهو يتلوى من الألم.
(الدباغ) وهو يتوقف عن ضرب الشيطان وينظر اليه وهو يتنفس بثقل:
الباقي لك يا (شيذم)...
(شيذم) يقترب من الشيطان اللزج ويزمجر بغضب وهو يحدق به..
توجه (الدباغ) إلى فراش (حور) وسحب لحافاً أبيض وهو يقول بغضبٍ:
هل ستحدق به مطولًا يا (شيذم)؟

انقض (شيذم) على الشيطان الذي لم يُبدِ أيّة مقاومة، وافترسه بشكل وحشي ..

نهض الدباغ بعدما لف ابنته في لحافها، وتوجه إلى فناء منزله ودفنها.

عاد الدباغ إلى داخل المنزل وبدأ بجمع أغراضه كي يرحل، وبعدما انتهى نادى على (شيذم) للحاق به، لكنه كان جالسًا عند قبر (حور) ولم يتحرك.

(الدباغ): هيا يا (شيذم) يجب أن نرحل من هذه البلدة اللعينة.

لم يتحرك (شيذم) ...

(الدباغ) وهو يصرخ: هيا أيها الأحمق لنذهب!

نهض (شيذم) من مكانه، لكنه لم يتبع (الدباغ) بل انطلق مسرعًا مبتعدًا عن المنزل... لحق به (الدباغ) وهو يصرخ:

عد إلى هنا، إلى أين أنت ذاهب؟

كان ذلك عند الفجر تقريبًا ولم يستطع (الدباغ) اللحاق بـ (شيذم) ولم يستطع الرحيل كذلك فبقي بجانب قبر (حور) يبكي ..

بعد بزوغ الشمس عاد (شيذم) إلى المنزل ودخل وتوجه إلى قبر (حور) وجلس بجانبه ... تفاجأ (الدباغ) من منظره، فقد كانت الدماء تغطي معظم جسمه، لذا جلس بجانبه، وبدأ بتفحص جسده بحثًا عن الجروح... لكنه اكتشف أن تلك الدماء لم تكن دماء (شيذم) ... فصرخ فيه وقال:

دماء من هذه؟! ... دماء من؟!

(حاتب): دماء الشياطين العاشقة في كهف «خور روري».

(الدباغ) وهو يلتفت على (حاتب) الذي دخل للتو: ماذا؟ ... عن ماذا تتحدث؟

(حاتب): لقد ذهبنا فجر الأمس مع الطارد الذي أحضره الوفد من خارج المدينة كي يساعدنا في طرد تلك الشياطين من الكهف القابع تحت الأرض، ورغم أنه قال: إن الأمر شبه مستحيل بسبب أعدادها الكبيرة، وإن الشياطين العاشقة إذا استطوطنت مكانًا لا تتركه بسهولة، لكن عند وصولنا إلى فتحة في الأرض كانت مدخلاً للكهف السفلي، سمعنا صرخات مخيفة آتية من الكهف أثارت الرعب في قلوبنا، ولم نعرف مصدرها، إلا عندما رأينا (شيذم) يخرج من الكهف بهذه الحالة..

(الدباغ): ماذا تريد أن تقول؟

(حاتب): ذئبك ارتكب مجزرة، وقتل معظم الشياطين العاشقة في ذلك الكهف.

(الدباغ) باستغراب ودموعه على وجنتيه: (شيذم)؟!

(حاتب): نعم ... ما الذي جعله يفقد صوابه بهذا الشكل؟

(الدباغ) وهو يحتضن جسد (شيذم) المغطى بالدماء ويبكي:

لاشيء سوى أنه يفتقد من كانت تطعمه ..

مرت الأيام وهدأت البلدة وخلا كهف «خور روري» من الشياطين

العاشقة التي أصبحت من بعد تلك الحادثة تخشى الذئاب كلها... وتخشى حتى أي أثرٍ منها أو حتى المرور أمامها، لأن (شيذم) كشف أن الشياطين تصاب بالشلل من تحديق الذئاب لها، لأنها لا ترمش ولا تعطيها فرصه للهجوم أو للهرب، وهذا الأمر لم يكن معروفاً في السابق.

(هنان): وماذا حل بـ (شيذم)؟

(ضارم): لم يتحرك من أمام قبر (حور) وبقي ملازمًا لها حتى مات جوعًا، لأنه كان يرفض تناول الطعام من غيرها... رغم محاولات (الدباغ) المتكررة لإطعامه.

(هنان): ...

(ضارم): بعد موت (شيذم) سلخ (الدباغ) جلده ودبغه، وفرشه على قبر ابنته ورحل عن تلك البلدة.

(هنان): ما زلت لا أفهم لماذا أحتاج جلد (شيذم)؟

(ضارم): تحتاجينه لأنكِ لن تستطيعي الدخول إلى ذلك الكهف من دونه وإلا ستمزقك الشياطين العاشقة عند فوهته، فأعدادهم المستوطنة في ذلك الكهف مع مرور السنين وصلت إلى الآلاف ..

(هنان): ألم تقل: إن الكهف خلا منهم بعدما قتل (شيذم) معظمهم؟

(ضارم): نعم لكن (عاشق نورة) بقي فيه، وهذا دفعهم مع مرور السنوات للتجمع مرة أخرى حوله.

(هنان): هل كان (عاشق نورة) موجوداً عندما هاجم (شيذم) الكهف؟

(ضارم): نعم

(هنان): ولماذا لم يقتله؟

(ضارم): (شيذم) قتل فيما يبدو من كانوا في وجهه، و(عاشق نورة) لا أظن أنه كان قريبًا، فعلى الأرجح كان موجوداً في مكان عميق، لم يصل إليه (شيذم) الكهف متشعب وله مداخل كثيرة واحداً منا فوق الأرض والبقية فتحات مؤدية لجوفه

(هنان): وكيف سأصل إليه أنا إذاً؟

(ضارم): لا أعرف فأنا لم أدخل الكهف من قبل، لكن جلد (شيذم) سيساعدك في البحث والتجول داخل الكهف بسهولة.

(هنان): وهل سيردعهم جلد ذئب؟

(ضارم) وهو يبتسم:

ليس جلد أي ذئب ... جلد (شيذم) ... بعض الشياطين العاشقة ترتعد من مجرد ذكر اسمه، فما بالك لو رأته مرة أخرى أمامها.

(هنان): وأين أجد جلده الآن؟ ... لا أعتقد أنه مازال على قبر (حور) بعد تلك السنين.

(ضارم): لا ... لقد سرقه أحد أهالي القرية، وباعه إلى ساحرٍ كبيرٍ في «وبار».

(هنان) باستغراب: وماذا يريد هذا الساحر بجلد (شيذم)؟

(ضارم): هذا الساحر ... من أكبر السحرة الذين يتعاملون مع الشياطين العاشقة وقد كتب كتبًا كثيرة لتسخيرهم وتمجيدهم، وعلاقته بهم أقوى مما تتصورين، لذا قرر رد القليل من اعتبارهم... ووضع جلد (شيذم) مداسًا عند عتبة منزله.

(هنان): مداسًا؟!

(ضارم): نعم ... مداسًا لأقدام كل من يدخل منزله، ليمسح حذاءه به قبل الدخول.

(هنان): ولماذا يفعل ذلك؟

(ضارم): ليرضي الشياطين العاشقة، ويرد شيئًا من كرامتها التي أهدرها (شيذم) في ليلةٍ واحدةٍ.

(هنان): ألا يخشى هذا الساحر أن يسرق أحدٌ الجلد من أمام عتبة المنزل.

(ضارم): لا أعرف الكثير عن هذا الساحر، لكن أعتقد أن هيبته كفيلة بردع أي أحدٍ من محاولة سرقة شيءٍ منه.

(هنان): وهل نجح في نزع الخوف من الشياطين العاشقة بهذا العمل؟

(ضارم) وهو يبتسم: لا، لكنه حقق مراده الأصلي، وهو أن الشياطين العاشقة أصبحت أكثر خضوعًا له ولا تدخل عليه إلا وهي مرعوبة،

ومن النوافذ فقط، لأن مجرد فكرة وجود جلد (شيذم) قريبًا منها تصيبها بالجنون.

(هنان) باستغراب: ألهذه الدرجة يخشونه؟

(ضارم): وأكثر.

(هنان): وماذا عنكم؟

(ضارم): نحن من؟

(هنان): الجن ... هل تخشون الذئاب و(شيذم) مثل الشياطين؟

(ضارم): ...

(هنان): لمَ سكت؟

(ضارم): هذا ليس موضوعنا ... يجب أن تحصلي الآن على جلد (شيذم) إذا كنت تريدين الوصول إلى (عاشق نورة) في كهف «خور روري».

(هنان): هل سنأخذه بهذه البساطة من على عتبة الباب؟

(ضارم) وهو يقف: ولمَ لا ... هل تخشين (شيذم) أنت أيضًا.

(هنان) وهي تقف مبتسمة: لا.

(ضارم) وهو يتشكل كحصانٍ أسودَ: يجب أن نذهب إلى «وبار» أولًا.

(هنان) وهي تركب على (ضارم) مبتسمة: هل ستطير؟

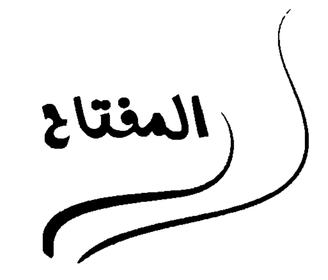
(ضارم): البلدة قريبة سنكتفي بالعدو... تمسكي جيدًا كي لا تقعي.

انطلق (ضارم) بسرعةٍ كبيرةٍ كادت أن تسقط (هنان) من على ظهره، لكنها تمسكت بكل قوتها.

استمر (ضارم) بالعدو دون توقف حتى وصل الاثنان إلى حدود مدينة «وبار».

***





# المفتاح

نزلت (هنان) عندما توقف (ضارم) خارج حدود مدينة «وبار» وقالت له:

ماذا الآن؟

(ضارم) وهو يتشكل بهئية بشرية:

ندخل إلى المدينة ونبحث عن منزل الساحر الذي يحتفظ بجلد (شيذم).

(هنان): ألا تعرف أين يقع؟

(ضارم): هذه أول مرة أزور فيها هذه المدينة.

(هنان): كيف عرفت موقعها إذاً؟

(ضارم): من مسترقي السمع.

(هنان): من ماذا؟

(ضارم): لما تصرين دائماً على الخروج عن مواضيعنا الرئيسة إلى أخرى فرعية؟

(هنان) وهي تبتسم: لأني أرغب في التعلم.

ضارم) وهو ينظر إلى الأفق:

المدينة ليست كبيرة، ولن نجد صعوبة في إيجاد منزل الساحر، فجلد (شيذم) على عتبة بابه من الخارج ومن السهل أن نراه.

توجه بعدها الاثنان ودخلا مشيًا إلى المدينة ..

بعد جولة قصيرة في المدينة، رأى الاثنان منزلًا كبيرًا نسبيًا وعلى عتبة بابه بُسط جلد ذئب كبير فقالت (هنان) وهو تشير بسبابتها إلى المنزل:

انظر! ... جلد (شيذم)!

نظر (ضارم) حيث كانت تشير، ورأى رأس (شيذم) مفتوح الفم، بأنيابه الكبيرة وعينيه المتسعتين، أصيب بشيء من التجهم والارتباك.

(هنان) وهي تنظر لـ (ضارم) باستغرابٍ: ما بك؟

(ضارم) وهو يضع يده على أحد أكتافه وكأنه يتألم:

لا شيء .. اذهبي وخذي الجلد لنرحل من هنا.

(هنان) باستغراب: بكل هذه البساطة؟!

(ضارم) وهو يعطي المنزل ظهره:

نعم ...

توجهت (هنان) بخطوات حذرة نحو عتبة المنزل، وعندما استقرت أمام جلد (شيذم) الضخم أخذت تتأمل فيه، وخلال تأملها فُتح الباب أمامها وخرجت فتاة في عمرها تقريبًا وقالت:

هل أتيت لمقابلة الشيخ؟

(هنان) بارتباك: نعم... نعم .

(الفتاة) وهي تتنحى جانبًا وتشير لـ (هنان) بالدخول: تفضلي

دخلت (هنان) وهي تنظر إلى (ضارم) الواقف بعيدًا، والذي كان يرمقها بنظرات تعجبٍ واستغرابٍ منذ دخولها إلى منزل الساحر ..

دخلت (هنان) وجلست حيث أشارت لها الفتاة.

(الفتاة): الشيخ سيكون معك بعد قليل.

(هنان) تجلس مرتبكة ..

بعد فترة قصيرة دخل كهلٌ يلبس عباة سوداء وجلس أمام (هنان) وقال:

ما هو غرضك؟

(هنان) بارتباك: غرضي؟

(الساحر) وهو يرفع رأسه وينظر لـ (هنان): أنتِ ساحرةٌ أليس كذلك؟

(هنان) وهي تستجمع نفسها وتحاول أن تخفي توترها: نعم.

(الساحر): ما الغرض من زيارتك؟

(هنان) بثقة: أرغب في الحصول على جلد الذئب الموجود على عتبة بابك.

(الساحر) وهو يضحك: هل أنتِ حمقاء؟

(هنان) بصرامة: إما أن تعطيني إياه برضاك، وإمّا أن أنتزعه منك عنوة.

(الساحر) مبتسماً: هل تعرفين من أنا؟

(هنان) بثقة: هل تعرف أنت من أنا؟

(الساحر) وقد زالت ابتسامته: لا ... من تكوني؟

(هنان): هل سمعت بـ (دعجاء ابنة وصبان)؟

(الساحر) وقد بدا عليه الارتباك: أ تقصدين (دعجاء هجر)؟

(هنان) بوجه متجهم: نعم

(الساحر): نعم فكل السحرة في الجنوب يعرفونها.

(هنان): أنا هي!

بدأ الساحر بالضحك بقوة ثم قال:

(دعجاء هجر) امرأة ناهزت السبعين من العمر، هل تظنين أني أحمق؟

(هنان): هل رأيتها من قبل؟

(الساحر): لا.

(هنان): إذاً ليس أمامك خيار، إلا أن تقاتلني، وسنرى إن كنت أنا هي أم لا.

(الساحر) وعلى وجهه بدأت تظهر علامات التوتر:

ماذا تريدين بجلد الذئب الهالك؟

(هنان) وهي تقف: لا شأن لك بذلك.

(الساحر) وهو يرفع رأسه وينظر إلى (هنان) ...

(هنان) وهي تهم بالخروج:

سوف أخذه معي ولو حاولت منعي، سيكون هذا آخر يوم في حياتك!

(الساحر) والعرق بدأ يتصبب من على جبينه ...

خرجت (هنان) من منزل الساحر وحملت جلد (شيذم) معها والذي كان ثقيلًا نوعاً ما، فاضطرت لوضعه على ظهرها والسير به مبتعدة عن منزل الساحر، وهي تنظر إلى (ضارم) الواقف بعيدًا عنها بابتسامة عريضة... سارت (هنان) بضع خطوات عن منزل الساحر الذي كان واقفاً عند عتبة بابه يراقبها بتوتر وقبل وصولها إلى (ضارم) صرخ الساحر وقال:

توقفي!

(هنان) وظهرها للساحر... ووجهها الذي اختفت ابتسامته وتحول إلى نظرة توتر إلى (ضارم):

ماذا تريد؟

(الساحر): أنتِ لستِ (دعجاء هجر) ... من أنتِ؟

(هنان) وهي ترمي بجلد (شيذم) جانبًا وتنظر إلى (ضارم) بقلق...

(الساحر) بصوت مرتفع: من أنت؟

(هنان) وهي تلتفت نحو الساحر بوجه واثق، وتخرج الخاتم الأبيض من جيبها وتلبسه:

أنا (شيطانة حضرموت).

اندفع الساحر نحو (هنان) واشتبك معها.

بعد عراك لم يدم طويلًا قتلت (هنان) الساحر، وحملت جثته ووضعتها أمام عتبة منزله في نفس الوضع الذي كان عليه جلد (شيذم) وقالت: لم أعد تلك الفتاة المستضعفة التي يعبث بها السحرة.

عادت (هنان) إلى المكان الذي رمت فيه جلد (شيذم) وحملته على ظهرها وسارت حتى وصلت إلى (ضارم) المشمئز من منظر الجلد وقالت باستهزاء:

شكرًا على مساعدتك.

(ضارم) ونظرة الاشمئزاز ما زالت على وجهه: هيا لنرحل.

(هنان) باستغراب: ما بك؟

(ضارم) وهو مشمئز: لا شيء.

(هنان) وهي تبتسم وجلد (شيذم) على ظهرها:

خذني إلى كهف العشاق في «خور روري»

(ضارم) وهو مشمئز: لا أستطيع

(هنان) باستغراب: لماذا؟

(ضارم) وهو يضع قبضته على فمه: لا أستطيع لمس جلد الذئب.

(هنان) باستغرابٍ: هل ستتأذى؟

(ضارم): لا أستطيع المخاطرة

(هنان) وهي ترمي بجلد (شيذم) جانبًا: وما العمل إذاً؟

(ضارم): ألا تجيدين طلاسم الانتقال؟

(هنان): لا، فالعمة لم تعلمنا إياها قط

(ضارم): أيّة ساحرة متمكنة، يجب أن تتقن طلاسم الانتقال.

(هنان) بغضب: وأنا لا أجيدها ما العمل الآن؟!

(ضارم) وهو يشير إلى جلد (شيذم) باشمئزاز: ادفني جلد الذئب أولًا.

(هنان) باستغراب: لماذا؟

(ضارم): لأننا سنبحث عن شخص يعلمك طلاسم الانتقال، وسنعود لاحقًا لأخذه

(هنان): لَمَ لا تعلمني إياها أنت؟

(ضارم): لا حاجة لي بها كي أتعلمها.

(هنان) وهي تحدق بجلد (شيذم):

كيف أترك مفتاح الدخول إلى كهف العشاق هنا؟

(ضارم): لن تتركيه نحن فقط سنخبئه ريثما نعود ... هيا ادفنيه ولا تضيعي الوقت.

دفنت (هنان) جلد (شيذم) في حفرة حفرها (ضارم) وردمت الرمال عليها ثم قالت:

كيف سأتعلم طلسم الانتقال الآن؟

(ضارم): هل تعرفين ساحرًا يمكنه تعليمك هذا الطلسم؟

(هنان): لا يخطر ببالي أحدٌ.

(ضارم): أنا لم أخرج من الوادي طيلة حياتي، وعلمي محدود في هذا الأمر.

(هنان) بعد تفكير وجيز: خذني إلى «الحجاز»

(ضارم) باستغراب: ولِمَ «الحجاز» تحديدًا؟

(هنان): كانت (ربوح) و(رتيكة) يحكون لي عنها كثيرًا، وأرغب في رؤيتها

(ضارم): نحن لسنا في نزهة.

(هنان): أخبروني أيضًا أنها ثاني أكبر تجمعٍ للسحرة في الجزيرة بعد «اليمامة»

(ضارم) ولِمَ لا نذهب إلى «اليمامة» إذاً؟

(هنان) وهي تنظر إلى (ضارم) وتبتسم: هل زرت «اليمامة» من قبل؟

(ضارم): لا .

(هنان): هل تذكر الشعور الذي أصابك عندما رأيت جلد (شيذم)؟

(ضارم) بوجه مشمئز: نعم.

(هنان) وهي تبتسم: هذا ما يصيبني عندما أدخل «اليمامة»

(ضارم) وهو يتشكل كجواد أسود: هيا إلى «الحجاز» إذاً.

***





# متاهة الجُلس

انطلقت (هنان) ممتطية ظهر (ضارم) نحو «الحجاز» وخلال عدوهم السريع سألته:

هل هذه أول مرة تزور فيها «الحجاز»؟

(ضارم): أخبرتك أني لم أخرج من الوادي من قبل.

(هنان) باستغراب: كيف تستطيع إذاً معرفة الطريق المؤدي إليها؟

(ضارم): رغبتكِ في التعلم، يجب أن يصاحبها ذهنٌ صافٍ لتتعلمي.

(هنان): ماذا تقصد؟

(ضارم): أخبرتك سابقًا أنني أستعين بمسترقي السمع.

(هنان): أخبرتني... لكنك لم تشرح لي.

(ضارم): نحن لسنا مثلكم.

(هنان): كيف؟

(ضارم): أخوتي يهمسون لي ويرشدونني.

(هنان): أخوتك من؟

(ضارم): لا تستطيعين رؤيتهم، لكنهم في كل مكان.

(هنان): تقصد الجن؟

(ضارم): نعم.

(هنان): وهل هم مسترقو السمع الذين تتحدث عنهم؟

(ضارم): لا.

(هنان): ماذا إذاً؟

(ضارم): مسترقو السمع شياطين.

(هنان): هل هناك فرقٌ بينهم؟

(ضارم): نعم فرقٌ كبير

(هنان): لماذا لا نستعين بهم في معرفة كل ما نريد؟

(ضارم): الأمر ليس بالسهولة التي تعتقدين.

(هنان): كيف؟ ... أخبرني.

(ضارم): أرى جبالاً أمامنا ... يبدو أننا اقتربنا.

بعد تحليق بسيط حط (ضارم) و(هنان) في مدينةٍ ساحلية على أرض «الحجاز» وبمجرد نزول (هنان) من على ظهره قالت:

هذه هي المدينة التي حكت لي عنها (ربوح).

(ضارم): وكيف عرفت؟

(هنان) وهي تستنشق هواء البحر: إحساسي يقول ذلك.

(ضارم) وهو يتشكل بهيئة بشرية: وما العمل الآن؟

(هنان): لا أعرف.

(ضارم): لنتوجه إلى السوق.

(هنان): السوق ... لماذا؟

(ضارم): السوق من الأماكن المحببة لتجمع الشياطين، وحيث تتجمع الشياطين تجدين السحرة

(هنان): هذا علم يقينٍ، أم تصورٌ من عندك؟

(ضارم) وهو يسير مبتعدًا عن (هنان): الجميع يعرف ذلك.

(هنان) وهي تلحق بـ (ضارم): أنا لم أعرف ذلك

سار الاثنان مسافة حتى وصلا إلى سوق كبير انتشرت فيه المحلات وازدهرت فيه التجارة والسلع المعروضة... كان السوق ملاصقاً لميناء ترسو بجانبه سفنٌ كثيرةٌ تحمّل وتنزل البضائع بشكلٍ مستمرٍ.

(هنان) وهي تراقب الحشود: كيف سنجد ساحرًا بين هؤلاء الناس؟

(ضارم) يحدق بالحشود .

(هنان) تحدق بـ (ضارم) .

(ضارم): سوف أختفي الآن.

(هنان) بقلق: إلى أين؟ ... لا تتركني هنا لوحدي

(ضارم): لماذا هل أنتِ خائفة؟

(هنان): لا، ولكن ماذا سأفعل لوحدي؟

(ضارم): لن أطيل ... ابقي هنا، ولا تخرجي من السوق حتى أعود.

(هنان): حسنًا، ولكن لا تتأخر.

(ضارم) وهو يندس بين حشود الناس: لن أتأخر.

بقيت (هنان) لوحدها تراقب الناس، وهم يبيعون ويشترون، وبدأت بالسير في السوق تتفقد بضائعه المتنوعة، حتى وقعت عيناها على محل لبيع الآلات الموسيقية، فوقفت بجانبه تعاين معروضاته.

(البائع) مبتسماً: هل يمكنني خدمتك ياسيدتي؟

(هنان) وهي تتفحص الآلات الموسيقية المعروضة:

بكم هذا الناي؟

(البائع) وهو يحضر الناي مبتسماً: بالقيمة التي ترينها مناسبة

(هنان) وهي تمسك الناي وتتمعن فيه مبتسمة:

هل يمكنني تجربته؟

(البائع) مبتسماً: بالطبع ... بالطبع.

بدأت (هنان) بالعزف على الناي، وخلال عزفها قال البائع وهو سارحٌ:

يمكنك أخذه دون مقابل.

(هنان) وهي تبتسم وتهم بالرحيل: شكرًا هذا كرم منك.

وقبل ابتعاد (هنان) عن المحل... سمعت رجلًا يهمس في أذنها ويقول:

تملكين قدرةً عجيبة من أين تعلمتها؟

التفتت (هنان) بارتباك على الرجل الذي كان يهمس لها وقالت:

ماذا؟ ... عن ماذا تتحدث؟

(الرجل) وهو يبتسم ويحدق بالناس:

لا تقلقي... فأنا ساحر مثلك ... ولن أفضح أمرك

(هنان): ساحرٌ؟

(الرجل) وهو ينظر لـ (هنان) ويبتسم:

نعم ... أنا (مندر) وأنتِ؟

(هنان) وهي تبتسم: (هنان)

(مندر) وهو يبتسم... ويمد يده لمصافحة (هنان): تشرفت بك يا (هنان).

(هنان) تصافح (مندر) مبتسمة ..

هم الرجل بالرحيل لكن (هنان) وضعت يدها على كتفه بخفه وقالت:

هل يمكن أن أطلب معروفاً؟

(مندر) مبتسماً: بالطبع فنحن أصحاب مهنةٍ واحدةٍ.

(هنان) مبتسمة: شكراً ... أحتاج طلسماً ما، ولا أعرف إذا كنت تستطيع تزويدي به.

(مندر) وهو يرفع رأسه وينظر إلى الحشود في السوق، ثم يعيد نظره إلى (هنان):

لا بأس، لكن لا يمكننا فعل ذلك هنا وأمام الناس.

(هنان): أين إذاً؟

(مندر) وهو يبتسم: اتبعيني.

سار (مندر) خارجًا من السوق وتبعته (هنان) وهي تلتفت يميناً ويساراً، بحثاً عن (ضارم) الذي حذرها من الخروج من السوق، لكنها لم تتوقف عن متابعة (مندر) حتى خرجا... استمر (مندر) بالسير واستمرت (هنان) بمتابعته حتى وصلا إلى منزل وقال مبتسماً:

هذا منزلي .

(هنان) بقلق: جيد ... هل يمكنك تعليمي الطلسم الآن؟

(مندر) مبتسماً: لم تخبريني بنوع الطلسم الذي ترغبين في تعلمه.

(هنان): طلسم الانتقال

(مندر): طلسم الانتقال، طلاسم الانتقال كثيرة، وأنا لا أجيدها جميعاً... في الواقع لا أجيد أيًا منها.

(هنان) وهي تهم بالرحيل: شكرًا على وقتك.

(مندر) مبتسماً: انتظري .

(هنان): ماذا؟

(مندر): أملك مجموعة كبيرة من الكتب التي تتحدث عن طلاسم الانتقال، يمكنك البحث فيها إذا شئت.

(هنان) بتوترٍ: كنت أظنك لا تعرف عنها شيئًا.

(مندر) وهو يبتسم:

أنا أحب اقتناء كتب الطلاسم بأنواعها، ولكن لا أتعلم من الطلاسم إلا ما أحتاجه.

(هنان) وعلى وجهها ارتسمت معالم الشك والقلق: ...

(مندر) وهو مبتسم: أنتِ لاتثقين بي أليس كذلك؟

(هنان): ولماذا أثق بك؟

(مندر) وهو مبتسم: ألا أبدو جديرًا بالثقة؟

(هنان): الثقة ليست خلقاً حسناً، أو فضيلة نلاحظها، بل نتيجة وحصيلة نصل إليها.

(مندر) وهو يبتسم ويفتح باب منزله:

معك حق ... مكتبتي في الداخل، وأنا سأعود إلى السوق، عندما تنتهين وتحصلين على ما تريدين، أغلقي الباب جيدًا بعدما تنتهين، كي لا أتعرض للسرقة.

(هنان) باستغراب: لماذا تفعل ذلك؟

(مندر) وهو يسير مبتعدًا عن منزله متوجهًا إلى السوق: لأني أثق بك.

(هنان) تنظر لـ (مندر) باستغرابٍ ..

بعد رحيل (مندر) دخلت (هنان) بحذرٍ إلى منزله، ووجدت مكتبته الكبيرة التي امتلأت بأنواع الكتب التي تتحدث عن السحر، وعن

تاريخه وبدأت تبحث بينها. بالرغم من أن (هنان) كانت تجيد القراءة بسبب نشأتها في بيتٍ ميسورٍ عندما كانت صغيرة، إلا أنها ضاعت بين تلك الكتب ولم تجد ضالتها... عاد (مندر) في المساء ووجد باب منزله ما زال مفتوحًا، لكنّ المنزل مظلم فقال في نفسه:

«يبدو أنها رحلت ونسيت إغلاق الباب»

دخل منزله وأشعل مصدرًا للضوء ليجد (هنان) على الأرض نائمة.

(مندر) وهو يحرك كتف (هنان): لماذا لم ترحلي؟

(هنان) وهي تستيقظ مفزوعة: أنا لست نائمة ياعمة!

(مندر) وهو يبتسم: ما بك؟

(هنان) وهي تدعك النعاس من عينيها: آسفه لقد غلبني النعاس.

(مندر) وهو يبتسم: لا بأس ... هل وجدت الطلسم الذي كنت تبحثين عنه؟

(هنان) وهي ترفع أحد الكتب التي كانت ملقية على الأرض:

كتبك غريبة لم أفهم منها شيئاً.

(مندر) وهو يضحك: هيا انهضي.

(هنان) وهي تنهض وتجلس: لا أريد إلا طلسماً واحداً فقط .

(مندر) وهو يرتب الكتب التي أخرجتها (هنان) من أماكنها:

طلسم الانتقال ليس طلسماً واحداً فقط .

(هنان) وهي تتثاءب: ماذا تقصد؟

(مندر) وهو يضع آخر كتابٍ في مكانه: هل أنتِ جائعة؟

(هنان): جدًا

(مندر) وهو يبتسم: سوف أعد لكِ بعض الطعام.

(هنان) باستغراب: لِمَ أنت هكذا؟

(مندر) وهو يبتسم: هكذا؟ ... ماذا تقصدين؟

(هنان): هكذا ... طيب.

(مندر) وهو يضحك: هل تفضلين أن أعاملك بدناءة؟

(هنان): معاملتك الطيبة هذه تثير الرعب في نفسي.

(مندر) وهو يضحك بصوت مرتفع ويعد الطعام:

هذه أول مرة أسمع مثل هذا الكلام!

(هنان): أنا لا أمزح ... كيف تكون ساحراً، وتتعامل مع الناس بهذه الطريقة؟

(مندر) وهو يضع الطعام أمام (هنان): وكيف من المفترض أن أتعامل معهم؟

(هنان) وهي تجلس أمام الطعام وتأكل:

لا أعرف، لكن أمرك غريب وتضحك بسهولةٍ غريبةٍ

(مندر) وهو يبتسم ويتناول الطعام مع (هنان):

الضحك أسهل من الابتسام، مثلما الدمع أكثر إيلامًا من البكاء.

(هنان) تتوقف عن الأكل وتنظر إلى (مندر) ..

(مندر) وهو يتناول لقمة من طعامه، ويحدق بالطبق الذي أمامه:

هل هذه أول مرة تزورين فيها «الحجاز»؟

(هنان) وهي ترفع قطعة من الخبز أمام نظرها: هل هذا الطعام مسموم؟

(مندر) وهو يضحك: نعم مسموم، كلي طعامك واصمتي.

انتهى الاثنان من الطعام وجلس (مندر) وشرح لـ (هنان) بعض ما يعرفه عن طلاسم الانتقال وقال:

أنا لا أعرف عنها إلا ما قرأته فقط، ولم أحاول يومًا تعلم نصوصها أو تطبيقها.

(هنان): لأنك لا تحتاجها.

(مندر) وهو يبتسم: نعم بالضبط ... لكن ما أعرفه عنها أنها ثلاثة أنواع رئيسة

(هنان): ماهي؟

(مندر): طلاسم لا تعبر بك البحر، وطلاسم تعبر بك البحر، وهي أصعب ولا يتقنها أو يجيدها إلا المستبحر في السحر، وكلا النوعين يتفرعان لأنواع أكثر

(هنان): والنوع الثالث؟

(مندر): نوعية خطرة جدًا وإتقانها صعب تسمى بطلاسم «الفناء»

(هنان): طلاسم «الفناء»؟ ... وما الغرض منها؟

(مندر) وهو يرفع الأطباق الفارغة:

يستخدمها بعض السحرة المخضرمين للهروب من مواجهاتهم الخاسرة.

(هنان): كيف؟

(مندر) وهو يعود ويجلس أمام (هنان):

بعض السحرة عندما يتقهقرون في نزال ما، ولا يستطيعون الهرب خاصة إذا كانوا محاصرين، يلجؤون إلى هذا النوع من الطلاسم السريعة كي يهربوا من الموت

(هنان) بتعجبٍ: هل هذا ممكنٌ؟

(مندر): هذا ما قرأته، ولكني لم أرَ أحدًا يطبقها من قبل أمامي.

(هنان) وهي متوترة: وما هي خطورة هذه الطلاسم؟

(مندر): حسب ما قرأت أنه لا أحد ينجو حيًا بعد قراءتها

(هنان): لماذا؟

(مندر): السحرة الذين يستخدمونها، يستخدمونها كي لا ينكل قاتلهم بهم، أو يتمكن من أجسادهم بعد موتهم.

(هنان) بخيبة أمل: هل معنى ذلك أنه لا أمل من نجاتهم؟

(مندر): لا أعتقد.

(هنان): لكن لماذا؟

(مندر): لأن هذا الطلسم إذا لم يحرقك خلال قراءته، سيرمي بك في أي مكان في هذا العالم، وغالبًا مايكون هذا المكان مكانًا... لن تنجي منه، مثل البحر، أو البلاد البعيدة.

(هنان): لكن يمكنك النجاة أليس كذلك؟

(مندر): الساحر الذي يلجأ إلى هذا الطلسم، يكون مصاباً في الغالب، وهذا يزيد من فرصة عدم نجاته.

(هنان) بوجه حزين: ...

(مندر): ما بك؟

(هنان): لا شيء انس الأمر ... علمني كيف أجيد طلسم الانتقال عبر البحر.

(مندر): أنا لا أملك الكتب التي تعلم طلسم الانتقال عبر البحر، وحتى لو كنت أملكها فلا يمكنك تعلمها قبل إتقان طلاسم البر.

(هنان): وهل تملك الكتب التي تتحدث عن طلاسم البر؟

(مندر) وهو ينهض مبتسماً: بالطبع.

أخرج (مندر) مجموعة من الكتب ووضعها أمام (هنان) وقال:

معظم هذه الكتب قرأتها، لكني نسيت أغلب ما قرأته، ولم أحفظ شيئًا من طلاسمها

(هنان) وهي تبتسم: أنت أسوأ معلم رأيته في حياتي.

(مندر) وهو يبتسم ويفتح أحد الكتب:

لا تقلقي أذكر أن هذا الكتاب هو أهم واحد فيها، وأبسطها كذلك.

تصفح (مندر) الكتاب لدقائق ثم قال: وجدته ... هذا هو طلسم (العبور)

(هنان): العبور .

(مندر) وهو يضع الكتاب مفتوحًا أمام (هنان):

نعم ... هناك طلاسم تنقلك إلى أماكن لم تزوريها من قبل ولا تحتاج منك إلا التفكير باسم المدينة أو المنطقة، لكن الطلاسم الأقل منها لا تنقلك إلا إلى مكان زرته من قبل.

(هنان): وهذا الطلسم من أي نوعٍ منها؟

(مندر): هذا الطلسم هو أبسطها، ولا ينقلك إلا إلى مكان زرته من قبل، ولا يمكنك استخدامه إلا ليلًا.

«هنان) بوجه محبط: هذا الطلسم معقدٌ وشروطه كثيرةٌ.

(مندر): هذا أبسط طلسمٍ يمكنك تعلمه كمبتدئة.

(هنان) بتجهم: ومن قال لك إني مبتدئة؟

(مندر): هل تجيدين طلاسم (الغفوة)؟

(هنان) باستغراب: لا

(مندر): هل تجيدين طلاسم (العتق)؟

(هنان): لا

(مندر): هل تجيدين طلاسم (القص)؟

(هنان) بغضب: لا!

(مندر) وهو يشير بأصبعه إلى نص طلسم في الكتاب:

إذاً فأنت مبتدئة ... احفظي هذا الطلسم وعند قراءتك له، ضعي إبهام يدك اليمنى على إبهام يدك اليسرى، وفكري بالمكان الذي ترغبين بالانتقال إليه، بشرط ألاّ يكون بينك وبين المكان بحر.

(هنان): ثم ماذا سيحدث؟

(مندر): لا أعرف.

(هنان) بصوت مرتفع: لا تعرف؟!

(مندر): نعم فأنا لم أجرب هذا الطلسم من قبل.

(هنان): وماذا سيحدث إذا لم أنجح؟

(مندر): لا أعرف.

(هنان) بوجه محبط: هل أنت متأكدٌ من أنك ساحرٌ؟

(مندر): أخبرتك أني لم أتعامل مع طلاسم الانتقال من قبل.

(هنان) وهي تقف: حسنًا حسنًا سأجرب

(مندر): انتظري

(هنان) وهي تلاصق إبهاميها: ماذا؟

(مندر): كي تعودي طبقي نفس العملية، لكن فكري بمنزلي.

(هنان) وهي تحدق بإبهاميها: حسنًا دعني أركز.

قرأت(هنان) الطلسم واختفت.

وقف (مندر) مبهورًا لاختفاء (هنان) من أمامه وبدأ يتجول في المكان الذي كانت واقفة فيه، وبعد دقائق ظهرت (هنان) أمامه وعلى وجهها ابتسامة عريضة.

(مندر) وهو يبادلها الابتسام: أين ذهبت؟

(هنان) وهي تبتسم: كنت في منزلنا القديم في «اليمامة»

(مندر) وهو يبتسم: معنى ذلك أن الطلسم صحيح؟

(هنان) وهي تبتسم بانبهار: نعم ... شكرًا لك.

(مندر) يبتسم .

قررت (هنان) بعد شكرها لـ (مندر) الرحيل والبحث عن (ضارم)، وقبل رحيلها مد لها (مندر) كتاباً وقال:

خذي هذا الكتاب.

(هنان) وهي تأخذ الكتاب وتتصفحه: ما هذا الكتاب؟

(مندر): أحد نوادر الكتب التي أملكها سيكون نافعًا لك.

(هنان) وهي تقلبه: عن ماذا يتحدث؟

(مندر) وهو يبتسم: عن الطلاسم الحركية

(هنان): تقصد الطلاسم غير المنطوقة؟

(مندر): نعم.

(هنان) بوجه حزين: أختي كانت تجيدها.

(مندر) بوجه حزين أيضاً وهو يحدق في الكتاب:

لا أظن أكثر من التي كانت تقرأ فيه.

(هنان): ربما.

(مندر): حاولي إتقان بعضها فهي مفيدةٌ.

(هنان) وهي تعيد الكتاب لـ (مندر): شكرًا لكني لا أحتاجه.

(مندر) وهو يأخذ الكتاب من يد (هنان): كما تشائين.

(هنان) وهي تعانق (مندر) مبتسمة:

طيبتك هذه ستوقعك في المشاكل يومًا ما.

(مندر): مساعدة الناس هي أقصر الطرق لمساعدة نفسك.

(هنان) وهي تفك عناق (مندر): لقد ساعدتني كثيرًا ... شكرًا لك.

(مندر) وهو يودع (هنان) وهي تخرج من منزله:

هل سأراكِ مرة أخرى؟

(هنان) وهي تخرج من المنزل مبتسمة بحزن: لا أعتقد.

(مندر): رافقتك السلامة يا (هنان).

خرجت (هنان) وكان الفجر على وشك الحلول، لذا توجهت إلى السوق الذي افترقت فيه عن (ضارم) .

وعند وصولها وجدته خاويًا من الناس، فوقفت بضع دقائق ليخرج لها (ضارم)

غاضبًا وهو يقول: أين كنتِ؟!

(هنان) وهي مبتسمة: ما بك؟

(ضارم) بغضب: ما بي؟! .. ما بي؟! .. هل أنتِ مجنونة؟!

(هنان): لماذا ترفع صوتك؟ لقد حصلت على طلسم الانتقال، ويمكننا الرحيل الآن.

(ضارم) بغضب: كان يجب أن تنتظريني!

(هنان): لا أفهم سبب غضبك.

(ضارم): أنتِ لا تعرفين معنى العهد الذي قطعته لك؟!

(هنان): أي عهد؟

(ضارم): عندما وافقت على مساعدتك في مسعاك ربطت نفسي بعهد.

(هنان): لا أفهم قصدك.

(ضارم): لو أنني لم أجدك، كنت سأحبس هنا في هذه المدينة ولن أستطيع الخروج منها أبدًا!

(هنان) باستغرابٍ: لماذا؟

(ضارم): أي جنيّ أو شيطانٍ يوافق على مساعدتك، يكون مربوطاً بك بعهد حتى تحرريه

(هنان) مبتسمة: هل هذا صحيح؟

(ضارم) بعصبية: نعم! ... أي نوع من الساحرات أنت؟!

(هنان) وهي تبتسم: مبتدئة فيما يبدو.

(ضارم) وهو يضع يده على رأسه: لماذا أوقعت نفسي فيه؟

(هنان) وهي تبتسم:

لا تضيع الوقت ولنعد إلى المكان حيث دفنا فيه جلد (شيذم).

(ضارم): من أين حصلت على طلسم الانتقال؟

(هنان): وما شأنك؟

(ضارم) وهو يتشكل كجواد أسود: لا شأن لي ... هيا لنعد من حيث أتينا.

(هنان) وهي تركب على ظهره: حاول ألاّ تصل بسرعة.

(ضارم) باستغراب، ماذا؟!

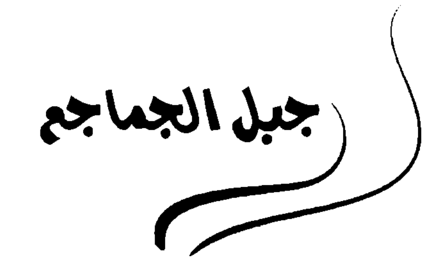
(هنان) وهي تضع رأسها على رقبته: أريد أن أنام قليلًا

(ضارم): ستسقطين من على ظهري.

(هنان) وهي تغمض عينيها: وهل ستتركني أقع؟

(ضارم) وهو يبتسم: لا ... نامي وسأوقظك عندما نصل.

***



# جبل الجماجم

قبل الظهر وصل (ضارم) بالقرب من المكان الذي دفنوا فيه جلد (شيذم)

وعند وصوله استيقظت (هنان):

(ضارم) وهو ما زال متشكلًا كجواد: هل أخذت كفايتك من النوم؟

(هنان) وهي تنزل من على ظهر (ضارم): نعم، هل وصلنا؟

(ضارم): نعم .. ما العمل الآن؟

(هنان) وهي تضع يدها على رأسها: لقد نسيت أمرًا مهماً.

(ضارم): نسيت ماذا؟

(هنان): لا يمكنني الانتقال إلى مكان لم أزره من قبل، ولايمكنني الانتقال إلا ليلًا.

(ضارم): ماذا يعني ذلك؟

(هنان) وهي تمتطي (ضارم) مرة أخرى: خذني إلى كهف الشياطين العاشقة

(ضارم): وماذا عن جلد (شيذم)؟

(هنان): سنعود إليه لاحقاً.

انطلق (ضارم) متوجهًا إلى كهف الشياطين العاشقة في «خور روري».

هبط الاثنان بعد الظهر في منطقة صحراوية فيها القليل من الخضرة، فنزلت (هنان) وتشكل (ضارم) بهيئةٍ بشريةٍ وقال:

لقد وصلنا إلى كهف العشاق.

(هنان) وهي تلتفت يمينًا وشمالًا: أين هو؟

(ضارم): لقد أخبرتك أنه تحت الأرض

(هنان): أعرف... لكني لا أرى له أي مدخل.

(ضارم) وهو يشير بأصبعه: هل ترين تلك الصخرة الكبيرة؟

(هنان) وهي تنظر إلى الصخرة: نعم.

(ضارم) وهو يسير باتجاه الصخرة:

تحت هذه الصخرة أحد المداخل المؤدية إلى الكهف السفلي للشياطين العاشقة .

(هنان) وهي تلحق بـ (ضارم): هل له أكثر من مدخل؟

(ضارم) وهو يضع يده على الصخرة: نعم، لكنها بعيده جدًا عن هنا.

(هنان): هل الكهف كبير لهذه الدرجة؟

(ضارم): نعم فهو يمتد ويتشعب تحت الأرض إلى مسافات بعيدة.

(هنان): وأين سأجد (عاشق نورة) في هذه المتاهة؟

(ضارم): هذا الأمر متروكٌ للحظ .

(هنان): الحظ؟!

(ضارم): نعم ... هل كنت تظنين أن الأمر بهذه السهولة؟

(هنان) تحدق في الصخرة...

(ضارم): هل تفكرين بالتراجع عن فكرة البحث؟

(هنان): لا لنعد ونحضر جلد (شيذم).

عاد الاثنان من حيث أتيا، ومكثا هناك حتى حط الليل أستاره، فوضعت (هنان) جلد (شيذم) على ظهرها وبدأت بقراءة طلسم الانتقال بعدما طلبت من (ضارم) أن يسبقها إلى مدخل الكهف.

انتقلت (هنان) إلى مكان الصخرة لتجد (ضارماً) في انتظارها:

(ضارم): سوف أزيح الصخرة الآن .. هل تستطيعين الحركة، وذلك الفراء الثقيل على ظهرك؟

(هنان) وهي تشد وثاق جلد (شيذم) على جسدها: وهل أمامي خيار آخر؟

(ضارم) وهو يدفع الصخرة مبتسماً: لا أظن.

بعدما أزيحت الصخرة كُشِف عن حفرة مظلمة تحت الأرض. نظرت (هنان) اليها وقالت:

كيف سأسير في هذه العتمة؟

(ضارم) وهو يمد يده في الرمال ويخرج حجرًا من (الصوان): بهذه.

(هنان) وهي تنظر إلى الحجر: وما الفائدة من هذا الحجر؟

(ضارم) وهو ينفخ على الحجر ويجعله يضيء:

سيكون مفيدًا ... لكن حاولي ألاّ تفقديه، وإلا حبست داخل الكهف إلى الأبد.

(هنان) وهي تمسك بالحجر المضيء: وماذا أفعل لو تهت في الكهف؟

(ضارم) وهو يبتسم:

حاولي ألاّ يحدث ذلك ... هيا اذهبي وسوف أكون هنا بانتظارك.

(هنان) بوجه قلق وهي تنظر إلى الحفرة المظلمة: وإذا لم أعد؟

(ضارم): سأكون مربوطاً في هذا المكان إلى الأبد.

(هنان): لماذا؟

(ضارم): لأنك لم تحرريني!

(هنان) بوجه واثق: سأعود.

(ضارم) بوجه مبتسم: المهم أن تعرفي وجهتك.

(هنان) وهي تحدق في الطريق المظلم:

عندما تجهل وجهتك تصبح كل الطرق مناسبة ..

نزلت (هنان) من الفتحة الأرضية، وبدأت في السير نزولًا في أعماقها بعد نزول (هنان) بدأ (ضارم) بإغلاق الفتحه بدفع الصخرة فوقها فصرخت (هنان) وقالت: ماذا تفعل؟!

(ضارم) وهو يدفع الصخرة:

يجب أن أغلق الفوهة، لكن لا تقلقي سأبقى هنا إلى حين عودتك، وسوف أعلم بقدومك وأزيحها.

(هنان) بتوتر: لَمَ تغلقها من الأساس؟

(ضارم) والفوهة أوشكت على الانغلاق:

بقاؤها مفتوحة سيثير سخط الشياطين في الأسفل، وأنت في غنى عن ذلك.

(هنان) بوجه محبط، وهي تنظر إلى الصخرة وهي تغطي الفوهة: حسنًا.

نزلت (هنان) بعدما اكتمل إغلاق مدخل الكهف.

استمرت (هنان) بالنزول إلى مسافة ليست باليسيرة، تحول بعدها مسار الكهف من النزول إلى الأمام، بعدما وصلت إلى أرض مستوية يمكنها الوقوف عليها، رفعت (هنان) الحجر المضيء في محاولة منها لتفقد الطريق والتضاريس من حولها لكن مدى نور الحجر لم يكن يتعدى بضع خطوات أمامها، لذا اضطرت لإكمال المسير دون وجهةٍ محددةٍ.

بدأ الكهف بالاتساع شيئاً فشيئاً، كلما تقدمت (هنان)، وبدأت تسمع أصواتاً وهمسات خفيفة حولها... لم تستطع تمييزها، لكنها كانت تبدو مستاءة وغاضبة من وجودها في الكهف... تجاهلت (هنان) تلك الأصوات وتقدمت إلى الأمام حتى سمعت صرخة قوية قريبة منها، أرعبتها ودفعتها لإسقاط الحجر المضيء من يدها. بدأت بعد ذلك بسماع ضحكاتٍ كثيرةٍ ومتتاليةٍ، لم تنقطع إلا بعدما أمسكت بالحجر مرة أخرى ورفعته للأعلى للبحث عن مصدر الضحكات...

عم الهدوء المكان فواصلت (هنان) سيرها بقلق... وصلت بعد مسافة قصيرة إلى مفترق طرق ووجدت ثلاث فتحات أمامها، فاحتارت أيّاً منها تسلك، وخلال حيرتها سمعت بعض الهمسات:

«(شيذم) .. (شيذم) .. لماذا عدت؟»

التفتت (هنان) خلفها بسرعة فتعالت الصرخات القوية:

«الرحمة يا (أبا كاسب)! .. الرحمة يا (أبا كاسب)»

ارتبكت (هنان) من تلك الصرخات المتعالية، وقررت اختيار الطريق الأيمن.

قطعت (هنان) مسافة وجيزة في ذلك الطريق الذي اختارته، ومع مرور الوقت بدأ يزداد ضيقًا لدرجة أنه أصبح بأمكانها لمس جانبي الممر بيديها في نفس الوقت. لم تتوقف (هنان) عن السير حتى وصلت إلى نهاية الطريق، والذي كان مسدودًا بجدارٍ مصمتٍ... فقررت ... أن تعود أدراجها من حيث أتت بعدما تفحصت الجدار ولم تجد فيه أي منفذ، لكنها سمعت صوتًا أنثويًا يقول:

«ما الذي تبحث عنه يا (أبا كاسب)؟»

(هنان) بخوف: ...

(الصوت): ما الذي تبحث عنه يا (أبا كاسب)؟

(هنان) بقلق: أبحث عن (عاشق نورة)؟

(الصوت): ...

(هنان) وهي ترفع الحجر المضيء ...

(الصوت) يصرخ صرخة قوية دفعت (هنان) لوضع كفيها على أذنيها وتسقط الحجر ... عم الهدوء المكان بعد الصرخة وأكملت (هنان) المسير عائدة من حيث أتت بعدما التقطت الحجر المضيء، لكنها وقبل وصولها إلى مفترق الطرق الذي أتت منه سمعت صوتًا يقول:

«العاشق الكبير لن يغفر لك ..»

لم تهتم (هنان) لتلك الأصوات واستمرت بالسير وهي قابضة على الحجر المضيء بقلق، وبمجرد خروجها من نهاية الطريق وعودتها إلى مفترق الطرق الثلاثة بدأ سيل من الحجارة يرجمها بقوة... يصاحبها أصوات صرخاتٍ عاليةٍ تقول:

«اخرج! ... اخرج ..!»

نزلت (هنان) على ركبها وبقيت منخفضة، ولم تنهض حتى توقف الرجم، وعم الهدوء المكان مرة أخرى، واختارت الطريق الأوسط وسارت فيه... بعد مضي دقائق من سيرها بدأت (هنان) ترى بريقًا من النور في آخر الطريق فتوجهت نحوه حتى وصلت إلى مكان يشبه الساحة الكبيرة تتوسطها نار تشتعل، وتجلس أمامها كما بدا لها إمرأة تتمتم... وقفت (هنان) تراقب المرأة بقلق ولم تتحدث حتى نطقت وقالت:

«اقترب يا (أبا كاسب)»

(هنان) وهي متسمرة مكانها .

(المرأة) وهي تنظر إلى النار: اقترب يا (أبا كاسب)

تقدمت (هنان) بخوف وبحذر حتى أصبحت واقفة أمام المرأة، ولا يفصل بينهما إلا تلك النار المشتعلة .

(المرأة): من أنت؟ .. ولَمَ أنت هنا؟

(هنان): ...

(المرأة): أنتَ لست (أبا كاسب) ... أنت تسخره لصدنا عن تمزيقك، ولكن لأيّ غرض؟

(هنان) بصوت مرتبك: أرغب في مقابلة (عاشق نورة).

(المرأة) وهي تصرخ بقوة: لماذا؟!

صوت ضحكات كثيرة حول (هنان).

(هنان) بخوف: ....

(المرأة): (أبو كاسب) لن يحميك من سخط العاشق الكبير.

(هنان): ...

(المرأة): إذا كنت ترغب في الموت فاذهب من الطريق الأيسر.

(هنان) بتوتر: هل (عاشق نورة) هناك؟

(المرأة) وهي ترفع رأسها وتكشف عن وجهها القبيح، وتحدق بـ (هنان) وتبتسم:

عندما تسمع البكاء ستكون قد وصلت.

تحركت (هنان) بسرعةٍ من أمام المرأة وسارت حتى عادت إلى مفترق الطرق ودخلت الممر الذي كان على اليسار وقبل دخولها سمعت ضحكاتٍ كثيرةً خلفها.

استمرت (هنان) بالمسير في عتمة الممر وهي ممسكة بحجرها المضيء تحاول تفقد المكان وبعد مسيرة ليست باليسيرة في ذلك النفق... بدأت تسمع صوت بكاءٍ عن بعد... توقفت (هنان) للحظات عندما سمعت البكاء، لكنها عاودت السير باتجاه مصدر البكاء والذي كان يزداد قوة، ووضوحاً خلال سيرها، ويتخلله بعض الكلام غير الواضح.

وصلت (هنان) إلى نهاية النفق لترى منظراً مخيفاً..

رأت أمامها جبلًا كبيرًا من العظام والجماجم، وكان البكاء يأتي من قمته، لم تستطع (هنان) رؤية القمة برفعها للحجر المضيء، لأن الجبل كان كبيرًا وشاهق الارتفاع، فقررت الصعود عليه، والتوجه نحو مصدر الصوت.

صعدت (هنان) على جبل الجماجم، وبسبب ثقل جلد (شيذم) كان تحركها بطيئاً ومتعباً، لكنها تحاملت على نفسها وأكملت الصعود... وصلت القمة بعد عناءٍ وأصبح صوت البكاء واضحًا وقريبًا منها... كان سطح الجبل مسطحًا نوعاً ما لكنه لم يكن كبيرًا... رفعت (هنان) الحجر المضيء لتفقد السطح لترى ظهر رجلٍ يبكي وهو جالس، ويتحدث بكلام غير مفهوم أحيانًا... فعرفت أنه هو مصدر البكاء الذي كانت تسمعه... فكرت (هنان) قليلًا قبل الاقتراب من الرجل الباكي، بعدها تقدمت نحوه وتمركزت خلفه ببضع خطوات وقالت بتوتر:

هل أنت (عاشق نورة)؟




لم تنه سؤالها حتى قفز ذلك الرجل عليها ونزع جلد (شيذم) من على ظهرها ورماه أسفل جبل الجماجم، وصفعها صفعة أطاحت بها أرضًا وأسقطت الحجر المضيء من يدها ليستقر بجانبها على بعد أقدامٍ منها... بدأت (هنان) بالزحف بأنف ينزف نحو الحجر، لكنها سمعت زئيرًا يأتي من خلفها يتبعه انقضاض لشيء ثقيل على ظهرها، ثبتها على الأرض وبدأ يتنفس بثقل عند عنقها ويقول:

من يجرؤ على تعكير صفو خلوتي؟

(هنان) بخوف شديد وتوتر خانق: رسول يحمل إليك أمانة ..

(صاحب الصوت) وهو جاثٍ على ظهر (هنان):

سلم أمانتك قبل أن أنتزع قلبك النابض.

مدت (هنان) يدها في جيبها وأخرجت الخاتم ذا الفص الأصفر، ورفعته فوق رأسها وهي تتألم بشدة من ضغط ذلك الشيء المطبق عليها... خف الضغط وأحست بالخاتم وهو يلتقط من راحة يدها بيد ذات مخالب كبيرة تبعها بكاء يخالطه بعض النحيب... ابتعد ذلك الشيء عن (هنان) وعاد إلى مكانه السابق وهو يبكي، فبدأت تزحف اتجاه الحجر المنير، حتى قبضت عليه بيدها وفقدت وعيها.

استيقظت (هنان) بعد مدة على قمة جبل الجماجم، ولم تجد الرجل الباكي فنهضت وبدأت تتفحص المكان بالحجر المضيء، حتى وقعت عيناها على هيكل عظمي مستلقٍ على بعد يسير منها... كان الهيكل فيما يبدو لأمرأة، لأن لباسها وشعرها الطويل كان يوحي بذلك...

اقتربت (هنان) منها بحذر وبدأت بتفحصها بالحجر المضيء، لتجد أن الخاتم الاصفر قد وضع على أحد أصابعها، وقبل أن ترفع (هنان) نظرها سمعت صوتًا يأتي من خلفها يقول:

من أنتِ ولماذا أتيتِ لتموتي هنا؟

(هنان) وهي تقف وترفع الحجر المضيء نحو مصدر الصوت:

أنا (هنان) ولم آتِ هنا لأموت .

(الصوت): لا أحد يدخل كهف العشاق ويخرج حيًا.

(هنان): (أبو كاسب) خرج حيًا من هذا المكان.

صوت زمجرة يأتي من الظلام ..

(هنان) وهي تتحدث للعتمة: أتيت للمقايضة

(الصوت): مقايضة ماذا بماذا؟

(هنان): الخاتم مقابل معاهدتك لي بالولاء.

(الصوت) وهو يضحك بقوة: لم أضحك منذ مئات السنين!

(هنان): ما قولك؟

(الصوت): لا يمكنك المقايضة بشيء لا تملكينه.

(هنان): ما السبيل لولائك؟

(الصوت): انزلي من فوق القمة.

(هنان): لماذا؟

(الصوت): كي لا يلطخ دمك المتناثر معشوقتي!

(هنان) وهي تلتفت نحو الهيكل العظمي خلفها: هل هذه (نورة)؟

(الصوت) وهو يصرخ: انزلي!

(هنان) وهي تتوجه إلى الهيكل وتجلس بجانبه وتضع الحجر المضيء أمامها:

هل تألمت لفراقها يا (عاشق نورة)؟

(عاشق نورة): ...

(هنان): وماذا فعلت غير البكاء عليها وعلى حالك؟

(عاشق نورة): جبل العظام الذي تجلسين عليه هو من أفراد قبيلتها الهالكين.

(هنان) وهي تنظر إلى العظام حولها: وهل حصلت على الراحة؟

(عاشق نورة) بحزن:

الانتقام كأس لا نشرب منه حتى الارتواء .. بل نشرب منه حد الثمالة..

(هنان): لكن هل وجدت الراحة بعد تلك الثمالة؟

(عاشق نورة): القلب الخاوي يؤلم صاحبه أكثر من القلب العامر بالكره ... كان يجب أن أملأ ذلك الخواء بشيءٍ، ولم أجد أفضل من دماء من فرقوا بيني وبين معشوقتي.

(هنان): ...

(عاشق نورة): ما زال بعض أفراد قبيلة (سحيان) على قيد الحياة، وسوف أجدهم وأبيدهم.

(هنان): لماذا كنت تتحدث مع نفسك؟ ... هل أنت مجنون كما يقال؟

(عاشق نورة): الحديثُ مع النفس أهون بكثير من الحديث مع من لا يكترث.

(هنان): ومتى ستنتهي؟

(عاشق نورة): لم يبق الكثير من نسل قبيلة (سحيان) سأنتهي منهم قريبًا.

(هنان): وماذا ستفعل بعدها؟

(عاشق نورة): ...

(هنان): أنا أيضًا فقدت ... وأرغب في الانتقام.

(عاشق نورة) وصوته بدا أقرب من السابق: وما شأني بفقدك؟

(هنان): عاوني في ثأري... ولك ما شئت.

(عاشق نورة): هل تستطيعين إحياء الموتى؟

(هنان): لا.

(عاشق نورة) وهو يصرخ: إذاً لا حاجة لي بك!

(هنان): ...

(عاشق نورة): من هو غريمك؟

(هنان): لا أعرف سوى أنهن من الفرس

(عاشق نورة): هنّ؟

(هنان): نعم ... مجموعة من الساحرت.

(عاشق نورة): ...

(هنان): عاوني على قتلهن وسوف أقدم لك ما تشاء.

(عاشق نورة): لم أقطع عهد ولاء لا لجن... ولا لإنس من قبل.

(هنان): عهدك معي ينتهي بنهاية ثأري.

(عاشق نورة): ...

(هنان): ما قولك يا عاشق؟

(عاشق نورة): لا يوجد شيءٌ بلا ثمن.

(هنان): عندما أنتهي من ثأري اطلب ما تشاء.

(عاشق نورة): أرغب في المقابل الآن؟

(هنان): وما هو المقابل؟

(عاشق نورة): سواد عينيك ..

(هنان) باستغراب: سواد عينيّ؟!

(عاشق نورة): لن أكرر طلبي.

(هنان): هل سأصبح عمياء؟

(عاشق نورة): سآخذ لونها... دون نورها.

(هنان): موافقة!

تقدم (عاشق نورة) وهو متشكل بجسد ضخم، وأعين صفراء حتى أصبح أمام (هنان) التي وقفت عندما رأته وقالت:

عاهدني على الولاء يا (عاشق نورة)!

وضع (عاشق نورة) يده الضخمة على جبين (هنان) وقال:

أعاهدك على السمع والطاعة حتى تحرريني ..

وبعدما انتهى (عاشق نورة) من كلامه تحولت أعين (هنان) إلى البياض التام ..

(هنان): المكان أصبح مضيئاً.

(عاشق نورة) وهو يرفع كفه الضخم من على جبين (هنان):

أخذت سواد عينيك وأصبحت عيناك تريان كأعين الشياطين ... لن يكون الظلام عائقاً أمامك بعد اليوم.

(هنان) وهي تبتسم: سأخرج بسهولة إذاً من هذا الكهف.

(عاشق نورة): وهو يحمل (هنان) ويضعها على كتفه:

ومن قال إنك ستخرجين من حيث أتيت؟

اندفع (عاشق نورة) إلى الأعلى واخترق بقبضته جدار الكهف حتى خرج إلى العراء.

حط الاثنان بالقرب من الصخرة التي كان ينتظر (ضارم) بالقرب منها، وبمجرد نزولهما زمجر (عاشق نورة) وكشر عن أنيابه فقالت (هنان):

ما بك؟

(عاشق نورة): سافل من الجن قريب منا.

(ضارم) وهو يتشكل بحجم مشابه لـ (عاشق نورة):

قد تكون شيطاناً علوياً بين عشيرتك، لكنك عند معشر الجن لست سوى شيطان منبوذ.

اندفع (عاشق نورة) وبدأ... بالصراع مع (ضارم) وخلال صراعهما صرخت (هنان):

توقفا.

توقف الاثنان في لحظة ونزلا على ركبهما بصمت.

نظرت (هنان) بتوتر لاستجابتهما السريعة وقالت:

نحن عصبة واحدةٌ، وأي خلاف بينكما هو نقض لعهدي ... تعايشا حتى أحرركما بعدها مزقا نفسيكما كما تشاءان!

(عاشق نورة) وهو على ركبته وينظر إلى الأرض ويهمس لـ (ضارم) بغضب:

لقد خلصتك الإنسية من موتٍ محتمٍ!

(ضارم) وهو على ركبته ويهمس لـ (عاشق نورة):

موتك مؤجل إلى حين أيها الشيطان.

(هنان) بصوتٍ مرتفعٍ: انتهى النقاش في هذا الأمر!

(عاشق نورة): ...

(ضارم): ...

(هنان): قفا.

وقف الاثنان أمام (هنان) بجسديهما الضخمين.

(هنان): لا داعي لهذا التشكل ... اختارا أشكالاً بشرية .

تشكل (ضارم) بهيئة رجلٍ ملتحٍ... وتشكل (عاشق نورة) بهيئة رجلٍ وسيمٍ .

(هنان) باستغراب: لماذا اخترت التشكل بهذا الشكل ياعاشق؟

(عاشق نورة): هل ترغبين مني في تغييره؟

(هنان): لا ... لا فرق عندي.

أخرجت (هنان) من جيبها الخاتم الأبيض وقالت وهي تحدق به:

هدفنا الآن هو تجنيد (الشيطان الأسير).

(ضارم): هذا أمر مستحيل.

(عاشق نورة): لا يوجد شيء مستحيل.

(هنان) وهي تبتسم: أخبرنا يا (عاشق) عن السبيل لتجنيده.

(ضارم) وهو يبتسم بسخرية: نعم أخبرنا أيها العاشق.

(عاشق نورة) وهو ينظر لـ (ضارم) بازدراء:

الشيطان الأسير محبوس في كهف مجهول، ولا أحد يعرف الطريق إليه.

(ضارم) مبتسماً باستهزاء: وانت من يعرف الطريق أليس كذلك؟

(عاشق نورة): ولا أنا أعرف الطريق إليه.

(هنان) باستغراب وهي تعيد الخاتم الأبيض لجيبها: من يعرف إذاً؟

(عاشق نورة): ابنه وابنته فقط.

(هنان): تقصد (أديس) و(حزك)؟

(ضارم): ابنة الشيطان الأسير وابنه، ماتا عندما حاولا تحريره.

(عاشق نورة): (أديس) لم تمت!

(هنان): أين هي إذاً؟

(عاشق نورة): بعدما فرت من مواجهتها مع الكاهن الكبير استقرت في «أرض الذهب» في «الحجاز» لفترةٍ من الزمن.

(هنان): هي في «الحجاز» إذاً؟

(عاشق نورة): لا فقد رحلت إلى أرضٍ أخرى.

(ضارم) باستهزاء: سيطول حديثك هذا، أم أنك ستخبرنا عن مكانها؟

(عاشق نورة) وهو يرمق (ضارم) بنظرة:

معرفتنا بمكانها لن يقودنا إلى أبيها، ولن نستطيع إجبارها على الإفصاح عن مكان الكهف الذي يقبع فيه أسيرًا.

(هنان): ماذا تقصد؟

(عاشق نورة): الخاتم الأبيض الذي بحوزتك هو مفتاح الخلاص لأبيها، وسوف تفعل المستحيل للحصول عليه.

(ضارم) باستهزاء: وماذا تقترح أن نفعل أيها الشيطان؟

(عاشق نورة) وهو يقف على قدميه: نستخدمه كثمن للحديث معها، ولإقناعها.

(هنان): إقناعها بماذا؟

(عاشق نورة): هذا الأمر متروك لك.

(هنان): كيف؟

(عاشق نورة): كل ما أستطيع القيام به هو ترتيب لقاء لكِ معها.

(ضارم) وهو يقف: (أديس) شيطانة علوية، ولن تتحدث مع إنسية بهذه السهولة.

(عاشق نورة) وهو يبتسم:

اتركا هذا الأمر لي ... كل ما أريده منك الآن هو أن تتوجهي إلى واحة الجن في «الصحراء الخاوية» وتبقي هناك ... هذا الجني بلا شك يعرف طريقها.

(هنان): لماذا ... يجب أن يعرف؟

(عاشق نورة) وهو يختفي: فقط كوني هناك عند منتصف الليل.

(ضارم) وهو يقف: هل تثقين بهذا الشيطان؟

(هنان) وهي تحدق بعينيها البيضاويتين في الأفق:

لقد قطع عهد الولاء لي ... فهل يجب أن أقلق؟

(ضارم): لا فهذا العهد ملزم له .

(هنان): ...

(ضارم): ماذا حدث لعينيك؟

(هنان) وهي تبتسم بحزن: هذا كان ثمن ولائه.

(ضارم): هل كان الأمر يستحق؟

(هنان): يستحق ماذا؟

(ضارم): التحالف مع شيطان؟

(هنان): سأتحالف مع شياطين الأرض كلها، لو كان ذلك هو السبيل للثأر لأخواتي.

(ضارم) وهو يتشكل كجواد أسود: هيا كي لا نتأخر على شيطانك.

امتطت (هنان) (ضارم) وانطلق بها نحو واحة الجن في «الصحراء الخاوية» .

***







# القناع الذهبي

بعد وصول (هنان) و(ضارم) إلى «واحة الجن» في «الصحراء الخاوية» نزل الاثنان وجلسا بين نخيل الواحة، وكان الوقت في أول الصباح.

(هنان) وهي تمعن النظر في نخيل الواحة:

ما هذا المكان يا (ضارم) ولماذا يسمى بـ «واحة الجن»؟

(ضارم) وهو يجلس بجانب (هنان):

هذه التسمية معروفة في عالمنا فقط، أما في عالمك فهي معروفة باسمٍ آخر.

(هنان): وما سر التسمية؟

(ضارم): بعض ملوك الجن يأتون إلى هنا ليموتوا.

(هنان): يموتون؟

(ضارم): نعم ... عندما يتقدم بعضهم في العمر ويشارفون على الموت، يأتون إلى هنا لقضاء أيامهم الأخيرة.

(هنان): ولماذا هذا المكان بالتحديد؟

(ضارم):عادةٌ قديمة متوارثة ولا نعرف من سنها.

(هنان): كم من العمر يمكن للجن أن يعيشوا؟

(ضارم): في الغالب لا نتجاوز الألف عام، لكن بعضنا يعمر لأكثر من ذلك، وقد يمتد به العمر لألف وخمسمئة سنة، وأكثر في حالاتٍ نادرةٍ.

(هنان): وهل هناك جن حولنا الآن؟

(ضارم) وهو يبتسم:

لا يوجد غيري الآن... فالجن يتشاءمون من هذا المكان ولا يقتربون منه.

(هنان): لماذا اختار (عاشق نورة) هذا المكان للقاء (أديس)؟

(ضارم): يريد تطمينها.

(هنان): تطمينها من ماذا؟

(ضارم): دم (أديس) مهدور عند قبائل الجن، وأي واحدٍ منا لو رآها ويملك القدرة على قتلها سيفعل.

(هنان): وماذا عنك؟

(ضارم): عهدي معك يمنعني من ذلك، و(عاشق نورة) يعرف ذلك.

(هنان): ولَمَ دمها مهدور عند الجن؟

(ضارم): قصة طويلة.

(هنان): أمامنا اليوم بطوله فـ (عاشق نورة) أخبرنا أنه سيعود عند منتصف الليل.

(ضارم): ألست مرهقة من رحلتك في كهف الشياطين العاشقة؟

(هنان): بلى.

(ضارم): خذي قسطاً من الراحة الآن، وسنتحدث لاحقاً.

استلقت (هنان) بجانب نخلة واستظلت بظلها، وأغمضت عينيها، وقالت وهي تنظر إلى الأفق، وتسمع سفون الرياح:

المكان موحش .

(ضارم): لا تقلقي لن أبارح مكاني وسأكون بجانبك.

غطت بعدها (هنان) في نوم عميق.

فتحت (هنان) عينيها لتجد أن الليل قد حط والهدوء عم المكان، فنهضت بهدوء ولم تر (ضارماً) حولها... بدأت تبحث عن شيءً تأكله ولم تجد سوى بعض البلح المتساقط من أشجار النخيل المنتشرة في الواحة... كانت تحس بالعطش ولم تر مصدرًا للماء في تلك الواحة، وخلال تفقدها للمكان لاحظت أن ظلام الليل كان أقل ممّا اعتادت عليه بسبب القدرة التي اكتسبتها بعدما فقدت سواد عينيها.

بدأت تتجول في الواحة حتى رأت بركة صغيرة من الماء، روت عطشها منها. بعدما ارتوت جلست أمام تلك البركة الصغيرة، وخلال انتظارها ظهر لها (ضارم) وقال:

هل أخذت كفايتك من النوم؟

(هنان): لماذا تركتني؟ ... ألم تقل بأنك لن تبارح مكانك؟

(ضارم) وهو يبتسم: عدم رؤيتك لي لا يعني أنني لست موجوداً.

(هنان): هل انتصف الليل؟

(ضارم) وهو يجلس بالقرب من (هنان):

ما زال الوقت مبكرًا على انتصافه، فالشمس لم تحط إلا منذ ساعات.

(هنان): هل تعتقد أن (عاشق نورة) سيغدر بنا؟

(ضارم): لا يستطيع بما أنه قطع عهد الولاء لك، وأخذ المقابل.

(هنان): ماذا تظنه سيفعل لإحضار (أديس) إلى هنا؟

(ضارم) وهو يبتسم: الأمر ليس بهذه الصعوبة لشيطان علوي مثله.

(هنان): كيف؟

(ضارم): (عاشق نورة) وإن كان منبوذاً من بعض أفراد قبيلته لعشقه تلك الإنسية، لكنه ما زال يحظى بسلطة وقوة بينهم، وأعتقد أنه يستطيع تدبير لقاء بينك وبين (أديس) لفترة وجيزة، خاصة إذا طمأنها بأنه لا أحد سيمسها، عندما تخرج من مخبئها.

(هنان): معنى ذلك أنه كذب عليّ عندما قال: إنه لا يعرف مكانها؟

(ضارم): لا، لكنه يستطيع إيصال الخبر لها بمسترقي السمع.

(هنان): من هم مسترقو السمع هؤلاء؟

(ضارم): نسل من الشياطين لهم خصائص وممارسات معينة.

(هنان): ما هي؟

(ضارم): سأخبرك لاحقاً.

(هنان): هل تتهرب من الإجابة؟

(ضارم): بعض العلم لا يمكن إدراكه بالقول فقط .

(هنان): لا أفهم كلامك يا (ضارم)

(ضارم): قد تفهمين يومًا ما.

(هنان): لم تخبرني، لـــمَ دم (أديس) مهدور بين الجن؟

(ضارم): بعد مقتل أخيها (حزك) على يد كاهن الملك واحتراق وجهها، هربت (أديس) وعادت إلى قومها بحثاً عن اللجوء والعون، لكنهم لم يحتووها لأنهم كانوا يرفضون فكرة تحرير (الشيطان الأسير) حاكمهم السابق، خاصة وأنهم قد اختاروا حاكمًا جديدًا لهم، ولم يكونوا مهتمين بتحريره كاهتمام أبنائه.

(هنان): لماذا؟

(ضارم): (الشيطان الأسير) كان حاكمًا ظالمًا ودمويًا، وتاريخه مليءٌ بالمذابح في صفوف الأنس، والجن وحتى في صفوف الشياطين، كان ملكًا مجنونًا والكثيرون لم يكونوا يحبون مايقوم به من بطش حتى بين صفوف شعبه، ولم يؤيده سوى أبنائه والقليل من أتباعه المقربين.

(هنان): لَم لم ينقلبوا عليه إذاً، وينتزعوا منه الحكم؟

(ضارم) وهو يبتسم: (الشيطان الأسير) يمكنه أن يبيد شعبه في سبيل بقائه ملكًا ومحاولة الانقلاب عليه مخاطرة، لم يتجرأ أحد على القيام بها حقنًا للدماء.



(هنان): كيف تم أسره إذاً؟

(ضارم): أسر (الشيطان الأسير) كان لا بد أن يتم بواسطة ساحر من الإنس فالطلاسم التي تستطيع تقويضه لا يمكن للشياطين نطقها، وتلك الطلاسم كانت مخبأة في مكان لا يعرفه إلا القليل من أتباعه المقربين، لذا عندما ظهرت تلك الطلاسم في يد أحد السحرة، كان الأمر مريبًا ويشير إلى خيانةٍ بين أتباعه للتخلص منه.

(هنان): وهل قام ذلك الساحر بربطه؟ (ضارم): نعم ... وقام بصنع مفتاح خلاصه في الوقت ذاته، وهذا لم يكن خيارًا له بل من شروط الربط، وكان ذلك المفتاح على شكل خاتم أبيض يحرر
(الشيطان الأسير) عندما يرمى على أغلاله.

(هنان): وما علاقة ذلك بهدر دم (أديس)؟

(ضارم): بعد ربط الشيطان الأسير بدأت (أديس) وأخوها (حزك) بالبحث عن وسيلة لتخليص أبيهما من ذلك الأسر، وبعد البحث المطول وجدا طلاسم الربط عند الكاهن الذي ربطه، وبقليل من التعذيب اعترف لهما بأنه ربط أباهما بتوجيهٍ من أحد أمراء الجن، وأخبرهما كذلك عن مكان الكهف الذي ربطه فيه.

(هنان): الجن؟...أ لم تقل أن الطلاسم كانت محفوظة عند أتباع (الشيطان الأسير) وهم من الشياطين وليسوا من الجن؟

(ضارم): الخونة من أتباعه لم يريدوا كشف أنفسهم بسهولة، ثم إن

التخلص من (الشيطان الأسير) كان مطلب الكثير من الجن والإنس والشياطين، فمن المحتمل أن الخونة اتفقوا مع أحدٍ من خارج مملكتهم لإيصال الطلاسم إلى الساحر.

(هنان): رأسي بدأ يدور من كثرة التفاصيل.

(ضارم) وهو يبتسم: لا تقاطعيني كثيرًا إذاً.

(هنان): حسنًا أكمل.

(ضارم): جن جنون (أديس) وأخيها (حزك) عندما علما بأن أسر أبيهما كان بسبب خيانة بين صفوف أتباعه، فقررا الذهاب إلى الحاكم الجديد الذي خلف أباهما ليخبراه بأمر الخاتم الذي يحرره، وأن ذلك تم بأمر من أحد أبناء أمراء الجن، والذي أوصل الطلاسم إلى الساحر كي يأسر أباهما، لكن ردة فعل الحاكم الجديد كانت مخيبة لأمالهما، حيث قال لهما: إن أمير الجن الذي يطلبان الانتقام منه كان ابناً لأكبر قبيلة للجن أنذاك... وقتله أو حتى توجيه التهمة إليه سيدخل القوم في مواجهة مع جميع عشائر الجن، وهم في غنى عن ذلك... غضبت (أديس) لكلام الحاكم الجديد، واتهمته بالخيانة وعدم الولاء لأبيها، لكنه لم يهتم لكلامها وطلب من أتباعه طردها مع أخيها من المملكة.

(هنان): ...

(ضارم): لم تنسَ (أديس) أباها، وذهبت وقتلت أمير الجن الذي أخبرها الساحر بأنه سلم له طلاسم ربط أبيها، فأصبح دمها مهدورًا بين قبائل الجن كلها، وأصبح قتلها شرفاً يتوق إليه أي جنّي

(هنان): وهل تتوق أنت أيضاً لنيل هذا الشرف؟

(ضارم): نعم لكن عهدي معك يقيدني .

(هنان): لَم يقيدك؟

(ضارم): قتلها سوف يعيقك عن مسعاك، وعهدي هو أن أساعدك في تحقيق ذلك المسعى، وهذا العهد عندي أولى وأهم.

(هنان): ماذا عن حكاية احتراق وجهها ... هل فعلًا كبير الكهنة هو من فعل ذلك؟

(ضارم): بعد هدر دمها بدأت (أديس) تختفي عن الأنظار، وتولي أخاها (حزك) مهمة البحث عن الخاتم الذي يحرر أباهما، حتى وجده عند أحد الكهنة والذي عرض عليه التخلص من حاكم مملكته مقابل الخاتم، لأنه كان مواليًا للوزير الطامع في الحكم.

(هنان): وبعدما تخلصا من الحاكم بإغوائه بجمال (أديس) غدر بهما الوزير وقتل (حزك) وأحرق وجهها بمساعدة الكاهن.

(ضارم): نعم ... من أخبركِ بذلك؟

(هنان): عمتي.

(ضارم): وهل أخبرتك عن القناع الذهبي؟

(هنان): لا لم تكمل القصة لي بعدها .

(ضارم): بعد احتراق وجهها وفقدانها لجمالها، فقدت شيئًا من عقلها معه.

(هنان): انتظر ... أ ليس الوجه الجميل الذي أظهرته للحاكم كان تشكلًا... فكيف تفقد جمالها؟... ألا تستطيع التشكل بشكل آخر؟

(ضارم): بعد احتراق وجهها بنار الكاهن لم تعد (أديس) قادرة على التشكل الكامل، كانت تستطيع التشكل في جميع أجزاء جسدها عدا وجهها، لذا فقدت القدرة على الظهور أمام البشر.

(هنان): هل تقصد أنني سأرى وجهها الحقيقي؟

(ضارم) وهو يبتسم: هذا مستحيل، ولو أظهرته لك ستموتين في الحال .

(هنان) بقلق: كيف سأتحدث معها إذاً؟

(ضارم): بعد إدراك (أديس) أنها فقدت القدرة على التشكل، والحديث مع البشر كان لا بد لها أن تجد حلًا لتلك المشكلة، خاصة وأن رحلة بحثها عن الخاتم الأبيض لم تنته بعد، وعدم قدرتها على التشكل ستكون عائقًا كبيرًا أمام هذا الهدف

(هنان): ماذا فعلت إذاً؟

(ضارم): أ لم تسمعي (عاشق نورة) وهو يقول: إنها توجهت إلى (أرض الذهب) في «الحجاز»؟

(هنان): نعم ... ماعلاقة ذلك برغبتها في التشكل؟

(ضارم): الطريقة الوحيدة كي تتحدث مع إنسي بوجهها غير المتشكل هي بأن تخفيه، ولايوجد غطاءٌ يتحمل بشاعة الشياطين دون أن ينصهر أو ينفلق غير الذهب.

(هنان): الذهب؟

(ضارم): نعم فهو المعدن الوحيد الذي لا يمكننا التأثير عليه أو العبث به.

(هنان): ولماذا اختارت «أرض الذهب» بالذات؟... الذهب موجودٌ في كل مكان.

(ضارم): الذهب في تلك الأرض مختلفٌ ومباركٌ لسبب ما.

(هنان): وماذا فعلت بالذهب عندما حصلت عليه؟

(ضارم): طرقته وصنعت منه قناعاً تلبسه عندما ترغب في التشكل لبشر.

(هنان): ...

(ضارم) وهو يضع يده على كتف (هنان):

هذه الشيطانة بأسها شديد، ولا أعرف كيف ستقنعينها بمساعدتك، وكيف ستأمنين شرها عندما تعرف أن مفتاح خلاص أبيها معك.

(هنان) وهي تخرج الخاتم الأبيض من جيبها: خذ .. أبق الخاتم معك.

(ضارم) باستغراب: لماذا؟

(هنان): لن أخاطر بفقدانه... وبقاؤه معك أضمن.

(ضارم): وماذا عن حياتك والمخاطرة بها؟

(هنان) وهي تبتسم وتحدق في الأفق:

حياة المرء مرهونة بخياراته، وأنا اخترت المضي قدمًا نحو هدفي مهما كانت نهايته.

(ضارم): لن أتركك وحدك معها.

(هنان) وهي تبتسم: لن تقابلني في وجودك ... ارحل يا (ضارم)

(ضارم) باستغراب: ماذا؟ ... أرحل؟!

(هنان): نعم يا (ضارم) ارحل ولا تعد إلا عند الفجر.

(ضارم): أنتِ تعرضين نفسك للهلاك.

(هنان): وجودك لن يسهل الأمر بل سيزيده سوءاً

(ضارم) وهو يقف: كما تشائين.

رحل (ضارم) وترك (هنان) خلفه تصفق لإشعال نار تدفئها من الرياح الباردة التي بدأت تهب في المكان.

بقيت (هنان) أمام النار، ولم تكن مدركة للوقت ولم تعرف متى سيحين منتصف الليل... حدقت بعينيها البيضاويتين حولها بحثاً عن أي أثر لقدوم (عاشق نورة) لكنها لم تر أي دليل على اقتراب حضوره... بدأت النار التي أمامها بالتناقص لأنها لم تضع حطبًا كافيًا لابقائها فترة طويلة، فقررت النهوض بحثًا عن حطبٍ تطعمه لتلك النار قبل أن تنطفئ... نهضت (هنان) وبمجرد وقوفها سمعت صوتًا يقول لها: ابقي مكانك.

لم يكن الصوت مألوفًا لـ (هنان) لذا أصيبت بالتوتر وقالت:

من هنا؟

(الصوت): ابقي جالسة أمام النار.

جلست (هنان) بحذرٍ وبخوفٍ أمام النار... وبمجرد جلوسها تعالت ألسنة اللهب وعادت النار تشتعل بقوةٍ... كما أشعلتها أول مرة.

(الصوت): ابنة (الشيطان الأسير) في طريقها اليك.

(هنان): ...

(الصوت): لن تقبل بعرضك مهما حاولت إقناعها.

(هنان): من أنت؟ ولمَ تهتم بالأمر؟

(الصوت): سيكون العاشق مصاحباً لها ... اطلبي منه الانصراف.

(هنان): وإذا حاولت (أديس) إيذائي أو قتلي؟

(الصوت): لن تمسك بوجودي.

(هنان): من أنت؟

(الصوت): ...

(هنان): ما هو المقابل الذي تريده مقابل تلك الحماية؟

(الصوت): دمها المهدور يجب أن يراق، وسوف تمكنينني من ذلك .

(هنان): هل أنت من الجن؟

(الصوت): نعم من الجن المعمر، ولقد أتيت هنا لأموت وسمعت حديثك مع ذلك الجني، لذا قررت أخذ تلك الساقطة معي قبل أن أرحل عن هذه الدنيا.

(هنان): كيف لم يرك؟ ... لقد أخبرني أننا لوحدنا هنا؟

(الصوت): لا تضيعي الوقت بهذه الأسئلة ... مكنيني منها.

(هنان): لكني أحتاج أن أعرف مكان أبيها.

(الصوت): لن أمسها قبل أن تحصلي على مرادك.

(هنان): لقد قلت للتو: إنها لن تقبل بعرضي، ولن تقتنع بكلامي.

(الصوت): هذا ما سأقدمه لكِ مقابل دمها ... السبيل لجعلها تفصح عن مكان أبيها.

(هنان): كيف؟

(الصوت): فقط اجعليها تخلع قناعها الذهبي.

(هنان): قناعها؟!

(الصوت): نعم فذلك القناع هو المفتاح الذي سيقودك نحو الكهف الذي أسر فيه (الشيطان الأسير).

(هنان): ولِمَ لا تقتلها وتعطيني القناع؟

(الصوت): القناع مرتبط بها، وسوف يتحطم لو ماتت وهي تلبسه.

(هنان): وماذا سيحدث لو خلعته ورأيت وجهها الحقيقي؟

(الصوت): لو كنت من البشر ستموتين في نفس اللحظة.

(هنان): وهل تظن أني شيطان؟

(الصوت): عيناك أصبحت أعين شيطان ولن تموتي بسبب النظر إليها.

(هنان): ...

(الصوت): منتصف الليل اقترب ... تذكري أن تصرفي الشيطان العاشق، وأن تجعليها تخلع قناعها.

(هنان): ولكن كيف أجعلها تخلع قناعها؟

لم يرد (الصوت) على (هنان) ...

بعد أقل من ساعة ظهر (عاشق نورة) أمام (هنان) بهيئته البشرية وقال:

(أديس) في طريقها إليك ... أين الجني؟

(هنان): صرفته.

(عاشق نورة): قرار حكيم فهي لن تقبل بوجوده قريبًا منها.

(هنان): وأنت كذلك يجب أن تنصرف.

(عاشق نورة) باستغرابٍ: وجودي معكما مهم لسلامتك.

(هنان): لا تقلق انصرف ولا تعد إلا عند الفجر.

(عاشق نورة) وهو ينظر حوله ويتفحص الواحة بنظره:

ما الأمر؟ ... ما الذي يحدث؟

(هنان) وهي تقلب النار التي أمامها بعصا:

لا شيء أريد التحدث معها لوحدي فقط .

(عاشق نورة): هل تعرفين مع من ستتحدثين؟

(هنان) وهي ترمي العصا في النار، وترفع رأسها وتحدق بـ (عاشق نورة):

شيطانة تريد الخلاص لأبيها، وسوف أقدم لها مفتاح خلاصه بمقابل.

(عاشق نورة): في غيابي لن تتردد (أديس) بقتلك وأخذ الخاتم الأبيض منك بالقوة.

(هنان): هذا شأني .

(عاشق نورة) بصوت مرتفع قليلًا: لا ليس شأنك، فموتك لن يحررني من قيدي.

(هنان): في حال موتي أحررك من قيدك.

(عاشق نورة) وهو ينظر إلى (هنان) باستغراب ..

(هنان) وهي تنظر إلى (عاشق نورة) بعينيها البيضاويتين بصرامة:

تحرك الآن ... ولا تضيع الوقت.

(عاشق نورة) وهو يبتسم: كما تشائين.

اختفى (عاشق نورة) وبعد اختفائه بأقل من ساعة لمحت (هنان) جسمًا ماشيًا باتجاهها من الأفق، ومع اقترابه منها رأت أنها سيدة بلباس أبيض تلبس قناعاً من الذهب الخالص فعلمت أنها (أديس) ..

لم تتحرك (هنان) وبقيت جالسة أمام النار تراقب (أديس) بعينيها



البيضاويتين حتى وصلت وجلست أمامها، وبدأ قناعها يلمع مع ألسنة اللهب ... أغمضت (هنان) عينيها، وصمتت في انتظار حديث (أديس):

(أديس): أين (ملا ز)؟

(هنان) باستغراب: ...

(أدريس): أنتم تعايرونه باسم (عاشق نورة).

(هنان): لقد صرفته.

(أديس): ومن أنتِ كي تصرفي سيداً من سادة الشياطين؟

(هنان) بثقة: ومن أنتِ لتسألي؟

(أديس): أنا من يملك حاجتك.

(هنان): وأنا من يملك مفتاح خلاص (الشيطان الأسير).

صرخت (أديس) من خلف قناعها الذهبي، والذي لم يظهر ملامح غضبها:

أبي ليس بالأسير!

(هنان) دون أن تهتز من صراخ (أديس):

ستضيعين وقتي أم سنتحدث عن المقايضة؟

(أديس): لماذا تتحدثين معي وأنتِ مغمضة العينين؟

(هنان): كي أنصت لكِ جيدًا.

(أديس) بهدوء: أخبرني (ملا ز) أنك ترغبين في معرفة مكان أبي .. لماذا؟

(هنان): لا شأن لك.

(أديس): شأن أبي هو شأني.

(هنان): سأجنده لخدمتي .

ضحكت (أديس) بقوة.

(هنان): لا تضيعي وقتي يا شيطانة وأفصحي عن مكانه.

(أديس): هل الخاتم الأبيض معك؟

(هنان): لِمَ تسألين؟

(أديس): لأني لا أرغب في تضييع وقتي لذا سوف أقتلك وأحصل عليه وأرحل

(هنان): هل تظنين أن باستطاعتك ذلك؟

(أديس) وهي تمد يدها في النار أمامها، وتقبض على جمرة مشتعلة وتقربها من قناعها: وما الذي سيمنعني يا إنسية؟

(هنان) وهي تبتسم وهي مغمضة العينين: لا شيء على ما أعتقد.

(أديس): لا شيء بالفعل.

(هنان): هل يمكن أن أختار طريقة موتي؟

(أديس): لا بأس يا ساحرة ... كيف تريدين الخروج من هذه الدنيا؟

(هنان): بأن أرَى وجهك.

(أديس) وهي تبعد الجمرة عن قناعها وتضعها جانبًا: وجهي؟

(هنان) وهي مبتسمة: نعم لقد سمعت عن جمالك وأرغب في رؤيته.

(أديس) وهي تصرخ بقوة: هل تهزئين بي يا ساقطة؟!

(هنان) وهي مبتسمة: هل أصبحت قبيحة إلى هذا الحد؟

(أديس) وهي تصرخ من وراء القناع: لك ذلك.

وقفت أديس أمام (هنان) ووضعت يدها أسفل قناعها وبدأت بخلعه وهي تقول:

افتحي عينيك وأمعني النظر بوجهي الفاتن.

فتحت (هنان) عينيها، ورفعت نظرها لوجه (أديس) الذي بدأ بالظهور.

سقط القناع على الأرض وبدأت (هنان) تشعر بالألم في رأسها عندما رأت وجه (أديس) البشع... اشتعل رأسها شيبًا من المنظر، وقبل أن تحيد بنظرها هجم شيءٌ على (أديس) وطرحها أرضًا وبدأت بالصراخ بقوةٍ وبصوتٍ مرعبٍ... لم تستطع (هنان) رؤية صراع (أديس) مع الشيء الذي انقض عليها، لأنها أصيبت بتعبٍ مفاجئ منعها من الوقوف وتدريجياً قادها إلى فقدان الوعي.

استيقظت (هنان) بعد فترة غير معلومة لها، لكن الوقت حينها كان ما زال ليلًا كانت النار قد خمدت وجسد (هنان) يؤلمها... أمعنت

النظر حولها فلم تر سوى القناع مُلقىً على الأرض بجانب رماد النار المنطفئ ... نهضت بصعوبةٍ وأمسكت بالقناع وبدأت تتفحصه، وخلال تفحصها له سمعت الصوت الذي تحدث معها سابقًا يقول: لبسك للقناع سيقودك إلى مكان (الشيطان الأسير).

(هنان) وهي ترفع رأسها وتتحدث نحو مصدر الصوت: كيف؟

(الصوت): ستعرفين عندما تلبسين القناع.

(هنان): ماذا حل بـ (أديس)؟

(الصوت): لحقت بأخيها.

(هنان): ...

(الصوت): وأنا سوف ألحق بهما عما قريب.

(هنان): لماذا كذبت علي؟ .. لقد تضررت من رؤيتي لوجهها.

(الصوت): أخبرتك بأنكِ لن تموتي وأنت ما زلت تتنفسين.

(هنان) وهي تمرر أصابعها في شعرها:

شعري أصبح أبيضَ بالكامل .

(الصوت): ثمن زهيد لما حصلت عليه.

(هنان): ...

(الصوت): الفجر اقترب وشيطانك سيعود لا تخبريه عمّا حدث أبدًا.

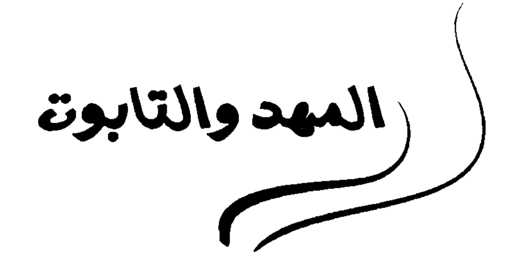
(هنان): لماذا؟

(الصوت): فقط لا تخبريه.

(هنان) بصوتٍ مرتفعٍ قليلًا ويخالطه القلق: لماذا؟! أخبرني!

لم يرد الصوت على (هنان) وبعد دقائق بدأ الأفق ينير معلنًا ولادة اليوم الجديد.

***



# المهد والتابوت

بمجرد أن أطلت الشمس من الأفق وجدت (هنان) (ضارماً) و(عاشق نورة) أمامها:

(عاشق نورة): أرَى أن قناع (أديس) في يدك؟ ... ما الذي حدث؟

(ضارم): ما الذي حدث لشعرك؟

(هنان) وهي تنهض ممسكة بالقناع الذهبي:

لا وقت لدينا للحديث عمّا دار بيني وبين (أديس) هدفنا الآن هو الذهاب إلى (الشيطان الأسير) وتجنيده.

(عاشق نورة): هل أخبرتك (أديس) بمكانه؟

(هنان) وهي تلبس القناع: سنرى الآن.

لبست (هنان) القناع فتغير المكان من حولها، وبدأت ترى أشجاراً مختلفة عن تلك التي كانت تحيط بها في الواحة، ورأت كذلك بعض الجبال وكهفاً كبيرًا من خلال القناع، مع أنها كانت ما تزال تسمع صوت (ضارم) و(عاشق نورة) حولها.

(عاشق نورة): ماذا ترين؟





(هنان) وهي تضغط القناع على وجهها بكلتا يديها:

أستطيع رؤية الكهف لكنني لا أعرف أين يقع؟

(ضارم): صفي لنا المكان.

(هنان): مجرد جبل ضخم بفوهة كبيرة وبعض الأشجار المنتشرة ... المنطقة خضراء .

(عاشق نورة): ألا يوجد شيء آخر يمكنك الاستدلال به؟

(هنان) وهي تلتفت يمينًا وشمالًا: لا أعرف ... لا أرَى شيئًا بارزًا.

(ضارم): حاولي التحرك قليلًا.

تقدمت (هنان) بضع خطوات إلى الأمام وقالت: لقد تحركت قليلًا باتجاه الكهف.

(عاشق نورة) وهو يمسك بـ (هنان): تمسكي جيدًا ولا تسقطي القناع.

(هنان): ماذا ستفعل؟

(عاشق نورة): سنعرف مكان الكهف.

حلق (عاشق نورة) للسماء بسرعةٍ وهو يحمل (هنان) التي صرخت عندما ارتفعت عن الأرض وقالت:

ما الذي تفعله؟

(عاشق نورة) وهو ممسك بـ (هنان) من خاصرتها:

فقط انظري حولك وأبحثي عن شيء يمكن أن يشير إلى مكان الكهف أو الجبل

(هنان) وهي ممسكة بالقناع وتنظر يمينًا وشمالًا ...

(عاشق نورة): ماذا ترين؟

(هنان): أرَى سلسلة من الجبال الصغيرة والكبيرة ... الأرض خضراء وبها أشجارٌ كثيرةٌ .. السماء تمطر قليلًا .. هذا فقط ما أراه.

(عاشق نورة): ماذا ترين في الأفق البعيد؟

(هنان) وهي ترفع رأسها: أرى جبلين كبيرين جدًا ... القمة فيهما بيضاء.

(عاشق نورة): ألا ترين شيئًا آخر؟

(هنان) وهي تبحث بنظرها: بلى أرَى شيئاً غريباً ..

(عاشق نورة): ما هو؟

(هنان): ارتفاع بسيط كالهضبة، لكن شكلها غريب.

(عاشق نورة): صفي شكلها

(هنان): لا أعرف ... كأنها خف بعير لكنها ممدودة.

(عاشق نورة): الفلك المقدس ... لقد عرفت المكان.

نزل (عاشق نورة) إلى الأرض وبمجرد نزوله رفعت (هنان) القناع من على وجهها وقالت:

هل عرفت المكان؟

(ضارم): هل استطعتما تحديد مكان الكهف؟

(عاشق نورة): نعم ... شمالًا عند الجبل الغاضب بالقرب من أثار الفلك المقدس

(هنان): وأين يقع ذلك الجبل؟

(ضارم): في بلاد ما بين النهرين مهد الحضارة.

(عاشق نورة) بسخرية:

لا يهم أن تكون مهدًا للحضارة المهم ألاّ تكون تابوتها.

(ضارم) بغضب: ماذا تقصد؟!

(هنان) باستغرابٍ: ما بك يا (ضارم)؟

(عاشق نورة) بسخريةٍ: اتركيه... فبنو جنسه يقدسون تلك الأرض.

(ضارم) بغضب: وبنو جنسك نجّسوها.

(هنان) بصوت مرتفع:

كفى ... خذاني إلى هناك ... ولا تضيّعا الوقت بجدالكما الأحمق!

(عاشق نورة) وهو يبتسم ويحدق بـ (ضارم):

ومن سيحظى بشرف أخذك إلى مهد الحضارة؟

(ضارم) وهو يحدق بـ (عاشق نورة) بغضب: أنا من سيأخذها وأنت الحق بنا.

(هنان): لا ... سوف أذهب مع (عاشق) وأنت الحق بنا يا (ضارم) .

(عاشق نورة) وهو يمد يده لـ (هنان): لنذهب إذاً.

(هنان) وهي تمسك يد (عاشق نورة):

الحق بنا يا (ضارم) ولا تتأخر.

(ضارم) بوجهٍ متجهمٍ: سأكون هناك قبلكما

بعد وقت قصير من الا نطلاق السريع حط (عاشق نورة) على قمة أحد الجبال وقال:

هل هذا هو نفس المكان الذي رأيته من خلال القناع؟

(هنان) وهي مبهورة بالمنظر: نعم.

(ضارم) وهو يظهر بجانبهما على قمة الجبل: أين الكهف تحديدًا؟

(هنان) وهي تشير بسبابتها: هناك.

(عاشق نورة): اصعدي على ظهري كي نقترب أكثر.

انطلق (عاشق نورة) نحو المكان الذي أشارت إليه (هنان) وعندما وصل رأيا مدخل الكهف الذي حبس فيه (الشيطان الأسير).

(ضارم) وهو يتشكل بهيئة بشرية ويظهر بجانبهما: ما العمل الآن؟

(هنان) وهي تنزل من على ظهر (عاشق نورة):

لا أعرف ... هل أدخل؟

(عاشق نورة) وهو يتشكل بهيئة بشرية: لا أنصح بذلك.

(هنان): لماذا؟

(ضارم): (الشيطان الأسير) شيطان يبطش بكل من يدخل إلى ذلك الكهف .

(هنان): ما العمل إذاً؟ ... كيف أتواصل معه؟

(عاشق نورة): لا أحد يسمح له بدخول الكهف سوى أبنائه.

(هنان): ما الذي تلمح إليه؟

(ضارم): يريدك أن تخاطري بالدخول عليه وأنت تلبسين قناع ابنته

على أمل ألاّ يلاحظ أنك منتحلة لشخصيتها.

(عاشق نورة): وهل لديك اقتراحٌ أفضل أيها الجني؟

(ضارم): ...

(هنان): وإذا كشف أمري؟

(عاشق نورة) وهو يبتسم: سيمزقك دون تردد وسوف أتحرر.

(ضارم) بغضب: هل هذه هي حيلتك كي تتحرر من عهدك يا شيطان؟!

(هنان) موجهة كلامها لـ (عاشق نورة):

ألا يوجد طريقة أخرى؟

(عاشق نورة): لا تسأليني فـ (الشيطان الأسير) شيطان معمر ولا أعرف عنه الكثير.

(ضارم): ابحثي عن طريقة أخرى فالأمر ل ايستحق المخاطرة.

(هنان): ...

(عاشق نورة) وهو يجلس على الأرض وينظر لـ (هنان) ...

(ضارم) وهو ينظر لـ (هنان) ...

(هنان) موجهة كلامها لـ (ضارم): أنت محرر لو لقيت حتفي في ذلك الكهف.

(ضارم): ماذا؟ .. عن ماذا تتحدثين؟

(هنان): لن تكون مربوطَاً بي إذا قتلني (الشيطان الأسير)

(ضارم) بغضب:

هل تعتقدين أن هذا هو سبب عدم موافقتي على دخولك عليه؟!

(هنان): أيًا كان السبب ليس أمامي خيارٌ آخر ..

(عاشق نورة) وهو يبتسم: وماذا عني؟

(هنان) وهي تحدق بالكهف: أنت كذلك ستتحرر إذا لقيت حتفي.

(عاشق نورة) يبتسم ..

(ضارم) بغضب: لماذا تبتسم أيها الأحمق؟!

(عاشق نورة) وهو يبتسم:

هذه الفتاة تملك شجاعة أكثر منك، ومن بني جنسك

(ضارم) وقد بدأ بالزمجرة وعيناه تتحولان إلى البياض: ماذا تقصد؟!

(هنان): كفى! ... كم مرة يجب أن أخبركما بأن تترفعا عن خلافاتكما الغبية؟!

(عاشق نورة) مبتسماً بسخرية: ليس لدي مشكلة مع أبناء الميمون.

(ضارم) بغضب: وأنا ليس لدي مشكلة مع أبناء الخناس.

(عاشق نورة) ينظر بغضب لـ (ضارم) ..

(هنان): انتهينا إذاً! ... لنركز على أمر (الشيطان الأسير).

(ضارم) وهو يجلس على الأرض وينظر لـ (هنان) ...

(عاشق نورة) وهو ينظر لـ (هنان) ...

(هنان): ما بكما؟

(عاشق نورة): لِمَ الحرص على تجنيد هذا الشيطان الخطر؟

(هنان): ماذا تقصد؟

(ضارم): أتفق مع الشيطان ... لست بحاجة للمخاطرة بتجنيده

(هنان) تحدق بفوهة الكهف.

(عاشق نورة): قلت: إن غريمك هن مجموعة من الساحرات... أليس كذلك؟

(هنان) وهي تحدق بالكهف: نعم

(عاشق نورة): ومن معهن؟

(ضارم): مجموعة من الساحرات فقط.

(عاشق نورة): ماذا؟ .. كل هذه المخاطرة لقتل مجموعة من الساحرات فقط؟

(هنان): ليست أي مجموعة ... عصبة ... عصبة قوية!

(ضارم): أنتِ تبالغين بقوتهن وتقللين من قدرتنا بهذا الكلام.

(عاشق نورة): الأمر لا يستلزم تجنيد (الشيطان الأسير) أنا وحدي يمكنني تخليصك منهن ... والآن!

(هنان) وهي تنظر لـ (عاشق نورة) و(ضارم):

لن أواجههنّ دون أن أكون متأكدةً من قوتي

(عاشق نورة) باستهزاء:

هم في النهاية مجرد ساحراتِ، وأنا والجني نستطيع القضاء عليهن.

(ضارم): بالرغم من أنه مجنون لكن كلامه معقول ... دعينا نحاول قبل أن تخاطري.

(عاشق نورة) وهو يبتسم: سأترك العقل لك يا شيخ الجن.

(هنان): تحاولان ماذا؟

(عاشق نورة): التخلص من هؤلاء الساحرات.

(هنان): وإذا فشلتما؟

(ضارم): وقتها يمكنك تجنيد (الشيطان الأسير)

(هنان): وقتها سأبدأ من جديد وسيكون الأمر مضيعة للوقت.

(عاشق نورة): لن نفشل.

(هنان) بغضب: وأنا لن أخاطر

(عاشق نورة): هل تستحق هؤلاء الساحرات كل هذا الاستعداد؟

(هنان): لا أعرف، لكني لن أذهب لهن غير مستعدة.

(ضارم): لو جندت (الشيطان الأسير) ستكونين مستعدة لغزو (فارس) بأكملها!

(عاشق نورة) وهو يبتسم: لن نحتاج لتجنيد أحد بعده.

(هنان): العصبة يجب أن تتكون من ستة محاربين.

(عاشق نورة): وهل نحن عصبة؟ ... العصب للسحرة.

(ضارم) وهو يبتسم موجهًا كلامه لـ (عاشق نورة):

هدفها تكوين عصبة للشياطين.

(عاشق نورة) بتعجب: نحن لسنا سوى ثلاثة، وأنت لست بشيطان... ولا هي.

(هنان) وهي تتوجه نحو الكهف: نحن أربعة، وأنا ذاهبة الآن لتجنيد الخامس.

(عاشق نورة) باستغراب: أربعة؟

(ضارم): أعتقد أن زميلنا الآخر من الجن الأزرق، ألم تلاحظ الوسم على خدها؟

(عاشق نورة) وهو يبتسم:

بلى ... يبدو أنها بالفعل تنوي غزو بلاد «فارس» بأكملها.

(هنان) وهي تقف أمام فوهة الكهف مباشرة، وبيدها القناع الذهبي:

هل من نصيحة قبل أن أدخل؟

(ضارم): لا تسأليني اسألي الشيطان، فهو أعلم ببني جنسه.

(عاشق نورة): فقط كوني حذرة ولا تفكي قيوده قبل قطعه للعهد.

(هنان) بارتباك وهي تلتفت إلى (ضارم):

كدت أنسى ... ناولني الخاتم الأبيض.

(ضارم) وهو يرمي الخاتم الأبيض اتجاه (هنان).

(عاشق نورة) باستغراب: هل كان الخاتم الأبيض معك طيلة الوقت؟

(هنان) وهي تلتقط الخاتم: فقط عندما قابلت (أديس).

(عاشق نورة): ولماذا فعلت ذلك؟

(هنان) وهي تلبس القناع وتتوجه نحو الكهف: أتمنى أن أراكما بعد قليل ..

(ضارم): يبدو أننا سنتحرر اليوم أيها الشيطان.

(عاشق نورة) مبتسماً: سأفتقد تلك الساحرة المجنونة.

(هنان) تدخل الكهف.

كان الظلام في الكهف حالكاً، لكنْ عينا (هنان) مكنتها من رؤية طريقها بوضوحٍ سارت مسافة قصيرةً، ثم بدأت ترى بعض العظام والهياكل أسفلَ منها، فتذكرت الجيوش التي دخلت على (الشيطان الأسير) من القصة التي روتها (دعجاء) لها في السابق... توقفت (هنان) عندما رأت عظام الجنود، وبدأت تتفحص المكان حولها بنظرها، وخلال تفحصها سمعت زمجرةً مخيفة صاحبها صوت يشبه استنشاق للهواء، تبعها صوت مخيفٌ يصاحبه صدى:

(أديس) ...؟

(هنان) والخوف بدأ يتسلل إليها ...

(الشيطان الأسير): (أديس) ... هل وجدت مفتاح خلاصي؟

(هنان) بتوتر: نعم.

(الشيطان الأسير): من أنتِ؟

(هنان) والخوف بدأ يتسلل اليها: ...

(الشيطان الأسير): ... أين (أديس)؟

(هنان): ...

(الشيطان الأسير): أنا أتحدث مع قاتلها أليس كذلك؟

(هنان) وهي تخلع القناع: نعم.

(الشيطان الأسير): قدم عرضك مقابل حريتي.

(هنان): باستغراب: عرضي؟

(الشيطان الأسير): لقد حان موعد خروجي، ولن أضيع الفرصة بالسخط عليك

(هنان): وكيف تعرف أني أستطيع تحريرك؟

(الشيطان الأسير): الخاتم الأبيض معك أستطيع أن اشعر به ... حررني وأطلب المقابل!

(هنان): أريد المقابل أولًا .

(الشيطان الأسير): لا أستطيع تقديم شيء لك، وأنا مربوطٌ.

(هنان): تستطيع قطع عهد ولاء لي.

(الشيطان الأسير): الملوك لا يخضعون، ولا ينحنون.

(هنان): هذا هو شرطي.

(الشيطان الأسير): هل تظن أني لا أستطيع البطش بك الآن؟

(هنان): ألست مقيداً؟

(الشيطان الأسير) وهو يظهر أمام (هنان) بجسد حجري ضخم جداً، ويقف أمامها:

أنا مقيد بالكهف فقط.

أدركت (هنان) وقتها أنها ستهلك، وأن مخاطرتها فشلت، وأن (الشيطان الأسير) ليس شيطاناً يمكن تجنيده والحصول على ولائه، فقررت القيام بمراهنة أخيرة.

(هنان) وهي تخرج الخاتم الأبيض من جيبها وترميه على قيود

(الشيطان الأسير):

لم أحصل على ولائك، لكني أطمع بسخائك أيها الملك.

تحرر (الشيطان الأسير) بمجرد أن لمس الخاتم الأبيض من قيوده وأعلن عن تحرره بصرخة سمع دويها خارج الكهف.

(ضارم) من خارج الكهف: يبدو أنها حررته.

(عاشق نورة) وهو يراقب فوهة الكهف بقلق: من المستحيل أنه عاهدها على الولاء.

(ضارم) باستغراب: لماذا؟

(عاشق نورة): (الشيطان الأسير) ملك والملوك لا تنحني لأحد، مهما كان الثمن

(ضارم) بغضب: ولماذا لم تخبرها بذلك قبل أن تدخل الكهف؟!

(عاشق نورة) وهو يحدق بالكهف:

أردت أن أرَى إلى أي مدى يمكن لتلك الفتاة أن تذهب سعيًا وراء ثأرها.

(ضارم) بغضب: هل تظن أن الأمر لعبة؟!

(عاشق نورة): ولِمَ أنت مهتم؟ ... سوف تتحرر من قيدك أنت أيضًا.

(ضارم) وهو يقف بغضب: لأن ثأرها ثأري أيضًا!

(عاشق نورة) باستغراب: ماذا تقصد بأنه ثأرك؟!

(ضارم) بغضب وبصوت مرتفع وزمجرة:

لو أصابها مكروه، لن تخرج من هذا المكان حيًا أيها الشيطان!

(عاشق نورة) وهو يشير بأصبعه نحو فوهة الكهف مبتسماً: انظر.

التفت (ضارم) نحو الكهف، ليرى (هنان) تخرج منه .

ابتسم (ضارم) واندفع نحوها وعانقها وقال: هل نجحتِ في مسعاك؟

(هنان) وعلى وجهها أثر صدمة: نوعاً ما.

(عاشق نورة) وهو يقف مبتسماً: لم أتوقع أن أرَى وجهك مرة أخرى.

(هنان) وهي تبتسم: لن تتخلص مني بسهولة يا (عاشق).

(ضارم): هل بقي شيءٌ لنا هنا؟

(هنان): لا ... لنرحل.

(عاشق نورة) مبتسماً: إلى أين هذه المرة؟

(هنان) وهي تبتسم وتخرج الخاتم ذو الفص الأخضر من جيبها وتحدق به:

إلى أرض الفراعنة للبحث عن (شيطان الهرم).

***





# الجعران

قررت (هنان) التوجه إلى «مصر» لاقتفاء أثر (شيطان الهرم) الذي سمعت قصته من عمتها (دعجاء)، لكن رغبتها ... قوبلت ببعض التردد من ... (ضارم) و(عاشق نورة)

(ضارم): هل سافرت إلى هذه الأرض من قبل؟

(هنان): لا

(عاشق نورة): هل تجيدين التحدث بلسان شعبها؟

(هنان): لا

(ضارم) بتعجب: إذاً، كيف سنبحث عن هذا الشيطان في أرض نجهلها جميعًا ونجهل التحدث بلسان أهلها؟!

(هنان): ...

(عاشق نورة): سمعت أن تلك الأرض خطرة على الشياطين، فكهنتها عتاة وأسرهم وتسخيرهم للشياطين لخدمتهم أمر مألوف ومعتاد.

(هنان): هل أنتما خائفان؟

(ضارم): نحن متعقلان ولن نرفض أخذك إلى هناك، لكن يجب أن نحذرك أن الأمر ليس بالسهولة التي تظنين.

(هنان): لقد قلتما نفس الكلام عن (الشيطان الأسير).

(ضارم): الأمر يزداد سوءاً كل مرة.

(هنان): لن أتنازل عن محاولة تجنيد (شيطان الهرم) في عصبتي.

(عاشق نورة): الجني يقول: إن عصبتنا فيها عضوٌ رابعٌ؟

(هنان): نعم ما به؟

(عاشق نورة): هل فعلًا هو من الجن؟

(هنان): نعم، من الجن الأزرق.

(عاشق نورة): الجن الأزرق لم يبق منهم إلا القليل بعدما أبيدوا.

(هنان): صحيح وهذا الجني أمير من أمرائهم.

(ضارم): هل تثقين به؟

(هنان): بالطبع أكثر من ثقتي بنفسي.

(عاشق نورة): ...

(ضارم): ...

(هنان): ما بكما؟

(ضارم): أليس ثأرك مع ساحرات من الفرس؟

(هنان): نعم

(عاشق نورة): الجن الأزرق مملكتهم في جبال البرز في «فارس»

(هنان): نعم وماعلاقة ذلك بثقتي به؟

(ضارم): هل قطع لكِ عهد الولاء؟

(هنان): لمَ كل هذه الأسئلة؟ ... لنركز على أمر (شيطان الهرم) الآن.

(عاشق نورة): ...

(ضارم): ...

(هنان): أخبراني ما المشكلة لو ذهبنا إلى أرض الفراعنة؟

(عاشق نورة): ولمَ نذهب من الأساس؟

(هنان): ماذا تقصد؟

(ضارم): (شيطان الهرم) شيطانٌ معلق

(هنان): وماذا يعني ذلك؟

(عاشق نورة): هذا يعني أنه ليس مرتبطاً بارضه، ويمكن استحضاره إلى أي مكان.

(هنان): كيف؟

(ضارم): هل تعرفين كيف تعلق؟

(هنان): نعم أعرف قصته مع (نوارة).

(عاشق نورة): وهل تعرفين الساحر الذي حضره وقتلته (نوارة)؟

(هنان): كل ما أعرفه، أنه كان كبير سحرة الفرعون ذلك الوقت.

(عاشق نورة): نعم وكان يلقب بـ (الجعران)

(هنان): تقصد خنفساء الصحراء التي تجمع الروث؟

(ضارم): نعم هي بعينها.

(هنان): ولماذا سمي بهذا الاسم؟

(عاشق نورة): الجعران كائن مقدس عند الفراعنة، ويستخدم في الكثير من طقوسهم وطلاسمهم، والبعض يستخدمه أيضًا كتمائم

(هنان): وما علاقة ذلك في تحضير (شيطان الهرم)؟

(ضارم): تحضير (شيطان الهرم) مرتبط بالجعران.

(هنان): كيف؟

(عاشق نورة): لَم لا تنسي أمره؟

(هنان): مستحيلٌ!

(ضارم): لَم الحرص على هذا الشيطان بالذات؟

(هنان): عصبتي يجب أن تكون من شياطين خواتم أخواتي

(عاشق نورة): عن ماذا تتحدثين؟

(هنان): يجب أن تجدا لي طريقة لتجنيد (شيطان الهرم)

(ضارم): ...

(عاشق نورة): هل جربتِ لبس الخاتم؟

(هنان): (خود) لبسته ولم يحدث شيءٌ.

(ضارم) بوجهٍ حزينٍ: ... (خود) .

(هنان): نعم... ولم يظهر لها... ولم تحس بفارق.

(ضارم) بوجهٍ حزينٍ: ...

(هنان): هل لديكما حلٌ آخر؟

(عاشق نورة): ...

(ضارم): لم تخبرينا ماذا حدث معك ومع (الشيطان الأسير)

(عاشق نورة): صحيح ... أجندته، أم لا؟

(هنان) بتجهم: هل تحاولان تغيير الموضوع؟ ... طريقتكما غبية بالمناسبة.

(ضارم) وهو يبتسم:

سنعود إلى موضوع (شيطان الهرم)، لكن بعدما تخبريننا بما حدث مع (الشيطان الأسير)

(هنان): لم يحدث شيءٌ ... رفض أن يعاهدني على الولاء، لكنه أعطاني شيئًا مقابل تحريري له.

(عاشق نورة): ما الذي أعطاك؟

(هنان): حق استدعائه لمرةٍ واحدةٍ فقط

(ضارم): فقط؟

(عاشق نورة): هذا ليس بالأمر الهين (الشيطان الأسير) ملك عظيم ولم يسخره أحدٌ من قبل حتى لمرةٍ واحدةٍ.

(هنان): أخبرني أنني إذا احتجته أن أقوم بالمسح على الخاتم الأبيض وسوف يظهر ليحقق لي طلبًا واحداً فقط .

(ضارم): ألم ترمي الخاتم على قيوده؟

(هنان) وهي تخرج الخاتم الأبيض من جيبها: لقد أعاده لي.

(ضارم): ...

(عاشق نورة): ...

(هنان): ما بكما؟

(ضارم): انسي إذاً فكرة تجنيد (شيطان الهرم).

(عاشق نورة): نعم فأنت لا تحتاجين له الآن.

(هنان): لدي إحساسٌ بأنكما تخفيان شيئًا عني ... ما هو؟

(ضارم): ...

(عاشق نورة): (شيطان الهرم) شيطان استحواذي.

(هنان): ماذا تقصد باستحواذي؟

(ضارم): معنى ذلك بأنه سيستحوذ عليك إذا استدعيته.

(هنان): لا أهتم إذا كان سيكون تحت أمري.

(عاشق نورة): الأمر لا يستحق التضحية بنفسك.

(هنان) بصوت مرتفع: بل يستحق!

(ضارم): ...

(عاشق نورة): هل أنتِ واثقة من رغبتك؟

(هنان) بثقة: نعم .

(عاشق نورة): البسي الخاتم إذاً.

(هنان): لن يحدث شيءٌ.

(عاشق نورة): البسيه فقط .

لبست (هنان) الخاتم وقالت: ماذا الآن؟

(عاشق نورة): أمهليني ثوانياً.

اختفى (عاشق نورة) وعاد بسرعة، وفي يده أرنبٌ بري وقال:

خذي هذا.

(هنان) وهي تمسك الأرنب: لماذا؟

(عاشق نورة): اقتليه.

(هنان) باستغرابٍ: لماذا؟

(عاشق نورة): ... قربان.

(هنان): قربانٌ لمن؟

(عاشق نورة): لـ (شيطان الهرم) هذه أول خطوة لتحضيره.

رمت (هنان) الأرنب على الأرض ليجري مبتعدًا عنهم بسرعة.

(عاشق نورة) وهو ينظر إليها باستغراب: لماذا فعلت ذلك؟!

(هنان): لا أستطيع قتله.

(عاشق نورة): لماذا؟

(هنان): لا أستطيع فقط .

(عاشق نورة): هل تشفقين على هذا الكائن؟

(هنان) بتوتر: ابحث لي عن طريقة أخرى.

(عاشق نورة) وهو يضحك: هل أنتِ جادة؟

(ضارم): اتركها وشأنها يا شيطان.

(عاشق نورة) وهو يضحك: أي نوع من الساحرات أنتِ؟

تريدين قتل مجموعة من الساحرات، وأنت عاجزة عن قتل كائن تافه كهذا.

(هنان) تنزل وجهها للأرض وعلى وجهها بدا الضيق من كلام (عاشق نورة).

(ضارم) بصوتٍ مرتفعٍ: كفى!

(عاشق نورة) وقد بدأ يتجهم: أنتِ لست مؤهلة للثأر لأحد ... حررينا وعودي إلى بلادك يا فتاة ... أنتِ ضعيفة، وضعفك هذا سيقودنا إلى الهلاك!

(هنان) بغضب وعيناها تدمعان: أنا لست ضعيفة!

(ضارم) لـ (عاشق نورة) بغضب: لقد قتلت ساحرًا أمامي، لذا لا تتهمها بالضعف!

(عاشق نورة): القوة ليست في فعل ما نستطيع، القوة هي بفعل ما لم

نفكر يومًا بفعله ... إذا لم تعطلي قلبك في سعيك للثأر، فلا تهدري وقتك ووقتنا.

(هنان): ...

(ضارم): لا عليكِ منه فهو مجرد مجنونٍ.

(هنان): لا ... معه حق ... قلبي هو سبب كل معاناة مررت بها في حياتي، وحان الوقت كي أدفنه.

(عاشق نورة) يختفي ويظهر بسرعة وفي يده أرنبٌ آخر:

الباحث عن الثأر لا يجب أن يملك قلبًا.

(عاشق نورة) يمد الأرنب لـ (هنان).

(هنان) تمسك الأرنب من أذنيه، وتفصل رأسه عن جسده بيديها.

(ضارم) يرقب (هنان) ...

(هنان) بكل ثقة ودماء الأرنب تغطي يديها: ما الخطوة التالية يا (عاشق)؟

(عاشق نورة) وهو يبتسم: أن تتعرضي لخطر.

(هنان) باستغراب: ماذا؟ ... ماذا تقصد؟

صفع (عاشق نورة) (هنان) صفعة قوية على وجهها فصرخ (ضارم) وقال:

ماذا تفعل؟!

(عاشق نورة) وهو يصفع (هنان) مرة أخرى: أحقق لها طلبها.

حاول (ضارم) منع (عاشق نورة) من صفع (هنان) للمرة الثالثة وخلال منعه سمعوا صوتًا يقول:

«لا تمسها!»

(هنان) وهي تمسح الدماء التي نزفت من شفتيها: ما هذا الصوت؟

(عاشق نورة) وهو يبتسم: شيطانك الذي تريدين تجنيده.

(ضارم): أي شيطان؟

بعد أن أتم (ضارم) جملته خرج شيطانٌ صغيرٌ بأعينٍ سوداء واسعة وشعرٍ أسود طويل وركب فوق أكتاف (هنان) وقال:

«لا تمسها!»

(هنان) وهي مرتعبة: ما هذا الشيء؟

(ضارم) وهو يحدق به: شيطانٌ فيما يبدو.

(عاشق نورة): ليس أي شيطانٍ بل (شيطان الهرم).

(هنان) وهي تحاول النظر إلى الشيء الذي ركب على أكتافها: كنت أظنه أكبر من ذلك.

(عاشق نورة) وهو يبتسم:

الحجم مجرد تشكل يختاره، ويبدو أنه يفضل هذا الشكل في الوقت الحالي.

(ضارم) يضع كفه على رأس (هنان) وهو ينظر إلى (شيطان الهرم): وهل سيبقى راكبًا عليها هكذا؟

(عاشق نورة) وهو يبتسم: لا أعرف.

(هنان) وهي متوترة: أنزلاه من على أكتافي.

(عاشق نورة) وهو يضحك: ألم تكن هذه رغبتك؟

(هنان) بغضب: كنت أرغب بتجنيده، لا أن يمتطيني كالبهيمة!

بعد كلام (هنان) اختفى (شيطان الهرم).

(هنان) باستغراب: أين ذهب؟

(ضارم): لم يذهب إلى أي مكان فهو ما زال على أكتافك.

(عاشق نورة) وهو يبتسم: هي لا تستطيع رؤيته الآن.

(هنان): لا يهم المهم أنه معي.

(ضارم): هل انتهيت الآن من تجنيد كل من ترغبين بتجنيده؟

(هنان): نعم ... عصبة الشياطين اكتملت.

(عاشق نورة) وماهي خطوتنا التالية الآن؟

(هنان): «هجر» ثم بلاد «فارس».

(ضارم) وهو يتشكل كجواد أسود: هيا إذاً.

(هنان) وهي تمتطي (ضارم) ...

(عاشق ) ...

(عاشق نورة): أعرف الطريق إلى «هجر» سأكون هناك.

انطلق (ضارم) نحو «هجر» لكن وبمجرد تحركه انتفضت (هنان)

وسقطت من على ظهره، وقبل ارتطامها بالأرض التقطها (عاشق نورة) وقال:

ما بك؟ .. لَمَ لم تتمسكي جيدًا؟

نزل (ضارم) بسرعة ودنا من (هنان) بعدما وضعها (عاشق نورة) على الأرض بقلق وقال:

ما بك؟ .. لماذا أرخيتِ قبضتك من عنقي؟

(هنان) وهي مغمضة العينين: ...

(ضارم) بقلق لـ (عاشق): ما بها؟

(عاشق نورة) بوجهٍ عابسٍ: لقد حذرتها من ذلك الشيطان.

(ضارم): حذرتها من ماذا؟ ... عن ماذا تتحدث؟

(عاشق نورة) وهو يقف: (شيطان الهرم) مستحوذٌ على جسدها، وليس لديه الرغبة في الرحيل من هذا المكان الآن.

(ضارم) بغضب: ماذا؟! ... تخلص منه إذاً.

(عاشق نورة): سيقتلها لو حاولنا التفريق بينهما عنوة.

(ضارم) وهو ينقض على (عاشق نورة): أنت السبب فيما يحدث لها.

(عاشق نورة) وهو يدفع (ضارم) بعيدًا عنه:

لقد كانت رغبتها، ولقد حققتها لها، ولم تكن لتسمع النصح لا مني، ولا منك.

(ضارم) وهي يحدق بـ (هنان) ويتنفس بسرعة:

وهل سنتركها هكذا؟

(عاشق نورة) وهو يحدق بـ (هنان): لا

(ضارم): ماذا سنفعل إذا؟

(عاشق نورة) وهو ينظر إلى السماء:

الليل سيحل ... أشعل نارًا بقربها، كي لا تصاب بالبرد، وإبق بجانبها ولا تتركها أبدًا.

(ضارم) وأنت ماذا ستفعل؟

(عاشق نورة) وهو يقف: سأذهب لأرض الفراعنة.

(ضارم) باستغراب: ماذا؟ .. ماذا ستفعل هناك؟

(عاشق نورة) وهو ينظر لجسد (هنان) الممد على الأرض:

هذا الشيطان أخطر مما توقعت، وسوف يعبث بها ولن يسمح لها بأن تتحكم بنفسها، لذا يجب أن نجد طريقة لتقويض سيطرته عليها، ولن نجد تلك الطريقة إلا هناك.

(ضارم): لكنك لا تعرف شيئًا عن هذه الأرض ولا تجيد لغتها.

(شيطان نورة): سأتصرف المهم أن تلازمها ولا تتركها، وتذكر أنها قد تستيقظ ولا تكون في حالتها الطبيعية، وقد لا تتعرف عليك.

(ضارم) وهو ينظر لـ (هنان):

أعرف كل مظاهر الاستحواذ التي يمارسها الشياطين.

(عاشق نورة):

حاول أن تستغل كل لحظة استيقاظ لها في سقيها، وإطعامها حتى أعود.

(ضارم): ومتى ستعود؟

(عاشق نورة): هذا في علم الغيب... لكني سأعود.

بدأت (هنان) بإصدار أصوات كالأنين، وبدأت بعض الرضوض والجروح تظهر على جسدها وعلى وجهها.

(ضارم): أنه يعبث بها ... لِمَ لا نستطيع رؤيته؟

(عاشق نورة) وهو ينظر إلى جسد (هنان):

بعض الشياطين العلوية تملك القدرة على إخفاء نفسها، حتى من الجن، ومن الشياطين.

(ضارم): كيف أمنعه من العبث بها؟

(عاشق نورة): لن تستطيع ... فقط أطعمها، واسقها عندما تستيقظ .

اختفى (عاشق نورة) وترك (ضارماً) مع (هنان).

مع حلول الليل أشعل (ضارم) نارًا، وبقي بجانب (هنان) حتى أفاقت وقالت:

أين أنا؟ ... أين (أزرق)؟

(ضارم): (أزرق) من؟

(هنان): من أنت؟

(ضارم): أنا (ضارم).

(هنان) وهي تحدق بوجه (ضارم) وكأنها لا تعرفه: أين أخواتي؟

(ضارم) وهو يبتسم بحزنٍ ويضع جبينه على رأس (هنان):

حاولي النوم الآن... وكل شيءٍ سيكون على مايرام.

(هنان) وهي سارحة في الأفق:

كانت العمة تقول: إنها لن تحترق لأجل أحد، لأن رياح النسيان تنتظر رمادها، إن فعلت ... احترقت ولم أنساها.

(ضارم): ...

صرخت (هنان) بقوةٍ ووضعت يديها على وجهها، ثم فقدت الوعي..

أمسك (ضارم) برأسها ووضعه في حجره وقال: لا تتأخر يا (عاشق).

بقي (ضارم) مستيقظاً تلك الليلة، حتى أفاقت (هنان) في الصباح:

(هنان): ما الذي نفعله هنا يا (ضارم)؟

ابتسم (ضارم) وقال الحمد لله على سلامتك.

مد (ضارم) بعض التمر الذي أحضره خلال نوم (هنان) وقال تناولي هذه

تناولت (هنان) ثمار التمر:

(هنان): متى سنرحل للبحث عن جلد (شيذم)؟

(ضارم) باستغراب: جلد (شيذم)؟

(هنان): نعم ألم تخبرني أننا يجب أن نحصل عليه للدخول إلى كهف العشاق؟

(ضارم) وهو يحتضن رأس (هنان) لصدره:

سنذهب قريبًا... حاولي أن ترتاحي الآن.

نهضت (هنان) بسرعة وقالت: أين الواحة؟

(ضارم) بتعجب: أي واحة؟!

(هنان) وهي تضحك: الواحة الواحة.

(ضارم): هل تريدين ماء؟ هل أنتِ عطشى؟

(هنان) وهي تضحك وتصفق: الواحة الواحة.

(ضارم) وهو يقف ويمسك بـ (هنان): هيا سآخذك لأقرب واحة هنا.

سار (ضارم) مع (هنان) وهي تضحك وتصفق، لأنه لم يرد التحليق بها، وهي في تلك الحالة، لكن بعد بضع خطوات ظهر (شيطان الهرم) أمامهما وقال:

«لا تمسها ..»

نظر (ضارم) لـ (شيطان الهرم) بغضب وقال:

ابتعد عن طريقي أيها اللعين.

تفلتت (هنان) من (ضارم) واندفعت نحو (شيطان الهرم) وعانقته وقالت:

أين كنت لقد اشتقت اليك؟

(شيطان الهرم) وهو يعانق (هنان) ويحدق بـ (ضارم) مبتسماً:

«لن تمسها ..»

(ضارم) بغضب: أنت تتحدث لغتنا إذاً؟!

(شيطان الهرم) وهو يصعد على أكتاف (هنان): ولغات كثيرة ..

(ضارم): صاحبي ذهب ليبحث عن طريقة لإيقافك.

(شيطان الهرم) وهو يبتسم: أعرف.

(ضارم): ألست خائفاً؟

(شيطان الهرم): بل لا أهتم.

بدأ (شيطان الهرم) بتمرير أصابعه في شعر (هنان) الأبيض، ويتمعن به بابتسامة عريضة.

(ضارم) بصوت مرتفع: ماذا تريد منها اتركها وشأنها؟!

(شيطان الهرم): لن أترك (نوارة) أبدًا.

(ضارم): هذه ليست (نوارة) يا أحمق.

(شيطان الهرم) ينزل من أكتاف (هنان) ويزمجر ..

(ضارم) وهو يزمجر: لنرى مدى قوتك!

اندفع (شيطان الهرم) وتشابك مع (ضارم) بينما كانت (هنان) تراقبهما، وهي تقفز وتصفق وتقول ضاحكة:

اضربه... اضربه.

لم يستطع (ضارم) مقاومة ضربات (شيطان الهرم) لفترة طويلة وتقهقر بسرعة.

(شيطان الهرم) وهو يعود على أكتاف (هنان) بعدما سقط (ضارم):

لا تتدخل بيننا.

(ضارم) وهو على الأرض: لن أتركك تعبث بها.

(شيطان الهرم) وهو يختفي: لن تمسها.

بعد اختفاء (شيطان الهرم) اندفعت (هنان) نحو (ضارم) وحاولت مساعدته وهي تقول:

ما بك يا (أزرق) من الذي فعل بك ذلك؟

(ضارم) وهو يبتسم: ابقي هنا ولا تتحركي، سأذهب لأحضر لكِ بعض الماء.

(هنان): بتعجب: «الحجاز»؟ لماذا نذهب إلى «الحجاز»؟

اختفى (ضارم) وبعد ثوانٍ، عاد وفي كفيه بعض الماء، وقام بسقي (هنان) وعندما انتهت ظهر (شيطان الهرم) وصفعه صفعة قوية وقال: «لا تمسها!»

اختفى (شيطان الهرم)، وبقي (ضارم) على الأرض ولم ينهض فاقتربت (هنان) منه، وتوسدت صدره وقالت:

سامحيني ياعمة ..

بقي (ضارم) على هذه الحال لعدة أسابيع يطعم ويسقي (هنان) ويتلقى عقابًا قاسيًا من (شيطان الهرم) على ذلك... حالة (هنان) كانت تزداد سوءاً أيضًا، فهلوساتها لم تتوقف وجسدها امتلأ بالجروح وبالرضوض من عبث (شيطان الهرم) بها في كل مرة تنام فيها... في أحد الأيام وخلال ركوب (شيطان الهرم) على أكتاف (هنان) سئم



(ضارم) وقال وهو مرهق:
انزل من عليها.
(شيطان الهرم) وهو يعبث بشعر (هنان): هل قررت أن تموت؟
(ضارم) بصوت مرتفع: انزل من عليها.
نزل (شيطان الهرم) وهو يبتسم ويقول:
«لن تمسها»
(ضارم): لا... لكنني أنا من سيمسك!
اندفع (ضارم) بالرغم من تعبه، ومن إرهاقه نحو (شيطان الهرم) والذي طرحه أرضًا بضربةٍ واحدةٍ وقال:
جن أحمق..
وقف (شيطان الهرم) عند رأس (ضارم) ورفع مخالبه في نية لقتله، و(هنان) تصفق وتضحك، وقبل أن ينزل مخالبه على عنق (ضارم) طار (شيطان الهرم) في الهواء وهو يصرخ من الألم... ليظهر (عاشق نورة) بجانب (ضارم) وهو يقول مبتسماً:
هل تأخرت عليك؟
(ضارم) وهو يبتسم: قليلًا
نهض (شيطان الهرم) وهو يقول بغضبٍ: سأقتلكم جميعًا .
(عاشق نورة) وهو ويخرج حجرًا أسود منحوتاً على شكل جعران، ويرفعه في وجه (شيطان الهرم):
هل أنت متأكُد؟
فزع (شيطان الهرم) عندما رأى الحجر، وبدأ بالصراخ بقوةٍ، وحفر

الأرض تحته واختبأ فيها ..

نهض (ضارم) ببطء وقال: ما الذي فعلته به؟

(عاشق نورة): أحضر الفتاة.

ذهب (ضارم) وأحضر (هنان) وهي تبتسم وتقول:

متى سنذهب إلى «اليمامة»؟

(عاشق نورة) وهو يضع الحجر في يدها مبتسماً:

سنذهب إلى أي مكان تريدينه.

بمجرد أن أمسكت (هنان) الحجر أفاقت من هلوساتها، ووضعت يدها على رأسها ثم التفتت يمينًا على (ضارم) ويسارًا على (عاشق نورة) وقالت:

هل وصلنا إلى «هجر»؟

كانت ذاكرة (هنان) مشوشة خلال الفترة التي كان (شيطان الهرم) مستحوذاً عليها، ولم تتذكر الكثير سوى أنها كانت تعاني من كوابيس كثيرة، وأنها كانت مريضة.

(ضارم): لقد كنت في عالمٍ آخر لأسابيع.

(هنان) وهي تضع يدها على رأسها: لا أذكر شيئًا مما تقول.

(عاشق نورة) وهو ينظر إلى الحفرة التي دفن (شيطان الهرم) فيها نفسه:

لا يهم ذلك الآن المهم أن ذلك اللعين أصبح تحت سيطرتك.

(هنان) وهي تنظر إلى الحجر المنحوت على شكل جعران في يدها:
ما هذا الحجر يا (عاشق)؟

(عاشق نورة): التميمة التي تسيطر على (شيطان الهرم).

(ضارم): كيف حصلت عليها؟

(عاشق نورة): وهو يأخذ الحجر ويضعه في جيب (هنان):
لا تتخلي عن هذا الحجر أبدًا... فمن دونه لن يستجيب ذلك الشيطان لك.

(هنان) وهي تشعر بدوران في رأسها: أشعر أني متعبة.

(ضارم) وهو يسند (هنان):
لقد مررت بوقتٍ عصيبٍ، ولم تتناولي طعامًا كافيًا خلال الفترة الماضية، ولم تتناولي سوى ما استطعت إطعامك إياه في غفلةٍ من ذلك الشيطان.

(عاشق نورة) وهو مبتسم: لم أكن أظن أنك ضعيف لهذا الحد يا شيخ الجن.

(ضارم) وهو يجلس (هنان) على الأرض:
أنت لم ترَ كيف كان ذلك الخبيث يقاومني ... قوته غريبة ..

(عاشق نورة): أعرف ... فلقد رأيت الأرض التي أتى منها، وهي أرض قاسية ولا ينجو منه أحدٌ بسهولةٍ.

(ضارم): لم تخبرني كيف حصلت على ذلك الجعران الحجري.

(عاشق نورة) وهو ينظر لـ (هنان): لنأخذها أولًا إلى مكان تتعافى فيه.

(هنان) وهي تحاول الوقوف: أنا بخير لا تقلقا.

زلت قدم (هنان) وسقطت على الأرض مغميًا عليها، وهي تحاول النهوض فالتقطها (ضارم) وهو يقول:

أين تقترح أن نأخذها كي تتعافى؟

(عاشق نورة) وهو يرفع رأسه وينظر إلى الأفق:

أعرف المكان المناسب ... احملها واتبعني.

انطلق (عاشق نورة) وتبعه (ضارم) بعدما حمل (هنان) معه .

بعد فترة من التحليق حط (عاشق نورة) في منطقة صحراوية خاوية، وحط خلفه (ضارم) ووضع (هنان) على الأرض بهدوء وقال: ما هذا المكان القاحل؟ كنت أظن أنك ستأخذنا إلى مكان مختلف.

(عاشق نورة) وهو يحفر الأرض: هذه الأرض بها خصائص علاجية مفيدةٌ للإنس.

(ضارم) باستغراب: ماذا تفعل؟

(عاشق نورة) وهو يحمل (هنان) ويضعها في الحفرة:

سوف ندفن جسدها في هذه الأرض لمدة ثلاثة أيام، وسوف تتحسن بشكل كبير

(ضارم): وكيف ستتنفس؟

(عاشق نورة) وهو يدفع الرمال في الحفرة:

لن ندفن رأسها أيها الحكيم.

(ضارم) وهو يشاهد رأس (هنان) البارز من الأرض بعدما انتهى (عاشق نورة) من دفن جسدها: ماذا الآن؟

(عاشق نورة): يجب أن يبقى أحدٌ منا معها، بينما الآخر يحضر لها الطعام والماء

(ضارم): هل أنت متأكد من أن علاجك هذا سيَنجح وستتماثل للشفاء؟

(عاشق نورة): هي ليست مريضة، لكن جسدها مرهق فقط .

(ضارم): أنا سأبقى معها وأحضر أنت الزاد.

(عاشق نورة): حسنًا

(ضارم) وهو يجلس بجانب رأس (هنان):

ولا تحضر تمرًا أو بلحًا، فأنا متأكدٌ أنها سئمت من تناولها.

(عاشق نورة) وهو يختفي مبتسمًا: لا تقلق فأنا أعرف مايحبه البشر من طعام.

اختفى (عاشق نورة) وعاد قبل الغروب ليجد أن (هنان) قد استيقظت وبدأت بالتحدث مع (ضارم):

(عاشق نورة): يبدو أنكِ بحالٍ أفضل

(هنان) وهي تبتسم: لا أعتقد أن دفني بهذا الشكل سيفيد.

(ضارم): هذا ما نصح به الـ (عاشق)

(عاشق نورة) وهو يجلس أمام رأس (هنان) ويضع الطعام الذي أحضره معه:

وما أدراكَ أنت؟

(هنان) وهي تنظر إلى الطعام الذي وضعه (عاشق نورة) أمامها مبتسمة بحماس:

ماذا أحضرت لي يا (عاشق)؟

(عاشق نورة) مبتسماً: بعض العنب.

(ضارم): وهو يبتسم: هل سرقته؟

(عاشق نورة) وهو يمد بعض العنب لفم (هنان) مبتسماً ...

(هنان) وهي تتناول العنب الذي مده (عاشق نورة): طعمه لذيذ جدًا!

(عاشق نورة) يمد لها المزيد من العنب ويبتسم.

(ضارم) يراقب (عاشق نورة) وهو يطعم (هنان).

(هنان) وهي تأكل العنب: هذا العنب لذيذٌ جدًا ... من أين أتيت به؟ أخبرني أريد أن أعرف.

(عاشق نورة) وهو يبتسم بحزن: لا يهم من أين أتيت به ...؟

بعد انتهاء (هنان) من طعامها ومن سقي (ضارم) لها بعض الماء، بدأ الثلاثة يراقبون الشمس وهي تغيب.

(هنان): كم سأبقى في هذه الحفرة؟

(عاشق نورة): ستبقين يومين على الأقل.

(هنان) بوجه محبط: هذا كثير... سوف أشعر بالملل.

(ضارم): حاولي النوم قليلًا.

(هنان): لقد استيقظت للتو كيف أنام؟

(عاشق نورة) موجهاً كلامه لـ (ضارم): لِمَ لا ترقص لها قليلًا؟

(ضارم) بغضب: ماذا ... أنا شيخ من شيوخ الجن، وتريد مني أن أرقص؟!

(عاشق نورة) وهو يبتسم بسخرية:

لا يوجد أحدٌ من قبيلتك هنا يا شيخ الجن، وأنا لن أخبر أحداً.

(ضارم) بغضب: أرقص أنت يا عاشق الفتيات!

(هنان) بصوت مرتفع: كفى، كفى! ... لا أريد شيئاً منكما سوف أعد النجوم!!

رفع الثلاثة رؤوسهم إلى السماء وصمتوا لفترة .

(ضارم) يبتسم بسخرية وهو يشاهد شهابًا يمر أمامهم:

يبدو أن أحدًا من أهلك يا (عاشق) قد رجم ..

(عاشق نورة) وهو يبتسم ويحدق بالسماء: نعم، يبدو كذلك ..

(هنان) بتعجب: عن ماذا تتكلمون؟

(ضارم) وعينه ما زالت على السماء: لصوص العلم ... المسترقون

(هنان) باستغرابٍ: المسترقون؟ ... الذين أخبرتني عنهم سابقًا؟

(ضارم) وعينه على السماء: نعم .. حمقى يريدون معرفة المستقبل.

(عاشق نورة) وهو ينظر لـ (هنان): يتحدث عنهم، وكأن الجن لا يستعينون بهم أويحاولون جمع العلم مثلهم.

(ضارم) وهو ينظر لـ (عاشق نورة): نحن لا نسرق من السماء

(هنان) تنظر إليهم بتعجب ..

(عاشق نورة) لـ (ضارم): لأنكم جبناء .

(ضارم) وهو يعيد نظره للسماء ويبتسم: لن تستفزني يابن خناس ... اتركني أستمتع بمنظر أهلك، وهم يرصدون ويرجمون

(هنان): هل يمكن أن نغير الموضوع؟

(عاشق نورة) وهو ينظر إلى السماء: لماذا؟

(هنان) بصوت مرتفع: لأنني لا أفهم شيئًا مما تتحدثون عنه!

(ضارم) وهو يضحك: عن ماذا تريدين أن نتحدث إذاً؟

(هنان): أشعلوا نارًا أولًا الرياح جمدت رأسي.

(عاشق نورة) يشعل نارًا بحركة من يده أمام (هنان) ..

(هنان) تحدق بالنار ...

(ضارم): بماذا تفكرين؟

(هنان) وهي ما تزال تحدق بالنار بعينيها البيضاويتين:

في وسيلة أقضي بها هذه الليلة المملة.

(عاشق نورة): وهل خطر ببالك شيء؟

(هنان): لا يوجد شيء في بالي سوى اقتراحك السابق بأن يرقص (ضارم) لنا.

(عاشق نورة) يضحك بقوةٍ و(ضارم) يتجهم ..

(ضارم): لِمَ لا تنامي؟

(هنان): الشياطين لا تنام، والملائكة لا تسهر .

(عاشق نورة) وهو يبتسم: هل تحاولين أن تكوني شيطاناً؟

(هنان) وهي تحدق بالنار: أحاول أن أكون أسوأ ..

(ضارم): وما هو الأسوأ من أن تكوني شيطاناً؟

(هنان) وهي تحدق بالنار: إنسان يريد أن يصبح شيطاناً ..

(عاشق نورة) ينظر لـ (هنان) باستغراب ..

(ضارم): لقد قتلت ذلك الأرنب المسكين بطريقة وحشية ... أعتقد أنك على الطريق الصحيح لتكوني شيطاناً.

(هنان): شعور انتابني بعدما فصلت رأس ذلك الأرنب عن جسده.

(عاشق نورة): ما هو؟

(هنان): لا شيء ... لم أشعر بشيء ... كنت أظن أنني سأستاء بعدها، لكني لم أشعر إلا بالخدر وبالتبلد .

(عاشق نورة) وهو يبتسم ويحدق بالنجوم:

وهل شعرت بشيءٍ عندما قتلت ذلك الساحر الذي يقول شيخ الجن أنكِ قتلته؟

(هنان): نعم ... شعرت بالقوة وبالسعادة، لأني قاومت من كان يرغب في إيذائي

(ضارم): ...

(عاشق نورة): قتل الأبرياء هو أسرع طريقة لقتل براءتك.

(هنان): هل تقصد أني أصبحت شيطانة الآن؟

(عاشق نورة) وهو يلتفت إلى (هنان): بل أصبحت أسوأ.

(هنان) وهي تحدق في عيني (عاشق نورة) ...

(ضارم): لدي اقتراحٌ أفضل .

(هنان) وهي تنظر لـ (ضارم):

اقتراح بشأن ماذا؟

(ضارم): بشأن الطريقة التي تقضين بها هذه الليلة دون ملل.

(عاشق نورة) وهو يبتسم: نعم ياشيخ الجن هات ماعندك.

(ضارم) وهو يبتسم ويحدق بـ (عاشق نورة): الإنس يستأنسون بالقصص .

(هنان) وهي تبتسم: نعم صحيح.

(عاشق نورة): وأي نوع من القصص سنرويها لها؟

(ضارم): لَمِ لا نترك الاختيار لها؟

(عاشق نورة) ينظر لـ (هنان) ...

(هنان) تفكر: ...

(ضارم): لِمَ لا نبدأ بما حدث معك في أرض الفراعنة، وكيف حصلت على ذلك الحجر الذي أخضع (شيطان الهرم).

(هنان) وهي تلتفت برأسها يمينًا وشمالًا: صحيح أين ذهب (شيطان الهرم)...؟

(عاشق نورة) وهو يبتسم: قريب من هنا، فهو الآن مربوطٌ بك، مادام ذلك الحجر في جيبك.

(هنان): ولماذا لا يظهر نفسه مثلكم؟

(عاشق نورة): ينتظر الأمر منك.

(هنان) بصوت مرتفع قليلًا: اظهر يا (شيطان الهرم)!

تحركت الرمال من على مقربة منهم، وخرج منها (شيطان الهرم) وهو متشكلٌ بجسدٍ غريبٍ... كان شكله كالمومياء، لكنه كان ذهبي اللون، وعلى جسده نقوش حمراء ورسومات غريبة... مشى الشيطان حتى استقر أمام النار، وجلس مقابل رأس (هنان) ومخالبه ترتجف.

(هنان): شكله بشع جدًا ..

(ضارم) وهو ينظر إلى (شيطان الهرم): القصص التي سمعتها عنه كانت تصفه بشيطانٍ ضخم، وعندما ظهر لنا أول مرة كان صغير الحجم، والآن لا أعرف لماذاً يختار هذا الشكل؟

(عاشق نورة) وهو ينظر لـ (شيطان الهرم): أعتقد أنني أعرف السبب.

(هنان): ماهو؟

(عاشق نورة): ستصرفينه أم أنه سينضم إلى سهرتنا؟

(هنان) وهي تنظر إلى (شيطان الهرم): انصرف .

نهض (شيطان الهرم) واختفى من أمامهم ..

(هنان) تبتسم .

(ضارم): أخبرنا الآن ماذا حدث معك في أرض الفراعنة ...؟

***




حكى (عاشق نورة) لـ (هنان) و(ضارم) ما حدث معه لحظة وصوله لأرض الفراعنة التي لم يزرها من قبل، ولم يكن يتقن اللغة التي يتحدث بها قاطنو تلك الأرض من أنس، أومن جن أومن شياطين.

بمجرد وصوله إلى تلك الأرض بدأ (عاشق نورة) بالبحث عن أكبر تجمعٍ للبشر هناك، وبعد بحث قصير رأى في الأفق المثلثات الحجرية الكبيرة التي سمع عنها من أجداده، والتي كانت مقابر لفراعين حكموا تلك الأرض عبر سنوات مضت، حط (عاشق نورة) بالقرب من تلك الأهرامات الضخمة وتشكل بهيئةٍ بشريةٍ، كي يندمج مع الناس ولا يلاحظ أحدٌ وجوده، لم يكن تشكله موفقاً لأنه تشكل بهيئة رجل بملابس عربية، ولم تكن تلك الهيئة مبعدة للشبهات عنه بل جذبت إليه الانتباه ودفعت بعض الناس للاقتراب منه ومحاولة الحديث معه.

أدرك (عاشق نورة) أن تشكله هذا سيسبب له المشاكل، لذا توارى عن الأنظار وتشكل كهيئة أحد الجوارح المألوفة في تلك الأنحاء... وهو

الصقر، أمضى (عاشق نورة) بضعة أيام يحلق من مكان لآخر، وهو متشكلٌ يراقب فيها الناس وحياتهم اليومية واكتشف أماكن تواجد كبار الكهنة بواسطة رصد تجمعات الشياطين التي كانت تتزاحم حولهم بين مسخر وخادم... بعد فترة وجيزة من المراقبة حدد (عاشق نورة) مكان كبير الكهنة، وبدأ يراقبه لعدة أيام ومن وقت لأخر كان بعض الشياطين يحاول التواصل معه بلغتهم، لكنه لم يكن يرد عليهم ويكتفي بتجاهلهم وإكمال مراقبته، لم يدم تجاهل (عاشق نورة) لتلك الشياطين

طويلًا حتى تحدث معه أحدهم بالعربية وقال له:

أنت من «جزيرة العرب» أليس كذلك؟

(عاشق نورة) وهو متشكل كصقر: هل تتحدث العربية؟

(الشيطان) وهو يبتسم: لم أسمع تلك الأحرف الجميلة منذ أعوام.

(عاشق نورة): ما اسمك؟

(الشيطان): ... (تكور)

(عاشق نورة): كيف عرفت أنني لست من هذه البلاد؟

(تكور): وهو يبتسم: تشكلك خاطئ ... مناقير الصقور هنا تختلف عن المنقار الذي اخترته، وهو منقار لأحد الصقور في الجزيرة

(عاشق نورة): أنت شديد الملاحظة

(تكور): لا، أبدًا لكن ترددك على مراقبة كبير الكهنة يوميًا أثارت ريبتي.

(عاشق نورة): ما الذي أتى بك إلى هذه الأرض من بلادنا؟

(تكور): أنا مربوطٌ هنا منذ سنين، ولا يمكنني العودة لـ «جزيرة العرب»

(عاشق نورة): لماذا؟

(تكور): كنت خادمًا عند ساحر من الجزيرة، وهذا الساحر قرر السفر يومًا إلى هذه الأرض للبحث عن طلسم ما، ولكنه اصطدم بكبير الكهنة هنا وانتهى الأمر بمقتله.

(عاشق نورة): مقتله يحررك لا يربطك، لأنك خادم ولست معاهداً له.

(تكور): كبير الكهنة شخص ذو نفوذ وقدرة كبيرة، فبمجرد قتله للساحر الذي كنت أخدمه ربطني بطلسم، وسخرني لخدمته أيضًا.

(عاشق نورة): كيف استطاع أن يراك؟

(تكور): خدمه من الشياطين حوله كثر، وهم من يهمسون له بكل شيء.

(عاشق نورة): وهل ستخبره عني؟

(تكور): لا ... لكن أخبرني ما الذي أتى بك إلى هنا؟ ولماذا تراقب كبير الكهنة منذ أيام؟

(عاشق نورة): أبحث عن طريقة للسيطرة على شيطان من هذه الأرض.

(تكور): شيطان؟ ... الشياطين هنا معظمها سفلية، والسيطرة عليها ليّس بالأمر الصعب.

(عاشق نورة): الشيطان الذي أسعى للسيطرة عليه ليس سفلياً بل علوياً

(تكور): شياطين أرض الفراعنة العلوية لا تترك أرضها.

(عاشق نورة): إلا إذا كانت معلقة.

(تكور) وقد بدا عليه التوتر: عمّن تتحدث؟

(عاشق نورة): (شيطان الهرم).

(تكور): وعلى وجهه بدا الرعب ...

(عاشق نورة): هل تعرفه؟

(تكور): كيف وجدته؟

(عاشق نورة): أنا لم أجده ... ساحرةٌ من الجزيرة حضرته، وهو الآن مستحوذٌ عليها.

(تكور): لن تعيش طويلًا .

(عاشق نورة): أعرف ... لذلك أتيت إلى هنا بحثًاً عن حل لردعه

(تكور) ينظر إلى قصر كبير الكهنة .

(عاشق نورة): ما بك؟

(تكور) وعلى وجهه القلق:

لو علم سيدي بأن (شيطان الهرم) ما زال على قيد الحياة سيثور غضبًا

(عاشق نورة) باستغرابٍ: لماذا؟

(تكور): لماذا؟ ... لقد قتل (شيطان الهرم) الكثير من أبرز الكهنة، وقتل أحد الفراعنة السابقين، ألا تظن أن دمه مهدورٌ هنا؟

(عاشق نورة): أنا لا أريد قتله ... أريد السيطرة عليه فقط .

(تكور): مثل هذا الشيطان لا يمكن السيطرة عليه بسهولة

(عاشق نورة) يحدق بمنزل كبير الكهنة ...

(تكور): ربما أستطيع مساعدتك، لكني لا أعدك.

(عاشق نورة) وهو يلتفت على (تكور): كيف أخبرني؟

(تكور): عندما رحل (الساحر السندي) بعد خلافه مع الفرعون بدأ (شيطان الهرم) بارتكاب المجازر بين الكهنة، لذا أمر الفرعون قبل مقتله كاهنًا يسكن جنوبًا على ضفاف النهر الخالد، بأن يبحث عن طريقةٍ للسيطرة عليه، وهذا الكاهن غاب ولم يعد إلا بعد مقتل الفرعون بشهر، وبعد عودته كانت حملات القتل قد توقفت، ولم يكن الفرعون الجديد حريصًا على إيقاف (شيطان الهرم) أو البحث عنه، لأنه توقف من نفسه تلك الفترة.

(عاشق نورة): ولماذا هذا الكاهن بالتحديد؟

(تكور): ماذا تقصد؟

(عاشق نورة): لماذا اختار الفرعون كاهناً بسيطاً من خارج العاصمة؟ ... أليس أفضل الكهنة موجودين فيها؟

(تكور): ومن قال لك: إن ذلك الكاهن كان بسيطًا؟ ... كان ذلك االكاهن من أقوى الكهنة في البلاد، ودليل قوته هو أن الفرعون لم يستطع إجباره على الانتقال إلى العاصمة، وكان يستشيره من وقت لآخر بإرسال الرسل إليه.

(عاشق نورة): لِمَ لَمْ يستعن به إذاً قبل الاستعانة بـ (الساحر السندي)؟

(تكور): الفرعون في ذلك الوقت استعان بالجميع، وبكل من كان يمكنه معاونته لكن استجابة (الساحر السندي) كانت أسرع

(عاشق نورة): وماذا فعل الكاهن عندما وجد أن الفرعون مات؟

(تكور): عاد أدراجه إلى الجنوب ولم نره مرة أخرى.

(عاشق نورة): وما علاقة ذلك برغبتي في السيطرة على (شيطان الهرم).

(تكور): عودة الكاهن بعد أن طلب الفرعون منه إيجاد طريقة للسيطرة على (شيطان الهرم) دليل على أنه وجدها، وإلا لما كان يجرؤ على مقابلة الفرعون بيد خاوية.

(عاشق نورة): ألم تقل بأنه لم يكن يخاف من الفرعون؟

(تكور) وهو يبتسم: الكل يخاف الفرعون مهما تظاهر بعكس ذلك.

(عاشق نورة): وأين يسكن هذا الكاهن؟

(تكور): لا أظنك ستجده على قيد الحياة.

(عاشق نورة): صحيح ... (شيطان الهرم) معلق منذ مئات السنين

(تكور): لكن هذا لا يمنع أن تبحث.

(عاشق نورة) وهو يحدق بقصر كبير الكهنة:

شكرًا لقد كنت عونًا كبيرًا لي .

(تكور): يبتسم .

(عاشق نورة): هل ما زلت ترغب في العودة إلى «جزيرة العرب»؟

(الشيطان) بحزن: نعم.

(عاشق نورة): هل كبير الكهنة يملك القدرة على ربط الشياطين العلوية؟

(الشيطان): لا أظن ... فهي ليست مثلنا ضعيفة .

(عاشق نورة) وهو يبتسم: تحدث عن نفسك.

(الشيطان) باستغراب: ماذا تقصد؟

(عاشق نورة) وهو ينطلق بسرعة خاطفة باتجاه قصر كبير الكهنة.

(الشيطان) بصوتٍ مرتفعٍ: إلى أين؟!

لو رآك الكاهن سوف يأسرك ويستعبدك

(عاشق نورة) وهو يقترب من القصر:

ستعود إلى «جزيرة العرب» ولن تبقى أسيرًا هنا.

دخل (عاشق نورة) من إحدى نوافذ القصر الكبيرة وبمجرد دخوله رأى كبير الكهنة وحوله مجموعة من مساعديه، ومجموعة كبيرةً من الشياطين السفلية. تشكل (عاشق نورة) بمجرد رؤيتهم بتشكلٍ ضخمٍ ومرعبٍ، وبدأ يصرخ بقوة. اندفعت شياطين الكاهن عليه، لكنه تَغلب عليهم جميعًا... وقف الكاهن مرعوبًا لما رآه وهرب جميع مساعديه من حوله وتركوه لوحده.

بعد دقائق خرج (عاشق نورة) من نافذة القصر وهو متشكلٌ كصقرٍ ومرَّ بجانب (تكور) وقال:

سوف أحتاج أحدًا يتحدث بلغة هذه الأرض هل تجيدها؟

(تكور) مبتسماً بعدما أحس بتحرره: نعم لقد تعلمتها على مر السنين

(عاشق نورة) وهو يحلق مبتعدًا عن القصر في كبد السماء:

اتبعني إذاً، وأرشدني إلى مكان ذلك الكاهن عند النهر الخالد

تشكل (تكور) كصقر ولحق بـ (عاشق نورة).

حلق الاثنان فوق النهر الخالد، وسارا لفترة حتى تحدث (تكور) وقال:

هل أنت شيطانٌ علوي؟

(عاشق نورة): نعم.

(تكور): لم أتحدث مع شيطان علوي من قبل.

(عاشق نورة): ولماذا تريد التحدث مع شيطان علوي؟

(تكور): لا أعرف ... ربما لأني أريد أن أرَى الفرق بيننا.

(عاشق نورة): لا يوجد فروق بيننا سوى ما نصنعه بأيدينا.

(تكور): لم أفهم قصدك.

(عاشق نورة): الكرامة في نسل الشياطين خرافة، عقيدتنا البطش والقوة، وهي التي مكنتنا من الاعتلاء عليكم.

(تكور): الشياطين العلوية أقوى من السفلية بكثير، وهذا بحد ذاته فرقٌ واضحٌ.

(عاشق نورة): هل تصارعت مع شيطان علوي من قبل؟

(تكور): لا

(عاشق نورة): لماذا؟

(تكور): خوفاً من الموت بالطبع.

(عاشق نورة): خوفك هذا هو أهم مصدر لقوتنا.

(تكور): ...

(عاشق نورة): ...

(تكور) وهو ينظر إلى الأسفل: لقد اقتربنا من أول قرية .

(عاشق نورة): ألا تعرف أين كان يقطن ذلك الكاهن؟

(تكور): لا ... وسنواتٌ كثيرةٌ جدًا قد مضت، ولا أظن بأن منزله ما زال موجودًا

(عاشق نورة) عن ماذا نبحث إذاً؟

(تكور): لنتفقد المكان أولًا.

نزل الاثنان وتشكلا بهيئة بشرية وسارا باتجاه تلك القرية الصغيرة.

دخل الاثنان ولم يريا شيئًا خارجًا عن المألوف، مجرد مجموعة من المزارعين مع أسرهم يعملون في الحقول التي كانت محاذية للنهر الخالد.

(عاشق نورة) وهو يتفحص المكان بنظره: لا يبدو أننا سنجد شيئًا هنا.

(تكور): معك حق لنبحث في مكانٍ آخر.

حلق الاثنان مرة أخرى فوق النهر الخالد واستمرا بالتحليق حتى رأيا راعياً للماشية يرعى بعض الأبقار يسير بمحاذاة النهر:

(عاشق نورة):ما رأيك أن نسأل ذلك الراعي؟

(تكور): لا أظنه يعرف شيئًا، لكن السؤال لن يضر.

نزل الاثنان على مقربة من الراعي وتشكلا بهيئة بشرية ثم هرولا حتى لحقا به وتحدثا معه:

(تكور): هل تسمح لنا بسؤالٍ أيها الراعي؟

(الراعي) باستغراب: من أين أتيتما؟

(تكور) وهو يبتسم: لا يهم ... نحن نبحث عن شخص.

(الراعي) وهو مرتابٌ: عمّن تبحثون؟

(عاشق نورة) يستمع للحوار دون أن يفهم شيئاً.

(تكور) مبتسماً: كاهن كان يعيش في هذه الأرجاء منذ سنوات طويلة.

(الراعي) باستغرابٍ: كاهنٌ؟ ... لا يوجد كهنة هنا كل الكهنة موجودون في العاصمة «سايس»

(تكور): أعرف ... لكن سمعنا عن كاهن كان يسكن على ضفاف النهر الخالد قديماً ونحن نبحث عن منزله أو عن أي أحد يعرف شيئًا عنه.

(الراعي) وهو ينظر لـ (عاشق نورة): لماذا يحدق صاحبك بي هكذا؟

(تكور) مبتسماً: لا تلق له بالاً ... هل يمكنك مساعدتنا؟

(الراعي): منذ متى كان يعيش هذا الكاهن في هذه المنطقة؟

(تكور): قبل مئة وخمسين عاماً، أو مئتي عام تقريبًا يعتمد ذلك على يوم وفاته

(الراعي): هل أنت مجنونٌ؟

(تكور): لماذا؟

(الراعي) يحدق بـ (الشيطان) و(عاشق نورة) ...

(عاشق نورة): ما به؟ .. ماذا قلت له؟

(الراعي): لماذا لا يتحدث صاحبك بلغتنا؟

(تكور): إنه ليس من مصر .

(الراعي): هل أنتما من قاطعي الطرق؟

(تكور): إذا كنت لا تعرف شيئًا عن الكاهن أرجوك أخبرنا، ولا تضيع وقتنا

(الراعي) وعينه على (عاشق نورة): لا أعرف شيئًا.

(تكور): شكرًا يمكنك الرحيل.

لم يرحل الراعي وبقي يحدق بهما .

(تكور): لماذا لم ترحل؟ ... هل تريد شيئًا؟

(الراعي): أريد أن أرَى كيف سترحلان من هنا.

(تكور): لماذا؟

(الراعي): لأني أشك بأمركما .

(تكور): امضِ في حال سبيلك، ولا تبحث عن المشاكل.

(عاشق نورة): ما الذي يحدث هل أخبرك بمكان الكاهن؟

(تكور) بالعربية: لا ... لا يبدو أنه يعرف شيئًا.

(عاشق نورة): لماذا لم يرحل إذاً؟ ولماذا يحدق بنا هكذا؟

(تكور) مبتسمًا: لأنه يشك بأمرنا ويريد أن ينتظر كي يرى كيف سنرحل من هنا؟

(عاشق نورة): هذا الراعي سيضيع وقتنا لنتابع المسير.

(تكور): لنجلس أمام اانهر حتى يطمئن ويرحل.

جلس الاثنان على ضفاف النهر، والراعي يحدق بهما وبعد فترة وجيزة تحرك مع قطيعه، وبدأ بالابتعاد عنهما .

(تكور) وهو يلتفت خلفه ويراقب الراعي وهو يرحل:

لقد قرر الرحيل أخيرًا .

(عاشق نورة): ذلك الراعي كان مريبًا.

(تكور): ماذا تقصد؟

(عاشق نورة): شكله بشري ولكن لا يبدو بشريًا.

(تكور): لم أفهم قصدك.

(عاشق نورة): نحن كشياطين نستطيع التفريق في الغالب بين الإنس والجن والشياطين حتى لو كانوا متشكلين.

(تكور): نعم أعرف

(عاشق نورة): ذلك الراعي لم يكن يشبه أي كينونه مألوفة لدي.

(تكور): كان بشراً .

(عاشق نورة): لا لم يكن بشراً .. ولا جناً ولا شيطاناً.

(تكور) باستغرابٍ: ماذا كان إذاً؟

(عاشق نورة): لا أعرف ... لم يمر عليّ كينونة بهذا الشكل من قبل.

(تكور): لقد رحل على أيّة حال، لنركز على البحث عن كاهن النهر.

(عاشق نورة): نحن نبحث عن حبة رمل في صحراء.

(تكور): لا تيأس.

(عاشق نورة): يجب أن أعود إلى «جزيرة العرب» بأسرع وقت

(تكور): هناك شيءٌ يمكننا محاولته.

(عاشق نورة): ما هو؟

(تكور): أن نسأل الكهنة المعروفين في العاصمة «سايس» فلربما يعرف أحد شيئًا عن ذلك الكاهن.

(عاشق نورة) وهو ينهض:

لنكمل المسير بمحاذاة النهر وإذا لم نجد شيئاً سنعود إلى «سايس»

حلق الاثنان وهما يتفحصان بنظرهما ضفاف النهر الخالد وبعد مسافة تحليق بسيطة قال (عاشق نورة): غريب ..

(تكور): ما الأمر؟

(عاشق نورة): أليس من المفترض أن نرى الراعي خلال تحليقنا؟ ... لا أظنه ابتعد مسافة كبيرةً كي يختفي عن الأنظار.

(تكور) وهو ينظر إلى الأسفل:

فعلًا ... لا يوجد له أثر مع أننا قطعنا مسافة طويلة في الاتجاه الذي سار به

(عاشق نورة): شكله لم يعجبني منذ البداية ..

(تكور): انظر! .. إنه هناك!

(عاشق نورة): إنه يسير لوحده ... أين قطيع الأبقار الذي كان معه؟

(تكور): لا أعرف ... أمر غريب ..

(عاشق نورة): لننزل.

(تكور): لماذا فهو لا يعرف شيئاً؟

(عاشق نورة): هذا الرجل يخفي أكثر مما يظهر.

نزل الاثنان وحطا بعيدًا عن الراعي، كي لا يلاحظ تشكلهما والذي كان يسير مديراً ظهره لهما.

(تكور) بعد ما لحق بالراعي: انتظر أيها الراعي .

(الراعي) وهو يدير وجهه: ألم ننته يا شيطان؟

(تكور) بقلق وتعجب: ماذا؟

(عاشق نورة): ماذا؟ .. ماذا يقول لك؟

(تكور) بالعربية: إنه يعرف بأننا شياطين.

(عاشق نورة) وهو ينظر إلى الراعي بعبوسٍ: كنت أعرف أنه ليس كما كان يدعي.

(الراعي): لماذا تبحثون عن كاهن النهر؟

(تكور): هل كان يلقب بكاهن النهر؟

(الراعي): ...

(تكور): ما بك تكلم؟

(الراعي) وهو يحدق بـ (عاشق نورة):

هذا الشيطان أتى من «جزيرة العرب» بحثًاً عن كاهن النهر أليس كذلك؟

(تكور): لا هو يبحث عن شيء من علمه.

(عاشق نورة): ماذا يقول؟

أخبر (تكور) (عاشق نورة) عن الحوار الذي دار بينهما.

(الراعي): أي علمٍ يبحث عنه؟

(تكور): ومن أنت كي تسألنا؟

(الراعي) بالعربية: كي لا تضيعا وقتي ووقتكما ... أفصحا عمّا تسعيان إليه.

(عاشق نورة): أنت تتحدث العربية إذاً؟

(الراعي): ونتحدث بكل لسان على هذه الأرض.

(تكور) باستغراب: أنتم؟ .. عمّن تتحدث؟

(الراعي) مبتسماً: عن شعبي .

(عاشق نورة): من أنتم تحديدًا؟

(الراعي) مبتسماً: نحن خلق مثلكم .

(عاشق نورة) بعبوسٍ: من أين أتيتم؟

(الراعي) يشير بأصبعه إلى السماء مبتسماً .

(تكور): ملائكة؟

(الراعي) وهو يضحك:

لا،لا، لسنا ملائكة ... كما أخبرتك، نحن خلق مثلكم، لكننا لا نشارككم هذه الأرض

(عاشق نورة) يحدق بالراعي باستغراب ..

(تكور): ولماذا أتيتم هنا؟

(الراعي): نحن نزور الأرض من وقت لآخر لأغراض محددة.

(عاشق نورة) بعبوسٍ: وماهي تلك الأغراض المحددة؟

(الراعي) مبتسماً:

هذا ليس موضوعنا ... أخبراني الآن ما هو هدفكما من البحث عن كاهن النهر؟

شرح (تكور) للراعي هدفهما ورغبتهما في السيطرة على (شيطان الهرم) وأنهما سمعا أن كاهن النهر كان موكلًا بتلك المهمة، وأنه من الممكن أن يكون قد وجد طريقة لتسخيره .

(الراعي) وهو يبتسم: نعم .. كاهن النهر كان يملك علماً كبيرًا وكنا نتابعه لفترة طويلة للاستفادة منه، وكنا حوله عندما استطاع صنع تميمة لهذا الغرض، لكنه لم يلحق أن يسلمها إلى الفرعون قبل مقتله .

(تكور): تميمة؟ ... أين هي تلك التميمة؟

(الراعي): تعرف أن لا شيء بلا مقابل أيها الشيطان.

(عاشق نورة) مبتسماً بسخريةٍ:

وما الجديد؟ الطمع لا يعرف جنسًا أوعرقًا ... اطلب ما تريد.

(تكور): ماذا تريد أيها الراعي؟

(الراعي) مبتسماً: نحن نقوم ببعض الأعمال في هذه المنطقة، كما قمنا

سابقاً في مناطق أخرى ونحتاج بعض المساعدة لإتمامها، لأننا وإن كانت قدراتنا عالية فهي محدودة في بعض المجالات.

(عاشق نورة): لماذا تتحدث بالألغاز؟ ... تحدث بوضوح.

(الراعي): تعرفون بالطبع القبور الهرمية التي بناها الفراعنة؟

(تكور): نعم

(الراعي): ما لا تعرفونه هو من بناها أو بالأصح من ساعد في بنائها.

(تكور): من؟

(الراعي): العلم الذي يمكنني تقديمه لك محدودٌ، ولي خطوطٌ لا أستطيع تجاوزها ولكن لنتحدث في أمركما أنتما ... سوف تعملان عندنا لمدة شهرٍ واحدٍ فقط وبعدها سأعطيكما تلك التميمة التي تبحثان عنها في المقابل.

(عاشق نورة): من أنتم؟ وكيف؟ وأين حصلتم على تميمة الكاهن؟

(الراعي): لقد ورثناه بعد مماته .

(تكور): أنا لا أفهم شيئاً .

(الراعي): لا تحاول أن تفهم كل شيء، كي لا تفقد كل شيء.

(عاشق نورة) يحدق بالراعي بريبة .

(تكور): ما المطلوب منا الآن؟

(الراعي) وهو يشير بأصبعه إلى النهر: تحت النهر ستجدان مئاتٍ من الشياطين يعملون على تشييد بنيان مشابه لأهرامات الفراعنة... اعملا معهم لشهرٍ كاملٍ وسوف أعطيكما التميمة في نهاية الشهر كأجرة.

(عاشق نورة): بهذه السهولة؟

(الراعي): لم أقل أن الأمر سيكون سهلًا.

اختفى (الراعي) من أمامهما وتركهما في حيرة ..

(تكور): ما رأيك في كلامه؟

(عاشق نورة): لا أعرف ... هو بالتأكيد ليس ببشر أو بشيطان، لذا لا أستطيع أن أثق في كلامه.

(الشيطان): أنا مدين لك بحياتي، وإذا رغبت مني في مصاحبتك لأسفل النهر سأفعل.

(عاشق نورة) وهو يوجه نظره إلى النهر الخالد:

لنذهب ونرى عما كان يتحدث هذا المخلوق الغريب.

نزل الاثنان تحت الأرض وتوجها إلى المنطقة تحت النهر، وفوجئا بتجويف أرضي احتوى على سلسلة طويلة من الأهرامات امتدت لمسافة طويلة تحت النهر ..

(تكور) وهو يشاهد تلك الأهرامات بتعجب:

لقد عشت في «مصر» سنوات طويلة، ولم أكن أعرف يومًا بأمر هذه الأهرامات ولا أظن أن المصريين أنفسهم يعلمون بها...

(عاشق نورة): المكان خاوٍ ... أين الشياطين التي قال إنها تعمل هنا؟
صوتٌ غريبٌ يتحدث معهم:
أنتما من العمال الجدد ... توجها إلى آخر هرم شمالًا وابدأا في العمل.
(عاشق نورة): من أنت؟
(الصوت): أنت هنا لتعمل لا لتسأل.
(تكور) ينظر لـ (عاشق نورة) بتوتر.
(عاشق نورة): لنذهب ونرى حكاية هذا المكان.
انطلق الاثنان شمالًا تحت النهر ومرّا خلالها بسلسلة الأهرامات الطويلة حتى انتهى بهما المطاف لآخر هرم والذي كان قيد الإنشاء، وشاهدا مئات من الشياطين يعملون في حمل وصف الحجارة لتشييد ذلك الهرم.
وقف الاثنان يحدقان في الشياطين وهي تعمل بصمت، حتى دنا منهم أحدها وقال: وهو يشير بأصبعه إلى مجموعة من الحجارة المنحوتة والمصفوفة أسفل الهرم:
«مهمتكم هي حمل تلك الحجارة وتسليمها لمن يعمل في قمة الهرم ..»
(عاشق نورة): ومتى ينتهي العمل؟
لم يرد الشيطان الذي كان يتحدث معهما وعاد لعمله.
(تكور): هل سنعمل بلا توقف؟
(عاشق نورة) وهو يتوجه إلى الحجارة المصفوفة: لنبدأ الآن، ولنفكر لاحقًا.

استمر الاثنان بالعمل لساعات دون توقف وتحولت الساعات لأيامٍ، وخلال فترة عملهما لم يتحدث معهما أحدٌ وكأنهما غير موجودَين.

(تكور) وهو يحمل حجرًا: ما حكاية هؤلاء الشياطين؟

(عاشق نورة): لا أعرف ... لم أرَ شياطين تعمل بهذه الطريقة من قبل.

(تكور): ماذا تقصد؟

(عاشق نورة): الشياطين بطبعها متمردة ومتذمرة، وما أراه أمامي هو استعبادٌ غريبٌ لها دون ربط أو طلسم .

(تكور): معك حق نحن لا نعمل بالسخرة هكذا.

(عاشق نورة): حتى أنا لا أرَى أحدًا يوجهنا، وكأننا نعرف ما نقوم به.

(تكور): كخلية النحل.

(عاشق نورة): نعم تمامًا.

(تكور) وهو يسلم الحجر لشيطانٍ آخر على القمة:

كم أمضينا في هذا المكان حتى الآن؟

(عاشق نورة) وهو يناوله حجراً آخر: عشرة أيام.

(تكور): لنتمم المدة، لأنه فيما يبدو أننا لن نتوقف للراحة خلالها أبدًا.

بعد إتمام الشهر وخلال عمل الاثنين تحت الأرض ظهر لهم الراعي وقال:

لقد أنجزتما المدة.

(عاشق نورة) وهو يضع الحجر الذي كان يحمله أرضًا: لم أكن أظن أنك ستعود

(الراعي) وهو يبتسم ويخرج جعراناً صخرياً من جيبه:

من يمسك هذا الحجر يسيطر على (ديموس)

(الشيطان): (ديموس) من؟

(الراعي): (شيطان الهرم).

(عاشق نورة) وهو يأخذ الحجر من يد الراعي: هل يمكننا الرحيل الآن؟

(الراعي) موجهًا كلامه لـ (عاشق نورة):

أنت يمكنك الرحيل أما صاحبك سيبقى معنا.

(تكور): ماذا؟.. هل ستحبسني هنا؟

(عاشق نورة) بغضب: لقد أتينا سويًا وسنرحل سويًا نحو «جزيرة العرب»

(الراعي) وهو يبتسم:

(هنان) تنتظرك يا (ملاز) وصحتها تتقهقر لا تضيع الوقت هنا.

(عاشق نورة) وهو ينظر باستغرابٍ وتوترٍ إلى الراعي:

كيف عرفت بهذا الأمر؟

(تكور) موجهًا كلامه لـ (عاشق نورة) بقلق:

هل ستتركني هنا؟ .. بعدما ساعدتك ستتركني بهذه البساطة؟!

(عاشق نورة) وهو يحدق بالجعران الحجري في يده:

لا أستطيع التأخر أكثر من ذلك.

(الراعي) مبتسماً: قرارٌ حكيمٌ أيها الشيطان.

(تكور) وهو يصرخ: هل هذا جزاء معروفي؟!

(عاشق نورة) وهو يرفع نظره عن الجعران الحجري ويحدق بـ (تكور):

من يقدم معروفاً وينتظر الامتنان سينتظر طويلاً .

هم (تكور) بالخروج وهو يصرخ: سوف أخرج من هنا!

الراعي يرفع كفه مبتسماً ويقيد (تكور) في مكانه .

(عاشق نورة) وهو ينظرلـ (تكور) المقيد:

سامحني لكن اهتمامي بك سيتعارض مع هدفي .

(تكور) وهو يصرخ في (عاشق نورة) وهو على الأرض مقيدٌ:

ماذا تقصد؟!

(عاشق نورة):

من يحمل في قلبه شفقة، سيحمل معها وزر الاهتمام.

(الراعي) مبتسماً:

اخرج يا (ملا ز) ... اخرج ولا تعد إلى هذه الأرض مرة أخرى

خرج (عاشق نورة) من المكان وتوجه مباشرة إلى «جزيرة العرب»

ومعه الجعران الحجري.

***





# الجـلاد

(هنان) وهي تحدق بالنار: تركته هكذا يا (عاشق)؟

(ضارم) وهو يبتسم: ما أقسى قلبك أيها الشيطان ..

(عاشق نورة) وهو يحدق في النجوم:

لا مكان للعاطفة عندما يكون لديك هدف ترغب في تحقيقه ..

(هنان): لقد فهمت قصدك الآن.

(ضارم): ...

(هنان): وأنت يا (ضارم)؟

(ضارم): أنا؟ ... ما بي؟

(عاشق نورة): الجن يملكون قصصًا كثيرة.

(هنان): نعم .. أخبرني بإحدى تلك القصص

(ضارم): أنا لم أترك الوادي إلا معك وكل القصص التي أعرفها سمعتها نقلًا عن أبي وأجدادي .

(عاشق نورة) وهو يبتسم: هذا يقلل من مصداقيتها كثيرًا .

(ضارم) بغضبٍ: أبي وأجدادي لا يكذبون!

(هنان) مبتسمة: تجاهله إنه يحاول استفزازك فقط

(ضارم): لا أعرف ماذا تريدان أن تسمعا مني؟

(عاشق نورة) مبتسماً: أخبرنا عن قصة (الجلاد) يقال: إنها من أسرار الجن التي لا يتداولونها كثيرًا حتى أنا لا أعرف عنها الكثير.

(ضارم) بوجه عابس: لَمَ هذه القصة بالذات؟

(هنان) بحماس: أخبرنا يا (ضارم) تبدو قصة شيقة!

(ضارم): بشرط ... أن أختار أنا القصة التي يرويها الشيطان بعدي

(عاشق نورة) ينظر إلى (ضارم) بتعجب ..

(هنان) بحماس: (عاشق) موافق.

(عاشق نورة): أنا لم أوافق على شيء.

(هنان) بخيبة أمل: لماذا؟ ... هل تخاف من شيء؟

(عاشق نورة): أنا لا أخاف من أحد!

(ضارم) بابتسامة خبيثة: وافق إذاً وسأخبركما بقصة (الجلاد).

(عاشق نورة) يحدق بـ (ضارم) بشيء من الغضب ..

(هنان): أرجوك يا (عاشق) وافق.

(عاشق نورة): حسنًا أيها الجني أخبرنا بقصة (الجلاد).

(ضارم) وهو يبتسم: اسمعا إذاً.

الجن شعوبٌ مسالمة، ولا تحمل أطماعاً تتجاوز مناطقها وعلاقتها بالبشر محدودةٌ جدًا، على عكس الشياطين الذين يبحثون دائمًا عن تواصلٍ بشكلٍ أو بأخر مع الإنس، وهذا الأمر معروفٌ عند جميع قاطني العالم الآخر، ومعروف أيضًا عند السحرة، تسخير الجن أمرٌ صعب بالمقارنة مع الشياطين، فنحن لا نطلب مقابلاً للتسخير، وإن فعلنا يكون ذلك تجاوزاً لما نؤمن به، في حدود علاقتنا مع الإنس ولكن من وقت لآخر قد نتجاوز هذه القوانين.

(عاشق نورة) بابتسامة ساخرة: مثل ما تفعله الآن.

(هنان): لا تقاطعه يا (عاشق) ... أكمل يا (ضارم).

(ضارم) وهو يرمق (عاشق نورة) بنظرة:

قبل سنواتٍ طويلةٍ مضت ... قبل ولادتي، وولادة أبي .. خرج أحد أمراء الجن وكان يطالب بسيطرة، وبقوة أكبر لشعوب في هذا العالم، أي عالم الجن ... رغم أنه لم يعد يسمح لنا بالتعمير على هذه الأرض، إلا أنه كان يطالب بانشاء مدينةٍ للجن وتدريجياً مملكة تضم أغلب شعوبنا وقبائلنا.

(هنان): من كان يمنعكم من ذلك؟

(ضارم): حكمنا الأرض سابقًا ولم يعد مسموحًا لنا بذلك ... المنع من السماء

(هنان): السماء؟

(عاشق نورة): نعم ... ونحن الشياطين ندرك ذلك، لكن طموح الجن يتملك بعضاً منهم أحيانًا

(هنان): أليس للجن الأزرق مملكة؟ .. أليس لكم قبائل ومملكات؟

(ضارم): نعم لكن لا يسمح لنا بتعمير أرض أو بتشييد بنيان، لذا تجدين ممالكنا في الجبال، أوفي البحار، أوفي الصحراء المفتوحة... لكن ذلك الأمير الذي خرج يطالب بمدينة معمرة نبنيها على سواعدنا، وهذا الأمر كان محرمًا.

(هنان): وهل بنى تلك المدينة؟

(ضارم): نعم ... بدأ بتشييدها بعدما انضمت إليه مجموعة من الجن من عدة قبائل مختلفة، كانت تشاركه ذلك الطموح في إعادة وجودنا على الأرض كشعوب معمرة.

(عاشق نورة): وأسموا المدينة (تاج الملوك)

(ضارم): نعم، وكان موقعها هنا في الجزيرة، وكان هذا الأمير أو كما عرف لاحقاً بـ (الجلاد) يغزو قبائل الجن التي لم تنضم إليه، ويقبض على شيوخها ويقوم بجلدهم بسوط كبير، حتى ينظموا إليه أو يفارقوا الحياة.

(هنان): يبدو أنه كان مجنونًا

(ضارم): جنونه هذا وسع دائرة المنضمين إليه مما جعله مصدر رعب لبقية الجن، لدرجة أن بعضهم بدأ يتوجه إلى مدينة (تاج الملوك) تطوعًا لينضموا إليه ويساندوا طموحه.

(عاشق نورة): ...

(ضارم): بعد ما كبرت مملكته بدأ (الجلاد) يخطط لغزو مدنٍ يقطنها بشرٌ، وتلك كانت بداية النهاية.

(هنان): ماذا حدث؟

(ضارم): الروايات اختلفت لكن ما هو مؤكد أن جيشًا من نور نزل من السماء وحط في مدينة (تاج الملوك) وخلال دقائق خلت المدينة من الجن بمن فيهم (الجلاد)، ولم يبق سوى سوطه المشهور في قلب المدينة التي بناها.

(هنان): من الذي قضى عليهم ...؟

(عاشق نورة): الكون ليس بمكان فوضوي، وهناك من يدير شؤونه بمشيئته.

(ضارم): لكن الكيفية التي انتهى بها (الجلاد) تبقى رواية غير مؤكدة.

(هنان): وهل المدينة خاوية الآن؟

(ضارم): لا ... سكنها لاحقاً بعض الجن الذين كانوا متعاطفين مع (الجلاد)، لكن من يدخلها منهم لا يمكنه الرحيل ويحبس داخلها ... هذا هو الحكم الذي حكم على تلك المدينة ومن يدخلها.

(هنان): ...

(عاشق نورة): لم أكن أعرف أن جيش النور هو من أباد (الجلاد) .

(ضارم): هذا ما نقل لنا وكما أخبرتكم، الرواية غير مؤكدةٍ ولا يوجد شهودٌ أحياءٌ اليوم لينفوا تلك الرواية أو يثبتوها.

(هنان): وأين السوط؟

(ضارم) باستغرابٍ: تقصدين سوط (الجلاد)؟

(هنان): نعم.

(ضارم): لمَ تسألين؟

(هنان): أريده .

(ضارم) و(عاشق نورة) يضحكان بقوة ..

(هنان) باستغراب: ما بكما؟

(ضارم) وهو يضحك: وماذا ستفعلين به؟

(هنان): أريده وحسب.

(عاشق نورة): ربما ما زال في تلك المدينة.

(ضارم): لا ... بعد مقتل (الجلاد) سرق السوط من المدينة من أحد الإنس الذين وجدوا المدينة بالصدفة.

(هنان): كيف؟

(ضارم): المدينة لا أحد يستطيع إيجادها بسهولة، ففي الغالب يراها المسافرون من الإنس، أومن الجن والشياطين بالصدفة، وإذا دخلوها يحبس الجن ويقتل غيرهم.

(عاشق نورة): سمعت هذا الكلام من قبل.

(هنان): كيف استطاع هذا الإنسي الخروج إذاً ومعه السوط؟

(ضارم): هذا في علم الغيب، لكن ما هو معروفٌ أن السوط لم يبق معه طويلًا.

(هنان): هل سرق منه أيضًا؟

(ضارم): نعم ... بعد ما قتل بصورة بشعة ..

(هنان): من قتله، وسرق السوط؟

(ضارم) وهو يبتسم وينظر لـ (عاشق نورة): اسألي الشيطان.

(هنان) باستغراب وهي تنظر لـ (عاشق نورة) ...

(عاشق نورة) مبتسمًا: نعم سرقه أحد الشياطين.

(هنان): أحضره منه إذاً.

(عاشق نورة) وهو يضحك: لَمَ تعتقدين أن الأمر بهذه السهولة؟

(هنان): أريد ذلك السوط .

(عاشق نورة) وهو يبتسم: ليتني لم أقترح تلك القصة.

(ضارم) وهو يبتسم: هل أخبرها أيضًا أنك تستطيع إحضار السوط لها بسهولة لأن رتبتك العلوية تخولك بذلك؟

(هنان) بعصبية لـ (عاشق نورة): أحضره الآن!

(عاشق نورة) وهو يضحك: يبدو أنها بدأت باستعادة عافيتها.

(ضارم) وهو يبتسم: نعم يبدو كذلك.

(هنان) بغضب: هل تسخران مني؟!

(عاشق نورة) وهو يبتسم: اسمعي ... إذا احتجت السوط يومًا ما سأحضره لك.

(هنان): هل تعدني يا (عاشق)؟

(عاشق نورة): نعم أعدك .

(هنان) تبتسم ...

(ضارم) وهو يبتسم: حان دورك أيها الشيطان.

(عاشق نورة) موجهًا كلامه لـ (هنان): ألم تنعسي؟ ... لقد انتصف الليل.

(هنان) مبتسمة: لا لم أنعس بعد... حان دورك لتحكي لنا قصة من عالمك.

(عاشق نورة) وهو يحيد بنظره عن (ضارم) مبتسماً:

هيا اختر القصة كي ننتهي من هذا الأمر.

(هنان): هل تسمح لي يا (ضارم) بأن أختار أنا القصة؟

(ضارم) مبتسماً: لا بأس.

(عاشق نورة) ينظر إلى (هنان) في انتظار اختيارها .

(هنان) وهي تحدق بـ (عاشق نورة): كيف تعرفت على (نورة) ...؟

(عاشق نورة) وهو يقف بغضب: لا شأن لك!

(ضارم) وهو يبتسم: لقد كان بيننا اتفاق ويجب أن تلتزم به.

(عاشق نورة) وهو يصرخ بقوة في (ضارم) و(هنان):

لا شأن لكما بها!

اختفى (عاشق نورة) بعد صراخه القوي ..

(هنان) بحزن: يبدو أننا أغضبناه ... كان يجب ألا أطلب منه ذلك.

(ضارم): لا عليك ... سيعود.

(هنان): أنا أشعر بالنعاس على أيّة حال.

(ضارم): نامي الآن إذاً وغدًا سنتحدث.

(هنان) وهي تغمض عينيها:

النوم بهذه الطريقة وجسدي مدفون تحت الأرض متعب جدًا.

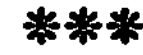
(ضارم) وهو يبتسم:

لكن فيما يبدو أنه مفيدٌ، لقد استعدت معظم عافيتك ... لقد كان مع الشيطان حق.

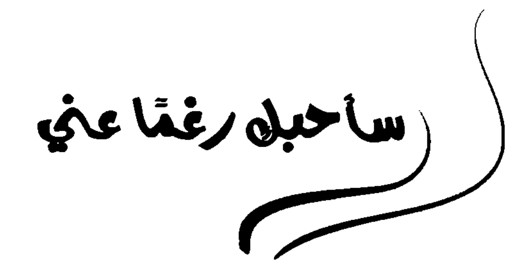
(هنان) وهي مغمضة العينين: هل تظن أنه سيعود؟

(ضارم): وهو ينظر إلى الأفق:

الشياطين المربوطة لا تملك حق الهروب.







# سأحبك رغمًا عني

استيقظت (هنان) قبل الظهر، عندما بدأت حرارة الشمس تعكر صفو منامها وبعدما فتحت عينيها لم تر أحدًا حولها سوى رماد النار أمامها .

(هنان) تلتفت يمينًا وشمالًا، رأت (هنان) عقربًا يقترب من يمينها فجزعت وبدأت بالاستنجاد.

(هنان) بصوت مرتفع:

(ضارم) ... (عاشق) ... أين أنتما؟!

قبل وصول العقرب لرأس (هنان) بلحظات ارتفع عن الأرض وظهر (ضارم) مبتسمًا وهو يقول: لقد كان الأمر وشيكًا.

(هنان) بغضب: أين ذهبت كيف تتركني لوحدي؟!

(ضارم) وهو يجلس أمام (هنان) ويصد شعاع الشمس بظهره عن وجهها:

ذهبت لإحضار بعض الزاد والماء لكِ، كي تتناوليه عندما تستيقظين.

(هنان) بغضب: ألم يخطر ببالك أني سأتعرض لخطر؟



(ضارم) وهو يمد تمرة عند فم (هنان): لم أغب طويلًا.

(هنان) وهي تبعد فمها عن يد (ضارم) بغضب: لا أريد!

(ضارم): يجب أن تتناولي شيئًا.

(هنان) بغضب: لا أريد!

(ضارم) وهو يضع التمرة جانبًا: كما تشائين.

(هنان) بعدما هدأت: هل عاد (عاشق)؟

(ضارم) وهو يمد يده في رماد النار ويتناول جمرة: لا.

(هنان) بوجه حزين: ليتني لم أطلب منه ما طلبت.

(ضارم) وهو يبتسم: لا تقلقي الشياطين لا تملك مشاعر.

(هنان): كيف لا يملك مشاعر وقد وقع في الحب؟

(ضارم): في الغالب حبه لـ (نورة) كان حب جسدٍ ولم يتعد ذلك.

(هنان): لا أعتقد ... لقد كان يبكي بحرقة عندما رأيته في كهف «خور روري»

(ضارم): لم أقل: إن ذلك مستحيل، لكنه نادر ... (عاشق نورة) كان أول من عشق إنسية وحاول الزواج منها، وهذا أمر لم نسمع عنه من قبل ..

(هنان): هذا دليل أنه أحبها بصدق.

(ضارم) وهو يتناول جمرة أخرى: ربما.

(هنان) باستغراب: ماذا تفعل؟

(ضارم): لا شيء .

(هنان): أنت تأكل الجمر!

(ضارم): نعم، وما المشكلة؟

(هنان): لا شيء انس الأمر.

(ضارم) مبتسماً: غدًا سوف تخرجين من هذا القبر.

(هنان) بوجه محبط: أتوق إلى ذلك لقد سئمت من بقائي هنا.

(ضارم): اصبري لم يبق الكثير.

(هنان) وهي ترفع رأسها:

الشمس محرقة حتى مع محاولتك حمايتي بظلك.

(ضارم): مارأيك أن أساعدك على النوم؟

(هنان): كيف؟

(ضارم) وهو يبتسم: أغمضي عينيك فقط .

أغمضت (هنان) عينيها، فوضع (ضارم) يده على رأسها لتغط في نوم عميق ...!

استيقظت ليلًا لتجد أمامها نارًا تشتعل و(ضارم) جالسًا يحدق في النجوم.

(هنان): جسدي يؤلمني.

(ضارم): استيقظت أخيرًا.

(هنان): ماذا فعلت بي؟

(ضارم) وهو يبتسم: إغماءة بسيطة تسببت بها، كي ينطوي عليك الوقت.

(هنان) بوجهٍ عابسٍ:

لَم لم تستخدمها بالأمس لتوفر علينا رواية تلك القصص التي أغضبت (عاشقاً).

(ضارم) وهو يبتسم: لم يخطر هذا الشيء ببالي.

(هنان): دائمًا ما أفترض أنكما ذكيان... لا أعرف لماذا ...؟

(ضارم) وهو يضحك: هل تقصدين أننا حمقى؟

(هنان): لا .. لكنكما تفكران بطريقة مختلفة.

(ضارم): معكِ حق في ذلك.

(هنان): هل انتصف الليل؟

(ضارم): لم يبق الكثير على انتصافه؟

(هنان): (عاشق) لم يعد، أليس كذلك؟

(ضارم) وهو يرفع رأسه ويحدق في النجوم: لا

(هنان) وهي ترفع رأسها وتحدق في النجوم مع (ضارم): هل تفتقدها...؟

(ضارم) وهو ما زال محدقًا في النجوم: من تقصدين؟

(هنان): تعرف من أقصد.

(ضارم) ينزل رأسه ..

(هنان): هل ستغضب أنت أيضًا؟

(ضارم) وهو يبتسم بحزن: لا .

(هنان): ...

(ضارم) وهو يرفع رأسه ويحدق أمامه:

كانت (خود) أجمل شيء حدث لي ..

(هنان): ...

(ضارم): عندما استقر أبوها في الوادي لرعي الغنم، كانت مجرد فتاة صغيرة لم تتجاوز الخامسة ... كانت تلعب مع الخراف بشغف وكنت أراقبها دائمًا ... وقتها أبي كان ما يزال شيخ القبيلة، وكان ينهاني عن الاقتراب من البشر، لكني لم أكن أنصت له.

(هنان): لماذا؟

(ضارم): لماذا كان ينهاني؟

(هنان): لا ... لماذا لم تنصت إليه؟

(ضارم): أحببت روحها المفعمة ... راقبتها لسنوات ولم أتحدث معها قط ... لم أتحدث معها إلا عندما أتمت سنتها التاسعة تقريبًا.

(هنان): ولماذا تحدثت معها بعد كل تلك السنوات من التردد؟

(ضارم): تعرضت لخطر ... كان أبوها عند الواحة مع الأغنام، ووقتها كانت أمها ما تزال على قيد الحياة، وكانت (خود) لا تخرج إلى الواحة للرعي وتبقى في الخيمة معها.

(هنان): ما الخطر الذي تعرضت له؟

(ضارم): هجم عليهم قطاع طرقٍ ... دخل خيمتهم مجموعة من الرجال وبدأت (خود) وأمها بالصراخ طالبين النجدة ... كنت في صراعٍ مع نفسي بين أوامر أبي وحبي لـ (خود) ..

(هنان): وماذا فعلت ...؟

(ضارم): مزقت الرجال في ثوانٍ، لكن ترددي تسبب في مقتل أمها، وهذا الأمر أنا نادمٌ عليه إلى هذا اليوم .

(هنان): ...

(ضارم): كانت (خود) تبكي بحرقة عند جسد أمها البارد، ولم تلحظ ما فعلته بالرجال. تشكلت كبشرٍ واقتربت منها كي أطمئنها، لكنها فزعت عندما رأتني.

(هنان): كيف علمت أنك من الجن؟

(ضارم): فزعت لأنها ظنت أني أحد قطاع الطرق.

(هنان): وماذا فعلت؟

(ضارم): خرجت مسرعًا وكنت سأرحل عنها إلى الأبد، لكنّ بكاءها استوقفني.

(هنان): ...

(ضارم): قررت العودة إليها، لكن هذه المرة تشكلت بشيء محبب لها.

(هنان) وهي تبتسم: كخروف.

(ضارم) وهو يبتسم: نعم ... كانت تخاف من بني جنسها، ولم تخف من خروف يتكلم.

(هنان) وهي تدمع مبتسمة: تلك هي (خود) التي كنت أعرفها.

(ضارم): ومنذ ذلك الوقت ونحن لا نفترق.

(هنان): ألم يمانع أبوك؟

(ضارم): بل عاقبني بالنفي من القبيلة .

(هنان): ...

(ضارم): لم أكن مستاءَ لأني قضيت سنوات النفي مع (خود) كجزء من قطيع أبيها، ومع مرور الوقت لحق بي بعض أصحابي الأوفياء وتعلقوا بها أيضًا.

(هنان): ومتى عدت إلى قبيلتك ...؟

(ضارم): فارق أبي الحياة بعد سنوات قليلة من نفيي، وبذلك أصبحت شيخ القبيلة

(هنان): ألم يعترض أفراد قبيلتك على علاقتك بـ خود)؟

(ضارم) وهو يبتسم: جن الوادي بسطاء، ولم يكن هذا الامر مؤرقاً لهم، واتباع شيخهم من الأمور الأساسية التي نشؤواعليها.

(هنان): ...

(ضارم): كنا سعداء حتى مررتم بالوادي وأخذتم (خود) معكم.

(هنان): أنت من تخلى عنها يا (ضارم) .

(ضارم): لقد أنقذت حياتها بتركها ترحل معكم.

(هنان): كيف؟

(ضارم): بعدما ذبح أبوها أربعة من أخوتنا... لم يكتفوا بقتله، وكانوا يطالبون بدمها أيضًا.

(هنان): لكنك شيخهم وتستطيع منعهم.

(ضارم): لم أكن أستطيع وقتها خاصة مع غضبهم

(هنان): ولماذا لم تقتلوها في نفس الليلة؟

(ضارم): كنت أحاول تأجيل الأمر قدر المستطاع، لكن في نهاية الأمر كانت ستلحق بأبيها لو لم ترحل، ولم تكن ترغب بالرحيل، دون أن أطردها بنفسي.

(هنان): ...

(ضارم): ثم إن حياتها كانت ستكون شاقة جدًا بلا أبيها .

(هنان): قلبك يحمل ثقلًا كبيرًا ياشيخ الجن .

(ضارم): ...

(هنان): هل كان من السهل خروجك من الوادي معي، وهجر قبيلتك بهذا الشكل؟

(ضارم): لم ألحق بك حتى سلمت زمام القبيلة إلى غيري.

(هنان): مؤقتًا حتى تعود بالطبع.

(ضارم) وهو يبتسم: التخلي عن القبيلة لا رجعة فيه ... لم أعد شيخًا لتلك القبيلة عندما قررت الرحيل معك .

(هنان): هل تخليت عن حياتك لتأتي معي؟

(ضارم): حياتي الفائتة كانت هبة منها، وما تبقى سيكون فداءً لها .

(هنان) تدمع ...

(عاشق نورة): لم أكن أعلم أنك مرهفٌ لهذا الحد يا شيخ الجن.

(هنان) وهي تبتسم: ... (عاشق)؟

(ضارم) وهو يمسح دموعه: ما سبب عودتك أيها الشيطان الأحمق؟

(عاشق نورة) يجلس مبتسمًا بجانب (ضارم).

(هنان) وهي تحاول الابتسام رغم دموعها:

أعتذر يا (عاشق) عمّا قلته بالأمس ... انس الأمر، لكن لا تغضب.

(عاشق نورة):

أنسى؟ .. كيف أنسى؟ .. قد ننسى المشاعر، لكننا لا ننسى من أهداها لنا أبدًا.

(هنان): ...

(ضارم): ...

(عاشق نورة) وهو يبتسم: لا أعرف لماذا؟ لكنني سأحكي لكم عنها .

(هنان): عمّنْ؟

(عاشق نورة): عن التي كان الفراغ في قلبي بعدها أكبر بكثير من الفراغ الذي كان فيه قبلها.

(ضارم): ...

(هنان): ...

(عاشق نورة): أنا أنحدر من قبيلةٍ عريقةٍ ... وكما هو الحال مع تلك القبائل، فإن كل ما تقوم به يرتد على قبيلتك ويؤثر عليها وعلى مكانتها ... ولا يوجد أبشع في نظر تلك القبائل من عشق الإنس ... كان عشقهم صفة سفلية يترفعون عنها، وأنا كنت مؤمناً بذلك ولم أظن يومًا أني سأكون أسيرًا لهذا النوع من العشق ... يسمح لنا بعشق الأجساد، لكنّ القلوب محرمة ... لم أعشق قبلها لا جسدًا ولا قلبًا ... لم يكن هذا شيئًا يخطر ببالي ... كنت مشغولًا بالصراعات بين قبيلتنا وباقي القبائل كان المجد نصب عيني، ولم أنتبه لما كان يتربص بقلبي .

(هنان): ومتى انتبهت؟

(عاشق نورة) وهو يبتسم: منذ أن رأيتها ... كنت قتيلها قبل أن أدرك ... كانت تخرج من خيمتها كل يومٍ لتتجول ... رأيتها صدفة ... انتفضت ... شلت حركتي وكأن طلاسم الدنيا قد قرئت على رأسي ... بلا شعورٍ تشكلت كبشرٍ وأنا كنت وقتها أمقت ذلك، لكن

حاجتي للاقتراب منها دفعتني لتحطيم السائد وتمزيق المألوف، وكسر العادات وتهشيم التقاليد.

(ضارم): ...

(هنان): هل أحببتها يا (عاشق)؟

(عاشق نورة): أنا لم أحبها بل عشقتها.

(ضارم): لا أحد يأخذ العبرة من أفواه العاشقين، مع أنهم أكبر المجانين .

(هنان): هل تحدثت معها يا (عاشق)؟

(عاشق نورة) وهو سارح في الأفق:

لم أستطع في البداية ... بقيت أحدق بها وبعينيها حتى ابتسمت وخرجت عن صمتها وقالت: من أنت؟

استغربت عدم جزعها من رؤيتي... استنكرت تلك الطمأنينه التي سألتني بها لم أرد سوى بابتسامة، وألف سؤال في عيني ... بادلتني الابتسام ورحلت، رحلت وتركتني أغرق لوحدي ... أصبحت أترقب خروجها كل يومٍ وألحق بها حتى تبتعد عن مضارب قبيلتها لأظهر لها... وأتمعن في جمالها ... لم تكن تمانع وجودي وتطفلي بالرغم من صمتي ... كانت تجلس، وأجلس أمامها بصمت، تبتسم وتحدق بي تارة، وبالأفق تارة.

(هنان): ومتى تحدثت معها أول مرة؟

(عاشق نورة) وهو يحدق في الأفق:

في اليوم السادس ... وهي جالسة تعبث بالرمال ... أخبرتها بأني أعشقها. ضحكت، فابتسمت ... سألتني: منذ متى هذا العشق أيها الغريب؟ أجبتها: همي الآن هو إلى متى؟ ضحكتْ ونهضت ورحلت ... رحلت وهي تقول:

أتمنى أن أراك غدًا أيها العاشق .

(عاشق نورة) وهو يحدق بـ (نورة) وهي تنطلق عائدةً:

حبكِ ذنبٌ لا أخشي عاقبته.

لم تعد (نورة) في اليوم التالي وبقي عاشقها جالسًا متشكلًا في انتظارها حتى تمكن منه القلق، وبدأ يلوم نفسه لأنه اعترف بحبه لها، ويتحدث مع نفسه بصوت مسموع:

طلباتي دائمًا تنفذ مهما كانت صعوبتها وغرابتها، لكن أحلامي لا تتحقق مهما كانت حدودها، وكان غباؤها.

(نورة) من خلفه وهي تبتسم: وما هي أحلامك أيها الغريب؟

(عاشق نورة) وهو ينهض بسرعةٍ والسعادة تغمره: أن أكون معك مدى حياتي .

(نورة) وهي تبتسم: أنا حتى لا أعرف اسمك .

(عاشق نورة) وهو يبتسم: (ملاز).

(نورة) وهي تبتسم وعلى وجهها نظرة استغراب:

اسمك غريبٌ ... لكنه جميلٌ ..

توتر (ملا ز) عندما أدرك أنه أخبرها باسمه الحقيقي، والذي لم يكن مألوفاً في عالم الإنس، لكن تقبل (نورة) له طمأنه وأبعد القلق عن باله.

(نورة) وهي تجلس: من أيّة قبيلة أنت يا (ملا ز)؟

(ملاز) وهو يجلس بجانب (نورة): قبيلة تسفك الدم وتفخر بذلك.

(نورة) وهي تضحك:

وما الجديد؟ هذا شيء مألوف في معظم القبائل ... أخبرني شيئًا مختلفاً.

(ملاز) يبتسم بصمت.

(نورة): ماذا فعلت بعد رحيلي بالأمس؟ ... هل نسيتني؟

(ملا ز): تقبلت فكرة رحيلك، لكن نسيانك فكرةٌ لم أجد لها في قلبي قبولاً .

(نورة) وهي تضحك: كلامك غريب ... هل أنت شاعر؟

(ملا ز) يبتسم ...

(نورة) وهي تبتسم: لماذا... أجبني؟

(ملا ز): تصدقينني لو أخبرتك بأني لا أعرف السبب .

(نورة): وما هي نهاية هذا الحب؟

(ملاز): حبك سينتهي بنهايتي .

(نورة) وهي تضع يدها على رأس (ملا ز) بوجهٍ حزينٍ:

لا تقل ذلك أرجوك.

(ملا ز): أخشى ألاّ أكون أهلًا لحبك ... حياتي الماضية مليئة بالزلل.

(نورة): عيوبي تفوق زلاتك.

(ملا ز): عيوبك التي لن أراها بعينيي، سأحبها أكثر من حسنك وحسناتك.

(نورة): من يقبل عيوبك يستحق منك التغاضي عن زلاته ..

استمر الاثنان بالالتقاء خارج مضارب القبيلة ولم تسأل (نورة) (ملا ز) كثيرًا عن قبيلته وأهله، لأنها كلما فعلت تهرب منها ولم يعطها إجابة مباشرة، فقررت عدم سؤاله، بعد عدة أشهر من اللقاءات وفي أحد الأيام وقبل رحيل (نورة) نهاية اليوم:

(نورة) مبتسمة: العنب الذي أحضرته لي اليوم كان لذيذاً..

(ملا ز): كنت أعرف أنه سيعجبك.

(نورة): من أين أتيت به؟ ... لا يوجد مزارع للعنب قريبة من هنا.

(ملا ز) وهو يبتسم: سأخبرك غدًا.

(نورة) بوجهٍ حزينٍ: قد لا أستطيع الحضور غدًا يا (ملا ز) .

(ملا ز) مبتسمًا: سأنتظرك بعد الغد ..

(نورة) بحزنٍ: لا أظنني أستطيع الخروج والابتعاد عن مضارب القبيلة بعد اليوم.

(ملا ز): لماذا؟

(نورة): نشب خلافٌ بالأمس مع أحد شيوخ القبيلة مع قبيلة أخرى، وعندما يحدث ذلك تكون النساء اللواتي يبتعدن عن أرض القبيلة عرضة للخطر من هجمات القبيلة المعادية، لأن المعاهدات تنقض ويصبح الدم مباحاً بين القبيلتين.

(ملا ز) وهو مبتسم: سأنتظرك حتى ينتهي الخلاف.

(نورة): هل تمزح معي يا (ملا ز) صراع القبائل يمتد لسنواتٍ ويتوارث من جيلٍ إلى جيل، والصلح غالبًا بعيد المنال حتى يبيد أحدهم الآخر.

(ملا ز) وهو يبتسم: أعرف ... نفس الحال عندنا.

(نورة) باستغراب: عندكم؟

(ملا ز) بتوتر: أقصد في قبيلتنا.

(نورة) بوجهٍ حزينٍ: إذاً... فأنت تفهم قصدي.

(ملا ز) وهو يعانق (نورة): اذهبي وعودي عندما ينتهي الخلاف، وسأكون في انتظارك.

(نورة) باستغرابٍ وبشيءٍ من الغضب: وكأنك سعيد بهذا الامر.

(ملا ز) وهو يحدق بـ(نورة) مبتسماً: اغفري لي.

(نورة) بغضبٍ وهي راحلة: لا أريد منك شيئًا.

(ملا ز) وهو يحدق بـ(نورة) وهي تبتعد:

اغفري لي ما سأفعله باسم حبك.

في اليوم التالي عادت (نورة) ووجدت (ملا ز) جالسًا كعادته يحدق في الأفق.

(نورة) تجلس بجانب (ملا ز) بصمت.

(ملا ز): ...

(نورة) وهي تحدق في الافق والرياح تعبث بشعرها: لقد انتهت المشكلة.

(ملا ز): ...

(نورة): لقد أبيدت القبيلة المعادية لنا بالكامل .

(ملا ز) يحدق في الأفق مبتسماً .

(نورة): هل أنت من فعل ذلك يا (ملا ز)؟

(ملاز): وسأفعل أكثر لكل من يقف بيني وبينك.

(نورة) وهي تقف بغضبٍ: هل أرسلت قبيلتك لقتلهم؟!

(ملا ز) وهو ما يزال جالسًا: لِمَ أنتِ غاضبة؟

(نورة) بعصبيةٍ وبصوتٍ مرتفعٍ: ما الذي فعلته؟!

(ملا ز) وهو يقف وبغضب وبصوتٍ مرتفعٍ: لقد أبدتهم جميعًا!

(نورة) وعلى وجهها نظرة رعبٍ: ... من أنت؟

(ملا ز) ينزل رأسه للأرض.

(نورة) تسير مبتعدة.

(ملا ز) وهو يمسك بذراعها: إلى أين؟

(نورة) وهي تتفلت من قبضة (ملا ز):

لن يرضيني شيءٌ... إلا أن أعرف من أنت؟ ومن أيّة قبيلة تنحدر؟

(ملا ز) وهو يحدق بـ (نورة):

أنا (ملا ز بن قيطر الهاجي) ابنٌ لأحد أكبر شيوخ قبيلة (القنهان).

(نورة) باستغراب: لم أسمع بهذه القبيلة من قبل.

(ملا ز): لأني شيطان... ولست من الإنس.

(نورة) وصدمة كبيرة على وجهها: ما ... ماذا؟

(ملا ز) يحدق بـ (نورة).

(نورة) بغضب: ألهذه الدرجة تريد التخلص مني؟ .. تختلق كذبة غبية كهذه كي أتركك ... لا تتعب نفسك أنا راحلة ...

أدارت (نورة) ظهرها لـ (ملاز) وهمت بالرحيل، لكنها وبعد خطوتها الأولى وجدت نفسها في كبد السما و(ملا ز) ممسك بها وهو يقول:

هل تصدقينني الآن؟

فقدت (نورة) الوعي بعدما أطلقت صرخة مدوية .

استيقظت (نورة) بعد غياب الشمس بقليل، ووجدت نفسها في خيمتها وعلى فراشها، وأمها وأبوها بجانبها، وعلى وجه كل منهما كان القلق باديًا ومتجليًا:

(أبو نورة): هل أنتِ بخير يابنتي؟

(أم نورة): ما بك يابنتي؟ ... هل تشعرين بألم؟

(نورة) وهي تضع يدها على رأسها: ما الذي حدث؟

(أبو نورة) بقلقٍ:

لقد وجدناك في فراشك، وكنت تصرخين، وحاولنا إيقاظك، لكنك لم تستيقظي.

(نورة): أنا بخير يا أبي لا تقلق.

(أم نورة): كيف لا نقلق؟! ... ما بك أخبرينا؟

(نورة) وهي تبتسم: لا شيء يا أمي مجرد تعبٍ بسيطٍ .

(أبو نورة): هيا يا (أم نورة) لنخرج ونتركها لترتاح.

خرج (أبو نورة) مع أمها وتركاها لوحدها في الخيمة... لم تستطع (نورة) العودة إلى النوم تلك الليلة، وبقيت تفكر وتتساءل عمّا إذا كان ما حدث معها حقيقة أو كان خيالاً، أو مجرد كابوسٍ تعرضت له .

في أول الصباح خرجت (نورة) على عجالة، وتوجهت إلى المكان الذي اعتادت لقاء (ملاز) فيه، لكنها لم تجده، ولم تر له أثراً... انتظرت وطال انتظارها حتى غابت الشمس، وعادت في اليوم التالي، ولم تجده أيضًا ومع ذلك انتظرته حتى غابت الشمس... استمرت (نورة) في

الذهاب يوميًا إلى نفس المكان والانتظار حتى مغيب الشمس، مما أثار قلق أهلها خاصة، وأنها لم تعد تأكل وتشرب إلا عندما تطعمها أمها عنوة.

(أم نورة): ما بك يابنتي .. ما الذي غير حالك؟

(نورة) وهي مستلقية على فراشها ...

(أم نورة) وهي تنهض بحزنٍ: حاولي النوم يابنتي.

خرجت (أم نورة) من الخيمة.

(نورة) وهي تناجي (ملا ز):

لم يزدني غيابك إلا حبًا ولم تهجرني معك إلا ابتسامتي.

والدها يدخل الخيمة ويجلس بجانب فراشها.

(أبو نورة): لدي خبرٌ سيسعدك يابنتي.

(نورة) مستلقية وتحدق إلى الأعلى.

(أبو نورة) مبتسماً بحزنٍ: لقد طلبك ابن عمك للزواج، وأنا وافقت.

(نورة): قرابة الدماء لا تعني قرابة الأرواح.

(أبو نورة) بغضبٍ:

ما هذا الكلام الفارغ؟ ... زواجك من ابن عمك سيكون خلال أيام!

خرج (أبو نورة) من الخيمة غاضبًا، وتركها لوحدها في فراشها.

بعد أيام وقبل موعد الزفاف دخلت (أم نورة) على زوجها وقالت:

ابنتك ليست مستعدة للزواج يا (أبا نورة) .

(أبو نورة) بغضبٍ: لا يهم! ... زفافها غدًا على ابن عمها!

(أم نورة) بقلق: البنت لا تأكل ولا تشرب ولا تتحرك من فراشها، كيف ستتزوج إنها بحاجة لحكيم وليس لزوج .

(أبو نورة) وهو يصرخ في زوجته:

لا تتدخلي ... لقد حسم الأمر، وابن عمها سيتزوجها غدًا... شاءت أم أبت!

دخل عم (نورة) خلال صراخه، وعلى وجهه علامات الحزن وقال:

لن نستطيع إتمام الزفاف يا أخي .

(أبو نورة) وهو يلتفت إلى أخيه بقلق: ما بك يا أخي؟ ماذا حدث؟

(عم نورة) وقد بدأ بالبكاء: ابني أصيب بمرض يمنعه من الحركة، ومن الكلام

(أبو نورة) بتعجب: ماذا؟ .. ما الذي أصابه؟!

(عم نورة) وهو يبكي: لا نعرف ... وجدناه متسمرًا في فراشه هذا الصباح ولا يستطيع الحركة، أو الحديث.

(أبو نورة) وهو مصدوم: ...

خرج (عم نورة) من الخيمة وترك (أبو نورة) واقفاً وأمها تقول:

شاءت الأقدار ألاّ يتم زواجها.

(أبو نورة) بغضبٍ: اخرسي!

مضت الأيام والأسابيع ولم يتغير حال (نورة) أو حال ابن عمها، وكانت أمها تبكي بجانبها وهي تحاول جاهدة إطعامها.

(أم نورة) بحزن: كلي يابنتي .. جسدك بدأ بالفناء .

(نورة) وهي جالسة وتحدق بفتحة الخيمة وتتمتم:

لم أستخدم عقلي عندما أحببتك، لكني أرهقته تفكيرًا لأنساك.

(أم نورة): من؟ من هذا الذي تحبينه؟ ... هل هو سبب الحالة التي أنتِ عليها؟!

(نورة): ...

(أم نورة) وهي تصفع ابنتها وبصوت مرتفع: أجيبيني!

(نورة) وهي تحدق بمدخل الخيمة:

لا بأس بالألم الذي يأتي بك.

نهضت (أم نورة) وخرجت من الخيمة وهي غاضبة وتقول: لقد فقدت عقلك.

(نورة): ...

بعد أقل من ساعة خرجت (نورة) ليلًا من خيمتها، وتوجهت سيرًا نحو قمة صخرية كانت قريبة من تلك المنطقة، وصعدت عليها وبدأت تنظر إلى الأسفل والرياح الباردة تضرب جسدها:

قربك كان بعدًا عن الواقع، وبعدك كان إصطداماً بأرضه القاسية .

قفزت (نورة) من ذلك الارتفاع الشاهق، وخلال سقوطها التقطها (ملا ز) وحلق بها في السماء .

(نورة) وهي تحدق بـ (ملا ز) مبتسمة:

لم أعتقد أنني من على قمة اليأس، سأسقط بين أحضانك .

(ملاز) يحدق بعيني (نورة) مبتسماً.

(نورة) وهي تعانق (ملا ز) وتدمع: أريد معانقتك حتى يتحدث قلبي مع قلبك.

(ملا ز): ...

(نورة): سأعانقك حتى أصاب بمس لا أرجو منه شفاء.

بدأ (ملا ز) بالعودة نحو مضارب قبيلة (سحيان).

(نورة) بقلق: إلى أين تأخذني؟

(ملا ز): إلى قبيلتك.

(نورة) وهي تعانق (ملا ز) بقوة: لا أريد العودة ... لن أتحمل فقدًا آخر ... أخاف الفقد.

(ملا ز): يجب أن تعودي قبل أن يفتقدك أحدٌ .

(نورة) وهي تعانق (ملا ز) بقوةٍ وتبكي:

إذا كنت عازمًا على خنقي فاجعلها بعناق أخير .

(ملا ز): سأرحل إذاً عن هذه الأرض بلا عودةٍ وسآخذكِ معي.

(نورة) وهي سارحة: العار سيلحق بأبي .

(ملا ز): هل يهمك رضاه؟

(نورة): لا أستطيع .

(ملاز) ينزل على الأرض .

(نورة) وظهرها لـ (ملا ز): قليلك لم يعد يكفيني .

(ملا ز): هل تخشين المجهول؟

(نورة): أنا لا أخشى المجهول بقدر خشيتي مما أنا متيقنة منه ... وهو أن العار سيلحق بأبي وأخوتي.



(ملا ز): هل راحتك في رحيلي؟

(نورة) وهي تحدق في الأفق: هل ترغب في الرحيل يا (ملا ز)؟

(ملا ز): حبكِ ليس مرهونًا ببقائك، لكن بقائي مرهون بحبك.

(نورة) وهي تنظر إلى مضارب قبيلتها عن بعد: وهل تشك بحبي لك؟

(ملا ز) بوجهٍ حزينٍ: ...

(نورة): هل يتزوج الشياطين من الإنس؟

(ملا ز): الزواج من الإنس نهاية أي شيطانٍ، هل تقبلين أنتِ الزواج من شيطان؟

(نورة) وهي تغمض عينيها وتبتسم:

بقدر حبي لك أقبل ... إلا أن خوفي عليك أكثر.

(ملا ز) وهو يضمها: سأتنازل عن كل شيءٍ إلا أنتِ .

(نورة) وهي تبتسم وتدمع: وحاجتي لك ستغنيني عن الناس .

(ملا ز) يبتسم ... (نورة) ترفع يدها وتضعها خلف رأس (ملا ز) وتبتسم:

أبي سيكون مجتمعًا غدًا مع شيوخ القبيلة وكبار القوم .

(ملاز) وهو يضمها بقوةٍ (نورة): سأذهب إليه، ولن أخرج إلا بموافقته على تزويجنا.

(هنان): ...

(ضارم) ...

(عاشق نورة) وهو يقف ويمسح دمعة نزلت من إحدى عينيه:

لقد أشرقت الشمس ويمكننا إخراجك من الحفرة الآن ... هيا يا (ضارم) لنخرجها.

(ضارم) وهو يبتسم: هذه أول مرة تناديني باسمي .

(عاشق نورة) وهو يحفر: وستكون آخر مرة ... هيا ساعدني .

خرجت (هنان) من الحفرَة وبمجرد خروجها اندفعت نحو (عاشق نورة) وهي تشد (ضارم) وعانقتهما .

(ضارم) وهو يوجه كلامه لـ (عاشق نورة) مبتسماً:

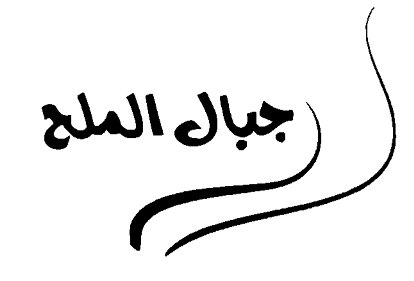
هل يمكننا التوجه إلى «هجر» الآن ...؟

(هنان) وهي تعانقهما: ...

(عاشق نورة): نعم ... يمكننا الذهاب الآن .

***





# جبال الملح

ركبت (مهرناز) القافلة المتوجهة إلى «دزدآب» بعدما ودعت (نازنين) بحزنٍ شديدٍ، وسارت مع تلك القافلة حتى وصلت إلى حدود بلاد «السند»، توقفت القافلة وبدأ الناس يتفرقون بين متوجه للقرية، وبين من خرج من حدودها مشيًا على أقدامه... وقفت (مهرناز) في حيرة من أمرها حتى دنا منها من كان يقود القافلة وقال:

أين هي وجهتك؟

(مهرناز): جبال الملح في بلاد «السند»

(قائد القافلة): وجهتك بعيدة جدًا ... شمال شرق هذا المكان بمسافةٍ طويلةٍ

(مهرناز) بوجه محبط: لا أعرف كيف أصل إليها؟

(قائد القافلة): هل هناك من ينتظرك هناك؟

(مهرناز): أعتقد

(قائد القافلة): هل تملكين مالاً؟

(مهرناز) وهي تنزل رأسها: لا

(قائد القافلة) وهو يبتسم: الفقر ليس عيبًا.

(مهرناز) وهي ترفع رأسها وتحدق بقائد القافلة:

الفقر قد لا يكون عيبًا، لكنه بالتأكيد ليس مصدرًا للفخر.

(قائد القافلة) وهو ينظر لـ (مهرناز) مبتسمًا: معكِ حق

(مهرناز): هل تستطيع مساعدتي للوصول إلى وجهتي؟

(قائد القافلة): ليس أمامك سوى العمل، حتى تجمعي المال الكافي لركوب أول قافلةٍ متوجهةٍ إلى «لوة بور» ومن هناك تتوجهين شمالًا إلى «جبال الملح»

(مهرناز): أنا لا أعرف شيئًا عن تلك البلاد.

(قائد القافلة): لَم تذهبين إليها إذاً؟

(مهرناز) بوجه محبط: خالتي وهبتني لشخصٍ هناك.

(قائد القافلة): هل أنتِ مملوكة؟

(مهرناز): لا، لا، أنا حرة.

(قائد القافلة): احذري فتجارة الرقيق مزدهرةٌ في هذه المنطقة ... لا تخبري أحدًا بما أخبرتني إياه.

(مهرناز) بتوتر وهي تهم بالرحيل: حسنًا ... شكرًا على أيّة حال.

(قائد القافلة): إلى أين؟

(مهرناز): سأبحث عن عمل

(قائد القافلة) وهو يبتسم: أنتِ من «قشابي» أليس كذلك؟

(مهرناز) بتعجب: كيف عرفت؟

(قائد القافلة وهو يبتسم): لكنتكم مميزة وأعرفها جيدًا، ابقي معي وسأجد لكِ عملًا.

(مهرناز): شكرًا ياخال .

(قائد القافلة): ناديني بـ (قهرمان)

(مهرناز): حاضر ياخال.

(قهرمان) يضحك وهو يربط دوابه.

بقيت (مهرناز) مع (قهرمان) عدة أيامٍ حتى وجد لها عملًا في قرية «دزدآب» كمساعدةٍ لأحد المزارعين، الذين كانوا يعملون في الزراعة بالاعتماد على ماء البئر الوحيد في تلك المنطقة... كان هذا البئر هو مصدر جذب القوافل المارة بتلك القرية، وهو ما جعل منها ممرًا تجاريًا يزدهر يومًا بعد يوم.

كان المزارعون هناك يحضرون الماء بشكل يومي من البئر، لأنه في ذلك الوقت لم تكن هناك قنوات محفورة تسهل نقل المياه لمزارعهم... اقتصر عمل (مهرناز) على التوجه إلى البئر يوميًا ذهابًا وإيابًا عدة مرات لإحضار الماء للمزارع، وكان يحاسبها بلقمتها ومكان نومها فقط . ووعدها بالمال عند بيعه للمحصول، العمل كان شاقًا جدًا على



(مهرناز) لأنها كانت تقطع المسافة بين البئر والمزرعة أكثر من مرةٍ حتى نهاية اليوم، لكنها تحملت وبقيت مع ذلك المزارع عدة أشهرٍ في انتظار بيعه لمحصوله وحصولها على المال الكافي لركوب القافلة المتوجهة إلى «لوة بور» في بلاد «السند».

كانت (مهرناز) تتعرض لمضايقاتٍ كثيرةٍ عند وقوفها عند البئر في انتظار دورها لتعبئة جرتها بالماء، وأغلب تلك المضايقات والتحرشات كانت تأتيها من المسافرين الغريبين عن القرية، والذين كانوا يبحثون عن تسلية مؤقتة... بالرغم من قدرة (مهرناز) على إبادتهم جميعًا بطلاسمها، إلاّ أنها اختارت تحمل تلك المضايقات على أن ينكشف أمرها، وتضيع مجهود الشهور التي أمضتها مع المزارع... في أحد الأيام وبعدما ملأت (مهرناز) جرتها بالماء وعادت أدراجها نحو المزرعة، لحق بها ثلاثة رجال من أحد القوافل العابرة واعترضوا طريقها واوقفوها:

(الرجل ١): إلى أين يا جميلة؟

(مهرناز) وهي تحمل الجرة على كتفها: ابتعد عن طريقي لا أريد أن أؤذيك.

(الرجل ٢) وهو يضحك: رجاءً قومي بالحاق الأذى بي.

(مهرناز) تنظر إليهم باشمئزاز ...

(الرجل ٣) وهو يدفع الجرة من على كتفها ويسقطها على الأرض: اتركي هذه الجرة وكلمينا.

وقعت الجرة على الأرض وانكسرت وسكب الماء على الأرض والرجال الثلاثة يضحكون... تجاهلت (مهرناز) ما قاموا به واستمرت بالمسير نحو المزرعة، لكن أحدهم أمسك بذراعها وشدها بقوة:

إلى أين؟

لم يكمل الرجل كلامه إلا وخرّ صريعًا على الأرض... صرخ الاثنان الآخران وفرّا من المكان، لكن (مهرناز) قرأت طلسماً مزقهم في ثوانٍ

أدركت (مهرناز) بعدما هدأت أنها ارتكبت خطـأ فادحًا بقتل الرجال الثلاثة فمن الواضح من ملابسهم أنهم تجار أغنياء، وسوف يأتي أحدٌ بلا شك للبحث عنهم. بدأت بالبحث في جيوبهم، ووجدت كمية كبيرة من الأموال أخذتها ثم قامت بالهرب من المكان على عجالة... عادت إلى المزرعة وأخبرت المزارع بأن الجرة انكسرت فغضب منها وطردها من العمل وقال:

لم يعد لكِ مكانٌ هنا ... ارحلي.

(مهرناز) بغضب: ماذا عن حقي وأجرتي التي وعدتني بها؟ ... حصد المحصول لم يبق عليه إلا أيام!

(المزارع) بغضب: لا حق لكِ عندي!

(مهرناز) وهي ترفع كفها في وجه المزارع بغضبٍ:

شخصٌ رابعٌ لن يؤثر.

(المزارع) باستهزاء: عن ماذا تتحدثين؟

أغلقت (مهرناز) قبضتها ثم عينيها وقالت: عفوت عنك.

(المزارع) وهو يضحك بقوةٍ: شكرًا لكرمك ... ارحلي الآن ياحمقاء.

رحلت من أمام المزارع وتوجهت نحو مكان تجمع القوافل.

بحثت (مهرناز) عن (قهرمان) لكنها لم تجده وبعد السؤال وجدت قافلة تستعد للتوجه إلى بلاد «السند» لكن ليس لمدينة «لوة بور» بل منطقة «زوال» وكانت هذه القافلة مجموعة من رعاة الغنم من أهالي تلك المنطقة... طلبت (مهرناز) من قائد القافلة أخذها معهم، ومدت له المال فوافق على اصطحابها ورفض المال.

كانت القافلة مقسمة إلى قسمين أحدهما خاص بالرجال الذين يقودون قطيع الغنم وكانوا يتقدمون القافلة والآخر للنساء... ركبت (مهرناز) مع النساء الذين رحبوا بها، وكانوا ودودين جدًا معها وخلال مسيرهم اعترض طريقهم سبعة من الرجال على خيولهم كانوا فيما يبدو من جماعة التجار الذين قتلتهم (مهرناز)... حاولت (مهرناز) إخفاء وجهها بخمارٍ حصلت عليه من إحدى النساء في القافلة، وسمعت الحديث الذي دار بين رجال القافلة وبين الرجال الذين اعترضوا طريقهم:

(قائد القافلة) بغضب: لماذا تعترضون طريقنا؟!

(الرجل): نحن نبحث عن فتاةٍ قتلت ثلاثة من أفراد قافلتنا.



(أحد رجال القافلة): ليس بيننا قتلة.

(الرجل): سوف نفتش قافلتكم لنتأكد.

(قائد القافلة) وهو يشهر سيفه: اكتفوا بالثلاثة قبل أن يصبحوا عشرة

ارتبك الرجل الذي كان يتحدث مع قائد القافلة، وهو يرى جميع أفرادها بأجسادهم الضخمة والقوية البنية يشهرون سيوفهم.

(الرجل) وهو يوجه كلامه لمن معه بوجهٍ عابسٍ: هيا بنا لنرحل.

شد الرجل لجام دابته وابتعد عن طريق القافلة التي أكملت المسير نحو منطقة «زوال» وسط صيحات الفرح من النساء و(مهرناز) بينهم مبتسمة.

وصلت القافلة بعد مسيرة أيامٍ طويلةٍ إلى «زوال» وتفرق أفرادها إلى مساكنهم وأخذ كل منهم نصيبه من المواشي التي كانوا يسوقونها معهم وبقيت (مهرناز) مع قائد القافلة، والذي كان زعيماً لإحدى القبائل الكبيرة في تلك المنطقة، وكان يلقب بـ (عاتق):

(عاتق) وهو يقترب من (مهرناز) على صهوة جواده:

أين هي وجهتك يافتاة؟

(مهرناز): «جبال الملح» في الـ «سند»

(عاتق): هل أنتِ هاربة من أهلك؟

(مهرناز): لا

(عاتق): م اهو غرضك من الذهب لـ «جبال الملح»؟

(مهرناز): هناك من ينتظرني فيها

(عاتق): هل تعرفين من يقطن تلك الجبال؟

(مهرناز): من؟

(عاتق) وهو ينزل من على جواده: المستنيرون .

(مهرناز) باستغراب: المستنيرون؟ .. من هؤلاء؟

(عاتق): مجموعة من الكهنة والمشعوذين ... ألم تعرفي ذلك؟

(مهرناز): لا

(عاتق): أتلقيت دعوة منهم... أم أنكِ ذاهبة بلا دليل؟

(مهرناز): أحدهم طلبني من خالتي وقد وهبتني له.

(عاتق): المستنيرون لا يدعون إلى جماعتهم إلا من يملك شيئًا عظيمًا يخدم غرضهم.

(مهرناز): وماهو غرضهم؟

(عاتق): قلب موازين الكون بعلمهم.

(مهرناز): وهل هذا أمرٌ سيئٌ؟

(عاتق): أهدافهم نبيلة، لكن أساليبهم وطرقهم ليست كذلك.

(مهرناز): ماذا تقصد؟

(عاتق): المستنيرون يمجدون الشياطين، ويستعينون بهم لتحقيق أهدافهم أغلب الطائفة الجنتية تؤمن بهذا التوجه.

(مهرناز): كحال معظم السحرة

(عاتق): لا المستنيرون أسوأ بكثير.

(مهرناز): كيف؟

(عاتق) وهو يربط جواده بجانب خيمته الكبيرة:

الموضوع يصعب شرحه ببضع كلمات ... نصيحتي لك بأن تعودي من حيث أتيت ولا تكملي هذه الرحلة، وإذا كانت عودتك ستعرضك للمشاكل يمكنك البقاء معنا هنا في «زوال».

(مهرناز): شكرًا على عرضك الكريم، لكني يجب أن أصل إلى «جبال الملح»

(عاتق) وهو يجلس في خيمته ويشير لأحد أتباعه:

لقد قتلت ثلاثة رجالٍ كي تصلي إلى هنا، هل ستقتلين أكثر لتصلي إلى مسعاك...؟

(مهرناز): لقد قتلت قبلهم، وساقتل بعدهم، لو كلفني الأمر.

(عاتق) وهو يتفقد شيئًا بجانبه:

سوف أزودك بدابة ومرشد لتصلي إلى «جبال الملح» سالمة.

(مهرناز): شكرًا لكن هل لي بسؤال؟

(عاتق): ما هو؟

(مهرناز): لماذا تساعدني؟

(عاتق): ...

(مهرناز) تحدق بـ (عاتق) ...

(عاتق): لأن المستنيرين في كل مكان وليس في «جبال الملح» فقط

(مهرناز): ماذا تقصد لم أفهم؟

حضر أحد أتباع (عاتق) ومعه جوادان ووقف عند الخيمة .

(عاتق): ارتاحي اليوم ... وغدًا اذهبي مع (أبان) وسوف يوصلك... إلى «جبال الملح»

(مهرناز): شكرًا أتمنى أن أرد لك هذا الجميل يومًا ما.

(عاتق) وهو يبتسم: قد تتاح لكِ هذه الفرصة قريبًا.

باتت (مهرناز) تلك الليلة عند إحدى الأسر التي أرشدها إليها (عاتق) وقامت بتغير ملابسها بناء على توجيه منه، ولبست لباسًا يتماشى مع المنطقة وفي الصباح وجدت (أبان) في انتظارها كي تبدأ رحلتهما نحو «جبال الملح».

سار الاثنان عبر جبال ووديان المنطقة الوعرة لأيام، وكان (أبان) واسع الحيلة في إيجاد الماء ومصادر الطعام خلال الطريق... كانا يسيران معظم النهار ويتوقفان عن المسير خلال الليل وكان (أبان) ينصب خيمة واحدة لـ (مهرناز) لتنام فيها، وينام هو في الخارج عند النار التي يشعلها كل ليلةٍ... لم يتحدث الاثنان كثيرًا في الأيام الأولى، وكانت أحاديثهما محصورة على بعض التوجيهات من (أبان) وبعض الاستفسارات البسيطة من (مهرناز) والتي كان يرد عليها بايجاز.

في إحدى الليالي وبعد دخول (مهرناز) خيمتها بساعةٍ تقريبًا خرجت وبدأت تتجول لوحدها فنادى عليها (أبان) وهو جالس عند النار كعادته وقال:

التجول في هذا الوقت خطرٌ يا سيدتي أرجوك عودي إلى الخيمة.

(مهرناز): لا تقلق عليّ أستطيع حماية نفسي

(أبان): سيدي (عاتق) أوصاني عليك كثيرًا، وسوف يعاقبني عقابًا شديدًا إذا حصل لكِ مكروهٌ.

(مهرناز): هل اهتمامك بي بسبب توصية سيدك فقط؟

(أبان): نعم.

(مهرناز) وهي تواصل المسير: لا تهتم إذاً سأتجول قليلاً وأعود.

نهض (أبان) من أمام النار بسرعةٍ وبدأ بالسير بجانب (مهرناز).

(مهرناز) وهي تسير وتتأمل القمر المكتمل: لماذا تسير بجانبي؟

(أبان): كي أحميك.

(مهرناز) وهي تبتسم: من ماذا؟

(أبان): من أي شيء، فالليل ليس وقتًا آمنًا للتجول.

(مهرناز): أنا كالطائر الحر أحلق وقتما أشاء.

(أبان): الطيور لا تحلق ليلًا، إلا عندما تكون تائهة.

(مهرناز) وهي تركل حجرًا صغيرًا على الأرض:

أتظن أنك قادر على حمايتي، أم أنك تظن أنني لا أستطيع حماية نفسي؟

(أبان): تبقين فتاة ومعرضة للخطر

(مهرناز) وهي تبتسم: لدي مناعة منك، ومن غيرك.

(أبان): لن أتحمل سخط سيدي بسببك.

(مهرناز): ولاؤك له أمرٌ غريبٌ ..

(أبان): شكرًا.

(مهرناز): هذا لم يكن إطراء.

(أبان): أعرف.

(مهرناز): ...

(أبان): ...

(مهرناز): منذ متى وأنت تعمل عند سيدك؟

(أبان): منذ ولادتي.

(مهرناز): هل أنت عبد عنده؟

(أبان): أنا ابنه.

(مهرناز) باستغراب: ابنه؟!

(أبان): نعم ... واحد من أربعين ابن وابنة .

(مهرناز) وهي تضحك: يبدو أن أباك يملك الكثير من الوقت.

(أبان) وهو يبتسم: كثرة الذرية من وسائل التفاخر في قبيلتنا.

(مهرناز) وهي تبتسم: وما هو ترتيبك في هذه الشجرة الكبيرة؟

(أبان): في المنتصف تقريبًا.

(مهرناز): لم أرَ الكثير من أخوتك عندما كنا في خيمة أبيك.

(أبان): أغلبهم يخرج إما للقتال، وإمّا للتجارة حتى بعض أخواتي .

(مهرناز): وماذا عنك؟

(أبان): أنا ابن أمي الوحيد، وهي تمنع أبي من إرسالي للقتال.

(مهرناز): كم زوجة عند أبيك؟

(أبان): الكثير ...

(مهرناز) بسخرية: وهل يحبهن جميعًا .

(أبان): نعم، على ما أعتقد ... لكن ما المشكلة في الزواج بلا حب؟

(مهرناز): الزواج بلا حب يقود للحب بلا زواج.

(أبان): ماذا تقصدين لم أفهم؟

(مهرناز) وهي تضحك: لا عليك انس الأمر.

(أبان): أعتقد أن أبي يحب أمي على الأقل... فهو لا يرفض لها طلبًا.

(مهرناز): ولِمَ لم تمنعه إذاً من إصطحابك لي لـ «جبال الملح»؟

(أبان): لأنه لم يخبرها.

(مهرناز): ...

(أبان): هل تسمحين لي بسؤال؟

(مهرناز): ما هو؟

(أبان): هل أنتِ سعيدةٌ؟

(مهرناز) وهي تضحك: ما هذا السؤال الغريب؟

(أبان) يبتسم ..

(مهرناز) وهي تحدق في السماء بشيءٍ من الحزن:

حاول دائمًا أن تسعد على قدر حاجتك، وأن تحزن على قدر استطاعتك فقط .

(أبان): أرَى في كلامك حزناً كبيراً؟

(مهرناز) وهي تبتسم: لأنك أحمق ...

(أبان) وهو يضحك: هل أحببتِ من قبل؟

(مهرناز): لَم أسئلتك تزداد غباءً، كلما ابتعدنا عن الخيمة .

(أبان) وهو يبتسم بخجل: حسنًا لا تجيبي.

(مهرناز): هل أحببت أنت أحدًا من قبل؟

(أبان): نعم ... فتاة من قبيلتنا ... أعطيتها الكثير، لكنها لم تحبني في المقابل.

(مهرناز): هل كنت تنوي شراء حبها بعطائك.

(أبان): لا، ولكن ...

(مهرناز): ولكن ماذا؟

(أبان): لا أعرف ...

(مهرناز): عطاؤك كان سخيًا... لكن عملتك كانت مزيفة.

(أبان) وهو يبتسم وينزل رأسه للأرض: كلامك غريب ...

(مهرناز) وهي تبتسم: ربما.

(أبان): هل تتصنعين تلك الشخصية؟

(مهرناز): أيّة شخصية؟

(أبان): لا أعرف ... شخصيتك غريبة لم أرَ أحداً يتحدث مثلك من قبل، وخصوصًا فتاة... لذا يراودني شعور بأنك تتصنعين تلك الشخصية.

(مهرناز) وهي تبتسم:

لا حاجة لي بذلك ... التصنع أسهل بكثير من أن تكون نفسك.

(أبان) وهو يتوجه إلى مجموعة من الزهور ويقطف بعضها.

(مهرناز) وهي تتوقف: ماذا تفعل؟

(أبان): أحب جمع الجمال والإمساك به .

(مهرناز) تنظر إلى (أبان) وكأنها تريد قول شيء.

(أبان) بتوتر وهو ممسك بالزهور في يده:

ماذا؟ ... هل قطف الزهور شيءٌ سيئ أيضًا؟

(مهرناز) وهي تكمل سيرها: لا شيء ... ربما أنا غريبة التفكير فعلًا.

(أبان) وهي يلحق بـ (مهرناز) ممسكًا بالزهور: لا أرجوك أخبريني.

(مهرناز) وهي تقف بعصبية: أخبرك بماذا؟!

(ابان): عن سبب استيائك مني لقطف الأزهار.

(مهرناز) وهي تحدق بالأزهار في يد (أبان):

أنت ترى أن ما فعلته جمع للجمال، وأنا أرَى أنه مجرد قتل له.

(أبان) باستغرابٍ: لقد قتلت ثلاثة أشخاصٍ، ولم تذرفي عليهم دمعة... وتحزنين على حفنةٍ من الزهور؟

(مهرناز): لن تفهمني... لذلك لن أحاول أن أشرح لك.

(أبان) وهو يمسك بيد (مهرناز): يجب أن نعود... لقد ابتعدنا كثيرًا عن الخيمة

(مهرناز) وهي تسحب يدها بعصبية: عد أنت إذا كنت خائفاً.

(أبان) باستغراب: ما بك؟ ... الخوف لا علاقة له برغبتي في العودة.

(مهرناز): ماذا إذاً؟

(أبان) وهو يشير إلى السماء: انظري ... الغيوم بدأت بالتجمع، يبدو أنها ستمطر.

(مهرناز) وهي تبتسم: وهل تخاف من المطر؟

(أبان): ما حكايتك مع الخوف؟ ... هل تظنين أن كل شيء يحركه الخوف؟

(مهرناز): نعم فالخوف من أبيك هو ما دفعك للحاق بي، وخوف

أبيك من أمك منعه من أخبارها أنك راحل معي، ومنعه أيضًا من إلحاقك بأخوتك في جبهة القتال والخوف أيضًا.

(أبان) بغضبٍ: والخوف أيضًا جعلك تركبين مع قافلتنا من «دازدآب» إلى «زوال» مع أنها لم تكن وجهتك.

(مهرناز) تبتسم.

(أبان): لماذا تبتسمين؟

(مهرناز) وهي تبتسم: لأنك تغضب بسهولة.

(أبان) بعصبية: أنتِ صعبة المِراس!

(مهرناز) وهي تسير مبتسمة: مراسي صعبٌ مع من لا يفهمني فقط.

(أبان) بعصبية: كلامك غير مفهوم من الأساس.

(مهرناز): ليس ذنبي أني فصلت لك الحقيقة، ولم تكن على مقاسك.

(أبان) يقف وينظر لـ (مهرناز) باستغراب ..

(مهرناز) وهي تقف: ما بك؟

(أبان) بوجهٍ محبطٍ: هل تعتقدين أنني بلا قيمة؟

(مهرناز): ماذا تقصد؟

(أبان): هل ترين أني شخصٌ بلا فائدةٍ، ولا أفهم شيئاً؟

(مهرناز): ولماذا تسأل؟

(أبان): طريقة كلامك معي توحي بذلك.

(أبان): لَمَ لا تجيبيني إذاً؟

(مهرناز): أجيبك عن ماذا؟

(أبان): هل ترين أني شخصٌ بلا قيمةٍ؟

(مهرناز): إذا لم تكن تعرف قيمة نفسك، فلا تتوقع أن يثمنها لك أحدٌ.

(أبان) بحزنٍ: أنتِ لا تحترمين مشاعر الناس.

(مهرناز): ولِمَ أهتم بمشاعرك؟ ... من أنت بالنسبة لي؟

(أبان): أنا ابنٌ لأحد أكبر شيوخ القبائل في «زوال»

(مهرناز) وهي تبتسم:

تظاهرك بالكبرياء مثيرٌ للضحك، ومحاولاتك المستميتة لتكون مثيرًا للاهتمام محزنة .

(أبان) بغضب: لَمَ أنتِ هكذا؟!

(مهرناز) باستغراب: ماذا تقصد؟

(أبان) وهو يجلس على الأرض ويصرخ بغضب: لَمَ أنتِ قاسية كالحجر؟!

(مهرناز) تسير نحو (أبان).

(أبان) يغطي وجهه بيديه.

(مهرناز): أنا آسفة.

(أبان): ...

(مهرناز): أعتذر عن كلامي ... أنا بالفعل لا أملك مشاعر.

(أبان) وهو يقف أمام (مهرناز) التي بدأت تدمع:

قسوتك في الحق تختلف عن رحمتك في الصدق.

(مهرناز) وهي تدمع: ماذا تقصد؟

(ابان): أقصد أن سحر كلامك مجرد خداع بصر.

(مهرناز) تبتسم ...

(أبان) وهو يبتسم: لنعد إلى الخيمة.

عاد الاثنان إلى الخيمة، وخلال عودتهم بدأ المطر يهطل بغزارةٍ وبمجرد وصولهما دخلت (مهرناز) الخيمة الصغيرة بسرعةٍ، وتوجه (أبان) نحو النار التي انطفأت وجلس أمامها بعدما غطى نفسه برداءٍ ثقيلٍ:

(مهرناز) بصوتٍ مرتفعٍ وهي تطل برأسها من الخيمة:

تعال وادخل الخيمة، لا تجلس هكذا في المطر.

(أبان) وهو يرفع الغطاء على رأسه والمطر ينهمر عليه بغزارة:

لا بأس حاولي أن تنامي أنت.

اهتزت السماء بهزيم الرعد بعد وميض للبرق في السماء.

أدخلت (مهرناز) رأسها بسرعة عندما سمعت صوت الرعد، وبعد دقائق خرجت وعلى رأسها غطاءٌ مشابهٌ لغطاء ... (أبان) وجلست بجانبه ... أمام النار المنطفئة وقالت: سأجلس معك.

(أبان) وهو يبتسم: بسبب الخوف أيضًا؟

(مهرناز) وهي تضع رأسها على كتف (أبان) وتبتسم: لا.

بقي الاثنان تحت المطر، وناما تلك الليلة في الخارج بعدما هدأت السماء.

أشرقت الشمس وكان أثر المطر باقيًا حول الخيمة وعلى الجياد... نهض (أبان) وبدأ يعد العدة لاستئناف الرحيل نحو «جبال الملح».

استيقظت (مهرناز) بكسل وقالت:

كم المسافة المتبقية حتى نصل؟

(أبان) وهو يحل أوتاد الخيمة:

الأرض بدأت تزداد خضرة، وهذا يعني أننا اقتربنا من وجهتنا.

(مهرناز) وهي تنظر إلى الأفق: الأشجار الخضراء كثيفة هناك.

(أبان) وهو يشد وثاق الجياد:

لن نمر خلال الغابة... سوف نلتزم بالطريق الجبلي المحاذي لها.

(مهرناز): لماذا؟

(أبان): غابات «السند» ليست آمنة ومليئة بالدواب الخطرة.

(مهرناز) تمتطي جوادها وتمعن النظر في الغابات البعيدة .

(أبان) وهو يمتطي جواده: لنتحرك الآن.

سار الاثنان بمحاذاة الغابة الكبيرة دون الدخول إليها وكان (أبان)

يحاول تجاوز تلك المنطة قبل حلول الليل، ولكن حاجتهم للتزود بالماء دفعته للتوقف قبل غروب الشمس:

(مهرناز): لماذا توقفت؟

(ابان) وهو ينزل من جواده: سنخيم هنا.

(مهرناز) باستغرابٍ: ألم تقل بأننا يجب أن نسرع كي نتجاوز الغابة؟

(ابان) وهو ينصب الخيمة الصغيرة:

نعم، لكننا نحتاج للماء، ولا يوجد مصدرٌ للماء العذب سوى نهرٍ قريبٍ من هنا ويمر وسطها.

(مهرناز): هل سندخل الغابة؟

(أبان) وهو يشعل نارًا أمام الخيمة:

أنا من سيدخل وأنت ستنتظرينني هنا حتى أعود.

(مهرناز) وهي تنزل من جوادها: لن أتركك تذهب لوحدك.

(أبان) وهو يحمل قربة الماء مبتسماً: هل تخافين من البقاء لوحدك هنا؟

(مهرناز) بسخرية: بل أخاف أن تموت، ولا أعرف طريق الخروج من هنا.

(أبان) مبتسماً: لا تقلقي، فأنا أعرف المنطقة جيدًا.

(مهرناز): أيًا كان سأذهب معك.

(أبان): لا يمكننا ترك الجياد هنا لوحدها، وإلا ستكون لقمة سائغة للدواب المفترسة.

(مهرناز): نأخذها معنا إذاً.

(أبان): هل دخلت غابة من قبل؟

(مهرناز): نعم .

(أبان): لا تكذبي.

(مهرناز): ...

(أبان): هذه المنطقة مليئة بالنمور، ولو بقيت الخيول لوحدها ستفترسها.

(مهرناز): وماذا سأفعل أنا في وجه النمور؟

(أبان) وهو يسير مبتعدًا عن (مهرناز) نحو الغابة:

ابقي النار مشتعلة حتى أعود، فالنمور لن تقترب من نارٍ مشتعلةٍ.

(مهرناز): انتظر!

اختفى (أبان) وسط أشجار الغابة الكثيفة وترك (مهرناز) لوحدها مع الجياد.

بعد أقل من ساعة خرج (أبان) من الغابة وهو يجري مسرعًا... فوقفت (مهرناز) وهي تبتسم وتلوح له بيدها، لكن ابتسامتها اختفت عندما شاهدت نمرًا كبيرًا يجري خلفه، وما أن وصل (أبان) عندها حتى صرخ وقال:

اركبي جوادك بسرعة.

(مهرناز) وهي مرتبكة: وماذا عن الخيمة؟

(أبان) وهو يركب جواده بسرعةٍ: اتركيها وتحركي في الحال.

لم تلحق (مهرناز) أن تركب جوادها، لأن النمر انقض عليه وبدأ بالتهامه مما دفعها للجري نحو (أبان) والركوب خلفه قبل أن ينطلق بسرعةٍ مبتعدًا عن المكان.

بعد مسافة عدْوٍ طويلةٍ في ظلام الليل هدَّأ (أبان) من سرعة الجواد وبدأ يسير ببطء، وسلك معبرًا جبليًا، حتى وصلا إلى مكان يمكنهما المبيت فيه... نزل الاثنان عند كومة من الصخور الكبيرة التي احتوت على بعض التجاويف التي شكلت مأوى مناسباً لقضاء الليلة... أشعل (أبان) نارًا وجلس بجانب (مهرناز) التي لم تتحدث معه طيلة الطريق حتى جلس بجانبها وقالت:

ما الذي حدث؟

(أبان) وهو يحدق في النار: نحتاج المزيد من الحطب كي تستمر النار حتى الصباح.

(مهرناز): لا تتجاهل سؤالي وأخبرني ما الذي حدث؟

(أبان) وهو ينهض: لم يحدث شيءٌ ... سوف أبحث في الجوار عن أي شيء يمكننا استخدامه لابقاء النار مشتعلة لفترةٍ أطول ابقي هنا.

(مهرناز) بوجه عابس: أبقى كي تعود مفزوعاً وترعبني معك.

(أبان): ماذا تقصدين؟

(مهرناز) وهي تستلقي لتنام: لا شيء فقط حاول ألاّ ترعبني عندما تعود.

(أبان) وهو يبتعد: الماء موجود في القربة على ظهر الجواد.

نامت (مهرناز) ولم تنتظر عودة (أبان) ... وعندما استيقظت في الصباح وجدته بجانبها نائمًا ... فلم توقظه وبقيت جالسة في مكانها تفكر... بعد استيقاظ (أبان) قال لها:

لَمَ لَمْ توقظيني؟

(مهرناز): تركتك لترتاح بعد ليلتك الحافلة.

(أبان) وهو ينهض: لم يكن أمرًا يستحق القلق.

(مهرناز): لا يستحق القلق؟! .. لقد كنا على وشك الموت!

(أبان) وهو ينزل قربة الماء من على الجواد: لكننا لم نمت.

(مهرناز): ما هذا البرود المفاجئ؟

(أبان) وهو يرفع القربة لشرب الماء: الخوف لا يسيطر على حياتي مثلك.

(مهرناز) بغضب: الخوف لا يسيطر على حياتي!

(أبان) وهو ينزل القربة ويمسح فمه بظهر يده:

يجب أن نتحرك كي نستفيد من ضوء النهار

(مهرناز) بوجه عابس: ...

امتطى (أبان) الجواد وأشار لـ (مهرناز) بالركوب خلفه.

(مهرناز): ألا يمكننا أخذ قسط من الراحة؟

(أبان) باستغراب: لقد استيقظنا للتو من النوم.

(مهرناز): لا أقصد راحة جسدية.

(أبان): ماذا تقصدين إذاً؟

(مهرناز) وهي تزفر: ماذا تفعل للتسلية؟

(أبان): التسلية.

(مهرناز): نعم التسلية ... المرح ... الترويح عن النفس.

(أبان): لا أعرف.

(مهرناز): أنا مثلًا أحب الغناء، وأنت ماذا تحب؟

(أبان): ... أحب ... أحب الحياكة.

(مهرناز): الحياكة؟

(أبان): نعم ... حياكة السجاد.

(مهرناز) وهي تبتسم: هواية جميلة ... هل تجيدها؟

(أبان) وهو يبتسم: نعم على ما أظن.

(مهرناز): كم سجادة صنعت؟

(أبان): واحدة فقط

(مهرناز): فقط؟

(أبان): نعم وقد أحرقها أبي، وهددني بأنه لو رآني أحيك مرة أخرى سوف يقطع يديَّ.

(مهرناز): لماذا؟

(أبان): يقول: إن الحياكة للنساء.

(مهرناز): ...

(أبان) وقد بدا عليه الحزن قليلًا، وهو يحدق في الأفق من على ظهر الجواد ...

(مهرناز) وهي تبتسم: هل ترغب في سماع صوتي؟

(أبان) وهو يلتفت إليها بنصف ابتسامة: نعم.

أغمضت (مهرناز) عينيها، ثم بدأت بالغناء.

عندما انتهت فتحت عينيها لترى (أبان) وهو يبتسم ويقول: أنتِ محظوظة.

(مهرناز): لماذا؟

(أبان): من يمارس ما يحب بلا خوف، يعرف معنى الحرية.

(مهرناز) تبتسم ...

(أبان) يحدق بـ (مهرناز) ...

(مهرناز): ما بك؟ لمَ تحدق بي هكذا؟

(أبان): أنا في حيرة من أمري؟

(مهرناز): لماذا؟

(أبان): لا أعرف إذا كنتِ زهرة تغطيها الأشواك، أم شوكة تغطيها الأزهار .

(مهرناز) وهي تنظر إلى (أبان) بتعجب ..

(أبان) وهو يبتسم: هيا بنا لنرحل.

نهضت (مهرناز) مبتسمة وركبت خلف (أبان) وقالت:

لنكمل سيرنا نحو «جبال الملح» .

بعد مسيرة أيام دخل الاثنان المناطق التي تستوطنها عشائر (كوسلا)، وبدأ (أبان) يبشر (مهرناز) بأنهما اقتربا من وجهتهما النهائية.

(أبان): «جبال الملح» لم تعد بعيدة ... أين هو المكان الذي ترغبين في الوصول إليه بالتحديد؟

(مهرناز) وهي تنظر حولها:

لا أعرف تحديدًا، كل ما أعرفه أن (كلكامش) أخبر خالتي بأنه سيجدني عندما أعبر حدود «السند».

(أبان): لقد تجاوزنا حدود «السند» منذ عدة أيام.

(مهرناز): لا أعرف ... لنصل إلى «جبال الملح» أولًا بعدها سنرى.

استمر (أبان) و(مهرناز) بالسير عبر الجبال والوديان نحو «جبال الملح» حتى بدأ يظهر لهما في الأفق جبالًا بيضاء، وكأن الثلج يغطيها:

(مهرناز): منظر الثلوج على الجبال جميلٌ!

(أبان) وهو يبتسم: هذه ليست بثلوجٍ

(مهرناز) باستغراب: ماذا إذاً؟

(أبان): إنها مغطاة بالملح.

(مهرناز) وهي تحدق في الجبال البيضاء بتعجب:

إذاً... فالاسم ليس مجرد اسم بل حقيقة!

(أبان) وهو يبتسم: نعم نوعًا ما.

حل الليل ونزل الاثنان ونصبا الخيمة الصغيرة، وأشعلا نارًا للتدفئة، لأن الجو وقتها كان شديد البرودة.

(مهرناز) وهي ترتجف:

هل أنت متأكدٌ من أن ما يغطي هذه الجبال هو الملح، وليس الثلج؟

(أبان) وهو يبتسم: نعم، ولكن بعضها مغطى بالثلج أيضًا.

(مهرناز) وهي تقرب كفيها من النار:

لقد وصلنا إلى «جبال الملح» ولم يظهر (كلكامش).

«أبان) وهو يدفئ يديه أمام النار: إذا لم يظهر في الصباح سنعود.

(مهرناز): نعود إلى أين؟

(أبان): إلى «زوال»

(مهرناز): وماذا سأفعل هناك؟ ... لا ... لا يمكنني العودة.

(أبان): هل ستبقين هنا لوحدك؟

(مهرناز):هل ستتركني؟

(أبان) وهو يبتسم: لا لن أتركك أبدًا.

(مهرناز) وهي ترتجف: البرد قارسٌ في هذه الجبال.

(أبان) يدنو من (مهرناز) ويحتضنها.

صوت يأتي من فوقهما: يمكنك العودة يا فتى.

التفت الاثنان على مصدر الصوت ليريا (كلكامش) ينزل ويقترب منهما.

وقفت (مهرناز) وهي تقول: سيد (كلكامش)؟

(كلكامش) وهو يبتسم: نعم.

(أبان) وهو يقف: أبي يرسل لك تحيته ولعشائر (كوسلا).

(مهرناز) باستغرابٍ: هل تعرفه؟

(أبان): السيد (كلكامش) صديقٌ قديمٌ لأبي، لكني لم أره من قبل.

(كلكامش): شكرًا يا (أبان) على إيصالك لها سالمة ... هيا يا (مهرناز) لنذهب

(مهرناز) بقلق: إلى أين؟

(كلكامش): لتبدئي .

(مهرناز): أبدأ ماذا؟

(كلكامش): درسك الأول.

(مهرناز): وما هو درسي الاول؟

(كلكامش): ما بك؟ .. لَمَ أنتِ مترددة وتجادلينني؟

(مهرناز) تنظر إلى (أبان) ...

(كلكامش): فهمت .

عقد (كلكامش) أصابعه وقرأ طلسماً بدأ بعدها (أبان) بالاختناق وسقط على الأرض، صرخت (مهرناز) ونزلت على الأرض ورفعت رأس (أبان) لتجده قد فارق الحياة.

(مهرناز) وهي تبكي وتصرخ بصوت مرتفع:

لماذا فعلت ذلك أيها المجنون؟!

(كلكامش): تعلقك به كان سيكون عقبة في طريقك.

(مهرناز) وهي تصرخ: أي طريق؟!

(كلكامش): طريق العظمة ... هيا لنرحل.

(مهرناز) وهي تصرخ: لن أرحل معك.

(كلكامش) وهو يرفع كفه باتجاه (مهرناز): بل سترحلين معي.

(مهرناز) بصوتٍ مرتفعٍ: وفر طلاسمك فانها لن تفيدك بشيء .

بعد هذه الجملة فقدت (مهرناز) الوعي .

***





# البيت الخاوي

بعد رحيل (مهرناز) و(أرتميس) و(جريرة) عادت (نازانين) إلى خالتها (أفسار) التي كانت ما تزال جالسة على الشاطئ تحدق في البحر وجلست بجانبها:

(أفسار) وهي تزفر: أشتاق لهدوء أسمع من خلاله أنفاسي ودقات قلبي.

(نازانين) وهي تبتسم: بعد رحيل الفتيات ستحصلين على الكثير من الهدوء.

(أفسار): الضجيج الذي أتحدث عنه داخلي وليس حولي.

(نازانين): ...

(أفسار) تحدق في البحر ...

(نازانين): ماذا الآن ياخالة؟

(أفسار) وهي ما تزال تحدق في البحر: نعود إلى «بستك»

(نازانين): لم تخبريني لِمَ لمْ تعد (أنهار) معنا؟

(أفسار): ستعود عندما تنجز مهمتها.

(نازانين): ...

وقفت (أفسار) وقرأت طلسم الانتقال إلى «بستك» ولحقت بها (نازانين).

وصلت (نازانين) إلى منزلهم في «بستك» لتجد (أفسار) جالسة في الفناء الخارجي، وعلى وجهها ارتسم الحزن، اقتربت منها وقالت:

لَمَ لا تدخلين ياخالة وترتاحين من عناء السفر؟

(أفسار): لم أكن أظن أني سأفتقدهن منذ أول يوم.

(نازانين) وهي تبتسم وتجلس بجانب (أفسار):

تتحدثين وكأننا لا نستطيع زيارتهن .

(أفسار): (مهرناز) و(أنهار) لايمكننا زيارتها لأن ذلك يتعارض مع مهامها وأخواتك الأخريات ما زلن في بداية حياتهن، ولا نريد أن نكون عبئًا عليهن.

(نازانين) وهي تبتسم: كما تشائين يا خالة.

(أفسار): انتظري بضعة أشهرٍ ثم اذهبي أنتِ وتفقدي حال أخواتك وأزواجهن.

(نازانين): حاضر ياخالة.

أمضت (أفسار) و(نازانين) حياتها بشكل اعتيادي وروتيني ولم يكن هناك أي شيءٍ خارجٍ عن المألوف، وكان مصدر دخلها الوحيد هو

من خلال عمل (نازنين) كقابلة للتوليد عند أحد الحكماء في المدينة القريبة منها، للحصول على قوت يومها، لأن (أفسار) كانت في السابق توفر جميع حوائج المنزل، ولم تكن أيّة بنتٍ من بناتها تعرف مصدر تلك الأموال التي كانت تجلبها، لكن ومنذ عودتها إلى «بستك» بدأت (أفسار) بالانعزال عن الناس، ولم تكن تخرج من غرفتها كثيرًا ولاحظت (نازانين) أيضًا أن ذاكرة خالتها بدأت تضعف تدريجياً يومًا بعد يوم..

بعد عدة أشهرٍ، وخلال الليل بدأت (أفسار) بالسعال بقوة، نهضت (نازنين) من فراشها وتوجهت إلى غرفتها:

(نازانين) بقلق: ما بك ياخالة؟

(أفسار): لا شيء، لا تقلقي.

(نازانين) بقلق: سوف أعد لكِ بعض الحساء.

لم تتحسن حالة (أفسار) ومع مرور الأيام ازدادت حالتها سوءاً وكانت ترفض لجوء (نازانين) إلى الحكماء لعلاجها، ولكنها تجاهلت رفض خالتها عندما رأتها يومًا تسعل وتبصق بعض قطراتٍ من الدم... دخلت (نازنين) على خالتها ومعها الحكيم الذي كانت تعمل عنده، فنهرتها (أفسار) بصوتٍ خالطه سعالٌ جافٌّ:

لا أريد أيّة مساعدة من أحد.

(الطبيب) موجهًا كلامه لـ (نازنين): لا أحتاج لفحصها فحالتها واضحة.

(نازنين) بقلق: ما بها؟

(الطبيب): علة في الصدر، ولن تتماثل للشفاء سريعًا، حتى مع العلاج الذي سأصفه لها، لكنه مهم لإيقاف تطور المرض، ومن دونه لن تبقى على قيد الحياة طويلًا.

(أفسار) وهي تصرخ ... وترمي الحكيم بإناء كان قريبًا منها:

اخرج من هنا، ولا تعد.

خرج الحكيم من المنزل وأعطى (نازانين) بعض الأعشاب وطلب منها سقي (أفسار) من مغليها مرتين في اليوم، لمدة لا تقل عن شهرين، وإلا استفحل المرض فيها.

(الحكيم): يجب أن تلتزم بالعلاج، وإلا لن تعيش طويلًا.

(نازانين) بوجهٍ حزينٍ: حاضر.

خلال الأيام التي تلت زيارة الحكيم لـ (أفسار) واجهت (نازانين) صعوبة في سقي خالتها الدواء الذي وصفه لها، وكانت تسكبه بعنف كلما حاولت سقيها.

(نازانين) بغضبٍ: ما بكِ ياخالة؟... لمَ لا ترغبين في تناول دوائك؟!

(أفسار) وهي على فراشها تسعل:

علتي دواؤها ليس خليط حكيمك.

(نازنين) بحزنٍ: ما هو علاج علتك إذاً يا خالة؟

(أفسار): ...

نامت (أفسار) ذلك اليوم ولم تتناول دواءها.

في اليوم التالي خرجت (أفسار) إلى الفناء، وكانت تسعل بقوة فدخلت (نازنين) لتنظف غرفة (أفسار) وصدمت بكمية الدماء التي كانت في فراشها، فخرجت من المنزل وهي تدمع:

(أفسار) وهي تسعل: إلى أين يا مقرونة؟

(نازنين) وهي تمسح دموعها: إلى عملي ياخالة.

(أفسار): منذ متى وأنت تعملين؟

(نازانين): من أين تظنين أننا نحصل على قوتنا؟

(أفسار) بصوت مرتفع وهي تسعل:

نحن ساحراتٌ ... ولا نكسب قوتنا بالعمل... بل بالأجرة.

(نازانين) وهي ترحل بوجهٍ حزينٍ.

سأعود قبل المساء ... حاولي أن تنالي قسطاً من الراحة ريثما أعود.

لم ترد (أفسار) وبقيت تسعل بقوةٍ في فناء المنزل.

عادت (نازنين) مبكرًا ذلك اليوم ودخلت المنزل وهي تقول:

أين أنتِ يا خالة؟ ... لقد أحضرت ضيفًا معي.

(أفسار) من غرفتها وهي تسعل:

إذا كان ضيفك هو ذلك الحكيم اللعين فسوف أمزقه.

(أرتميس) وهي تدخل على (أفسار) في غرفتها مبتسمة:

وأي طلسمٍ ستستخدمين ياخالة؟

ابتهجت (أفسار) عندما رأت (أرتميس) ونهضت بثقل من فراشها وعلى وجهها ابتسامة عريضة وعانقتها وهي تقول:

فستقتي البيضاء.

بكت (نازانين) عندما رأت ابتهاج (أفسار) لرؤية (أرتميس) التي جلست بجانب خالتها وقالت:

كيف حالك ياخالة؟

(أفسار) وهي تقبل (أرتميس): أنا بخير ... بخير يا فستقة.

(أرتميس) بوجه قلق: (نازانين) تخبرني بأنك مريضة.

(نازانين): ...

(أفسار) وهي تبتسم وتشيح بيدها: لاعليك منها فهي تهول الأمور.

(أرتميس) تبتسم.

(أفسار) تضع يدها على بطن (أرتميس) وتبتسم:

لقد سمنتِ كثيرًا يا فستقة ..

(نازنين) وهي تبتسم وبعض الدموع على خدها: (أرتميس) حبلى يا خالة.

(أفسار) وهي تنظر لـ (أرتميس) باستغراب: ممن؟

(أرتميس) تنظرة بتعجب لـ (نازانين) ..

(نازانين) وهي تجلس بجانب خالتها وتمسح على رأسها:

ما رأيك أن ترتاحي الآن ياخالة؟

(أفسار) وهي تستلقي: أيقظيني عندما تنتهي (جريرة) من إعداد الطعام.

(أرتميس) وهي تنهض وتقبل رأس (أفسار) بحزن:

سأزورك مرة أخرى ياخالة.

خرجت (أرتميس) إلى فناء المنزل ولحقت بها (نازانين).

(نازانين): شكرًا لزيارتك يا (أرتميس) الخالة لم تبتسم منذ مدةٍ طويلةٍ.

(أرتميس) بغضبٍ: لَم لم تخبرينا بأن حالتها متردية إلى هذا الحد؟!

(نازنين): لم أرد أزعاجكم، ثم إنها تتحسن هذه الأيام، وبدأت تتناول دواءها أحياناً.

(أرتميس) بغضبٍ: ومتى كنت تنوين إخبارنا؟

(نازانين) بحزن: هل كنت تريدين مني إخباركم؟ بأن الخالة شاخت وبدأت تفقد عقلها، أو بأنها تسعل وتبصق دمًا كل ليلة؟

(أرتميس) بوجهٍ عابس: لنا الحق في معرفة كل شيء عنها.

(نازنين) تجلس بحزنٍ ...

(أرتميس) وهي تجلس بجانبها: أنتِ أختنا الكبرى وما يؤلمك يؤلمنا.

(نازنين) وهي تبتسم ابتسامة يخالطها الحزن:

لا تقلقن عليّ ... كيف حال (جريرة) هل تزورينها؟

(أرتميس): نعم لقد زرتها أكثر من مرة، وهي كذلك زارتني مرة

(نازانين): هل هي سعيدةٌ؟

(أرتميس) وهي تبتسم:

جدًا ... لقد أنشأت فرقة مع ذلك الفتى العربي ... هو يغني وهي ترقص.

(نازانين) وهي تبتسم: لقد كان الرقص شغفها دائمًا.

(أرتميس) وهي تضحك:

وأصبح مصدر رزقها الآن ... حتى وهي حبلى لا تتوقف عن الرقص

(نازانين) بوجهٍ مبتهجٍ: هل (جريرة) حبلى أيضًا؟

(أرتميس): نعم ... في آخر زيارة لي أخبرتني.

(نازانين): كيف يعاملها ذلك الفتى؟

(أرتميس) مبتسمة: تحبه بجنون وهو كذلك.

(نازانين): وأنت كيف هي أحوالك مع (آزاد)؟

(أرتميس) وهي تبتسم وتحدق في الأفق:

الحب لا يصف شعوري نحوه ... (أزاد) أطيب شخص قابلته في حياتي.

(نازانين) وهي تعانق (أرتميس): أتمنى أنكِ سعيدةٌ فعلًا.

(أرتميس) وهي تعانق (نازانين):

قد يجيد البعض وصف الحزن، وهو لا يشعر به، لكن لا أحد يصف السعادة بحق إلا وهي تسكن صدره.

(نازانين): ولا أحد يستحقها مثلك يا فستقة .

(أرتميس) تمد بعض المال في يد (نازانين) وهي تعانقها .

(نازنين) باستغراب: ماذا تفعلين؟

(أرتميس): بعض المال لكِ وللخالة.

(نازانين) بغضبٍ: هل تظنين أننا نحتاج الإحسان؟

(أرتميس) بتعجب: إحسان؟! ... أنتم أهلي!

(نازنين) وهي تدفع المال في يد (أرتميس): احتفظي بمالك لم نصل إلى مرحلة الشحاذة والتسوّل.

(أرتميس) بصرامةٍ: هل تظنين أن هذا المال إحسان؟

(نازنين) بعبوسٍ: لا أعرف .

(أرتميس) تعيد المال في جيبها.

(نازنين): ...

(أرتميس): كيف حال بقية أخواتي؟

(نازنين): لا أخبار عنهن وتعليمات الخالة لي هي بعدم التواصل معهن.

(أرتميس): إلى متى؟

(نازانين):لا أعرف.

(أرتميس) تحدق في الأفق: لقد اشتقت إليهن ... لم أكن أتوقع أن شوقي لهن سيكون بهذا الحجم.

(نازانين): بعض اللحظات لا نعرف قيمتها حتى تصبح ذكرى.

(أرتميس) بحزنٍ: فعلًا.

(نازنين) تحدق في الأفق.

(أرتميس) وهي تنهض: يجب أن أرحل الآن.

(نازانين): لمَ لا تبقي معنا للغداء؟

(أرتميس) وهي تبتسم: لقد وعدت (آزاد) بأنني لن أتأخر.

(نازانين) وهي تقف: هل ستزورينا مرة أخرى؟

(أرتميس) وهي تعانق (نازانين): بالتأكيد يا مقرونة.

عقدت (أرتميس) أصابعها وعادت إلى «شيبكوة».

دخلت (نازانين) إلى المنزل بعد رحيل (أرتميس) وبدأت بإعداد دواء خالتها، وبعد الانتهاء دخلت غرفتها لتجدها جالسة على طرف سريرها سارحة في الجدار:

(نازانين) وهي تجلس بجانبها وتبتسم بحزن: خذي ياخالة دواءك.

(أفسار) وهي ما زالت تحدق في الجدار أمامها: ما الذي يحدث لي يا مقرونة؟

(نازنين) وهي تمسح دمعة باغتتها:

أنت بأحسن حال، لكنكِ متعبة قليلًا، وتناولك لهذا الدواء سيساعدك على التماثل للشفاء.

تناولت (أفسار) الدواء ثم قالت: أين (نزيم)؟

(نازانين) ظنّـاً منها أن (أفسار) أخطأت في اسمها: أنا هنا ياخالة.

عانقتها (أفسار) وبدأت بالبكاء وهي تقول:

لا تتركيني يا (نزيم).

(نازانين) وهي تبكي مع خالتها: لن أتركك أبدًا ياخالة.

مضت الأيام وبعد مضي عامٌ تقريبًا، تحسنت حالة (أفسار) الجسدية مع تناولها الدواء، لكن حالتها العقلية لم تعد كالسابق، فقد كانت تمر من وقت لآخر بحالات أشبه بالخرف، تتحدث فيها عن أمور في الماضي، لكن (نازانين) اعتادت وتأقلمت مع وضعها الجديدة... بينما كانت (نازنين) عائدة من السوق في أحد الأيام سمعت عند اقترابها من المنزل صوت ضحكات (أفسار)... فعجلت بخطواتها ودخلت المنزل لتجد (جريرة) جالسة معها وفي حجرها طفلان... اندفعت (نازانين) نحو (جريرة) وعانقتها بفرحٍ شديدٍ:

(نازانين) بسعادةٍ: لم أتوقع قدومك!

(أفسار) وهي تقبل الأطفال في حجرها: حمدًا للآلهة أنهم لا يشبهونك

(نازنين) وهي تلتفت نحو (أفسار) مبتسمة وتلتقط أحد الأطفال وهي تضحك:

هل هؤلاء أطفالك؟

(جريرة) مبتسمة: نعم ... (جهير) و(بوران).

(نازنين) وهي تقبل (جهير) وهي تضحك: متى أنجبتهما؟

(جريرة) وهي تأخذ (بوران) من (أفسار): لقد أتيا في بطن واحـــدة كي يعـذبـاني.

(أفسار) وهي تأخذ (بوران) من (جريرة) وتقبلها: العذاب الحقيقي هو كونك أمهما.

(جريرة) و(نازنين) تضحكان.

(نازنين): أين أبوهما؟

(جريرة): (رخو)؟ .. بقي في «قشابي» .

(أفسار): لماذا لم تحضريه معك؟

(جريرة) وهي تضحكِ: بصراحة كان خائفًا من الخالة.

(أفسار): مني ... لماذا؟

(نازانين) وهي تضحك: إنها تعاكسك ياخالة... لا تنصتي إليها.

(أفسار): إذا لم يخف من الإنجاب منك، فلا شيء سيخيفه.

(نازنين) تضحك وتضع (جهير) في حجر (جريرة) وتهم بالخروج.

(جريرة) مبتسمة: إلى أين؟

(نازنين): سأعد الغداء ... لن ترحلي أليس كذلك؟

(جريرة) لا، لا، لقد أخبرت (رخو) أني سأبقى عندكم أسبوعاً بأكمله.

(أفسار) وهي تقبل (بوران) وتبتسم: ارحلي أنت، لكن اتركي أحفادي معي.

(جريرة) مبتسمة: لا تغريني ياخالة فهما ليسا ملائكة في الليل.

أمضت (جريرة) ثلاثة أيام في منزل خالتها، وفي أحد الأيام استيقظت في الصباح الباكر وخرجت إلى الفناء وجلست لوحدها تتأمل المكان.

بعد دقائق خرجت (نازنين) وقالت وهي مبتسمة:

ما الذي أيقظك؟... بعد سهرنا مع أطفالك البارحة، لم أظنك ستستيقظين إلا عند الظهر.

(جريرة) وهي تحدق في الأفق:

ما بها الخالة يا (نازانين)؟ عندما أتيت كانت بخير، لكنها تغيرت في الأمس.

(نازانين) والابتسامة تزول عن محياها وتجلس بجانب (جريرة):

ألم تخبرك (أرتميس)؟

(جريرة): أخبرتني... لكن لم أظن أن حالتها بهذا السوء.

(نازانين) بوجه حزين: ...

(جريرة): البارحة كانت تلاعب (بوران) وتسميها (نزيم)

(نازانين): هذا الأسم عالق بذهنها منذ أن مرضت.

(جريرة): من (نزيم) هذه؟

(نازانين): لا أعرف ... ربما فتاة من ماضيها قبل أن نعرفها.

(جريرة): ...

(نازانين): كيف حالك مع زوجك؟

(جريرة) وهي تبتسم: أنا سعيدة يا مقرونة.

(نازنين) مبتسمة: يبدو أنكِ غيرتِ من أطباع ذلك الفتى كي يسعدك.

(جريرة): بل أنا من تغيرت لأسعده.

(نازانين): لماذا؟

(جريرة): من يحب شخصًا يجب ألاّ يحاول تغييره، بل يغير نفسه من أجله.

(نازانين) وهي تبتسم: سعيدةٌ لسعادتك.

(جريرة) وقد زالت الابتسامة من على وجهها: لكنني أختنق كل يوم.

(نازانين) بقلق: لماذا؟

(جريرة) بحزن: منذ أن أنجبت (جهير) و(بوران) وقلبي يتقطع

(نازانين) بقلق: لماذا؟ ... ما بك؟

(جريرة): لدي إحساسٌ قوي بأنني لا أستحق تلك السعادة، وأنها ستنتزع مني يومًا ما.

(نازانين) وهي تبتسم: لا تتشاءمي... وعانقي تلك السعادة.

(جريرة) بوجهٍ حزينٍ: ...

(نازنين): السعادة لا نراها إلا عندما نهديها.

(جريرة) وهي تدمع: طيلة حياتي لم أهدِ سوى الألم لمن هم حولي، حتى أخواتي لم يرين مني إلا السوء.

(نازانين) وهي تعانق (جريرة) مبتسمة: لقد أسعدت ذلك الفتى العربي الذي فقد أباه.

(جريرة) وهي تدمع مبتسمة: هو من أسعدني.

(نازنين) وهي تفك عناق (جريرة) وتبتسم بحماس:

هل ولدت (أرتميس)؟ ... عندما رأيناها أخر مرة كانت بطنها كبيرة.

(جريرة) وهي تمسح دموعها وتبتسم: نعم ... أنجبت فتاةً جميلة جدًا

(نازنين) بسعادة: حقاً؟ ... لِمَ لمْ تأت معك؟

(جريرة): كانت ستأتي معي لكن (آزاد) كان متعبًا وفضلت البقاء معه، لكنها وعدتني بأنها ستحاول الحضور قبل عودتي.

(نازنين): ماذا أسمت ابنتها؟

(جريرة) وهي تبتسم: أسمتها (مهرناز)

(نازنين) وهي تبتسم بسعادة: (مهرناز)؟

(جريرة): نعم ... يبدو أنها تفتقدها... هل هناك أخبارٌ عنها، أوعن (أنهار)؟

(نازنين) بوجهٍ حزينٍ:

لا ... لقد مضى على غيابهما ما يقارب العامين ولم نسمع عنهما شيئاً.

(جريرة) تبدأ بالبكاء بقوةٍ وبحرقةٍ.

(نازانين) بقلقٍ، وباستغرابٍ: ما بك؟!

لماذا تبكين هكذا؟

(جريرة) وصوتها متحشرجٌ بالدموع: هناك أمرٌ يؤرقني ويجب أن أخبرك به.

(نازانين) بقلق: ماذا؟

(جريرة) وهي تبكي: أنا من قتل جد (أرتميس).

(نازانين) وهي مصدومة: ماذا؟!

لماذا فعلت ذلك؟

(جريرة): كانت تلك رغبة الخالة .

(نازانين): الخالة... ولكن لماذا؟

(جريرة): عندما أرسلتكِ مع (مهرناز) لجلب الفستق لها، لم تكن في واقع الأمر مهتمة بالفستق، بل بتجنيد (أرتميس) وكانت على علم بأنها لن تأتي معكما، إلا إذا مات جدها، والذي كان السبب الوحيد لبقائها مع قومها.

(نازانين): وكيف كانت الخالة تعلم بكل تلك التفاصيل عن (أرتميس) وحياتها؟

(جريرة) وهي تمسح دموعها: لا أعرف.

(نازانين): وكيف استطعت قتله؟ ... ألم يكن ساحرًا كبيرًا في «كرمان» بل كبير السحرة هناك، كما قالت الخالة.

(جريرة): نعم، لكن الخالة أخبرتني أن كبر سنه وفقدانه لجميع

حواسه، لن يمكنه من استخدام طلاسمه عليّ وسيكون قتله كقتل أي شخصٍ عادي.

(نازانين): وكيف قتلته؟

(جريرة): تسللت إلى خيمته ليلًا وطعنته بخنجري.

(نازانين): ...

(جريرة): أحس بذنبٍ كبيرٍ ... كلما رأيت وجه (أرتميس) أشعر بضيقٍ في صدري.

(نازانين) وهي تضع يدها على كتف (جريرة):

هذا الأمر في الماضي، الآن لا تشغلي بالك وحاولي نسيانه.

(جريرة) وقد بدأت بالبكاء مرة أخرى: حاولت كثيرًا لكني لم أستطع.

صوت أحد أطفال (جريرة) وهو يبكي.

(جريرة) وهي تنهض وتمسح دموعها: سوف أذهب لأرَى سبب بكائه.

(نازنين) مبتسمة: اجلسي أنتِ ... سأذهب أنا، أنتِ تستحقين القليل من الراحة.

(جريرة) وهي تجلس مبتسمة ودموعها ما زالت على خدها:

سوف تصابين بالجنون بسببهما.

(نازنين) وهي تدخل المنزل مبتسمة: الخالة كالوالدة.

(جريرة) بوجهٍ حزينٍ: أتمنى يومًا أن تجدي من يسعدك يا مقرونة.

(نازانين) وهي تقف عند عتبة الباب بوجهٍ حزينٍ:

لا أظن أن هذا سيحدث أبدًا.

(جريرة) وهي تقف وتقترب من (نازانين):

لا تقولي هذا الكلام ... أنا متأكدة أنك ستجدين من يفهمك ويحبك.

(نازانين) وهي تبتسم بحزن:

أنا لا أبحث عن أحد يفهم كلامي أنا أبحث عن أحد يفهم سكوتي ..

دخلت بعدها (نازانين) إلى المنزل، وهي تبكي تاركة (جريرة) حزينة على حالها.

***





# يوم الحساب

عاد (أزرق) إلى «هجر» بعدما ترك (هنان) في وادي الجن لمقابلة (ضارم) وبمجرد وصوله تشكل بهيئته البشرية ودخل قصرها وأخبر الخدم بأن (هنان) سافرت وستغيب لفترة، وأنه في غيابها سوف يتولى مهام تجارتها وجميع مسؤولياتها حتى تعود، ولهذا السبب فإن خدماتهم لم تعد مطلوبة وطلب منهم جميعًا الانصراف.

لم يكن تولي (أزرق) مهام (هنان) بالأمر المفاجيء أو المستغرب على العاملين في السوق، وفي المحلات التي كانت (هنان) تمتلكها وتديرها فـ (أزرق) كان دائمًا بجانبها كمساعدها الأول، حتى والي «هجر» تعامل معه بسلاسةٍ وسهولةٍ لأنه رآه أكثر من مرة معها وبصحبتها... كان (أزرق) يشرف على تجارة (هنان) في «هجر» وفي نفس الوقت يدير مملكته في «الجبل البارز»، والتي بدأت تستعيد عافيتها بعد عودته... كان يتنقل بين «هجر» و«فارس» بين فترة وأخرى لأن مهمة البحث عن (أفسار) وعصبتها كانت من أولوياته، بالإضافة للبحث عن المرأة التي ذكرتها (جهنم) له والتي كان إيجادها ثمن معرفته لمكان أسرته.



أمضى (أزرق) شهورًا في تقصي أثر (أفسار) وعصبتها، ولكن بسبب قلة المعلومات التي كان يملكها عنهم، لم يعثر على أي دليل يقوده إليهم حتى دخل عليه أحد أتباعه يومًا متشكلاً، وهو في قصر (هنان) وقال له بعدما انحنى أمامه:

هل يأذن سموك لي بالحديث؟

(أزرق): هات ماعندك يا (زمرك)

(زمرك): أعتقد أننا وجدنا أثرًا لأحد الأشخاص الذين طلبت منا إيجادهم.

(أزرق) وهو يقف بحماسٍ: أيّة واحدةٍ؟

كان (أزرق) في قرارة نفسه يتمنى أن يكون الشخص الذي وجده أتباعه، هي المرأة التي تبحث عنها (جهنم) والتي أنجبت فتاة صغيرة في جبل (آريان) لكن رد (زمرك) كان مخيبًا لأمال (أزرق):

(زمرك): بعد بحثنا المتواصل في الشهور الماضية، استطعنا أخذ علم من شيطان يقطن على الساحل في «بوشير»

(أزرق): ما هو العلم؟

(زمرك): يقول: إنه رأى مجموعة من النساء قبل عام تقريبًا، ينزلن من سفينة نصف غارقة وصفاتهن تطابق الصفات التي زودتنا بها.

(أزرق) وهو يجلس بهدوء: وأين مكانهن الآن؟

(زمرك): الشيطان لا يعرف، لأنه أخبرنا أنهن جميعًا اختفين.

(أزرق): اختفين؟

(زمرك): نعم بطلاسم الانتقال ياسيدي ... عدا اثنتين.

(أزرق): أخبرني عنهما .. أين رحلتا؟

(زمرك): من خلال وصفه لإحداهن توجهت شرقًا إلى حدود «السند» لكننا لم نستطع تعقبها

(أزرق): وماذا عن الأخرى؟

(زمرك) هي التي وصفتها لنا بأن لها خصلة بيضاء في غرتها ... رحلت مع فتى على قافلة.

(أزرق): بما أنها لم تستخدم طلاسم الانتقال فيمكنكم تعقبها.

(زمرك): لقد قمنا بذلك وحددنا مكانها بالفعل.

(أزرق) بحماس: أين؟

(زمرك): تدعى (أرتميس) وهي الآن في «شيبكوة» ... تقيم مع رجلٍ في مزرعةٍ كبيرةٍ هناك، ويبدو أنهما تزوجا لأنها حبلى.

(أزرق) وهو سارحٌ: ...

(زمرك): هل يرغب سموك منا بأن نأسرها؟

(أزرق) وسرحانه ينقطع: لا، لا، ... راقبوها فقط

(زمرك): حاضر ياسيدي.

(أزرق) وهو يشير بسبابته لـ (زمرك): راقبوها حتى تتواصل مع بقية عصبتها

(زمرك): وإذا لم تتواصل معهن ياسيدي؟

(أزرق) وهو يقف ويدير ظهره لـ (زمرك):

ستتواصل مع إحداهن أنا واثق من ذلك، وعندما تفعل راقبوا من تتواصل معه حتى نعرف أماكنهن جميعًا.

(زمرك) وهو يقف: حاضر ياسيدي .. هل تأمرني بشيءٍ آخر؟

(أزرق): لا .. انصرف ولا تخفقوا في هذه المهمة، وإلا سوف يكون عقابكم شديدًا.

(زمرك) وهو يختفي: لن نخذلك.

بعد عدة أشهر زار (زمرك) (أزرق) مرة أخرى:

(زمرك) وهو ينحني أمام (أزرق): هل يأذن سموك لي بالحديث؟

(أزرق): هات ما عندك؟

(زمرك): لقد زارت (أرتميس) إحدى أخواتها.

(أزرق) بحماس: مَن؟

(زمرك): فتاة تدعى (جريرة) وهي تقيم في «قشابي» مع زوجها وطفليها.

(أزرق): استمروا بمراقبتهن جميعًا حتى يتواصلن مع البقية وخصوصًا قائدة العصبة

(زمرك): قمنا بذلك بالفعل ونحن ننتظر الآن.

(أزرق): انصرف ولا تعد إلا عندما يأتيك خبر عنهن.

(زمرك) وهو يختفي: حاضر.

بعدما اختفى (زمرك) تمكن الحماس من (أزرق) ذلك اليوم، وغادر القصر وتوجه نحو جبل (آريان) لمقابلة (جهنم)... وصل (أزرق) إلى نفس المكان الذي قابلها فيه أول مرة ووجده خاويًا، لكن بعد تشكله كبشرٍ تحدث معه صوتٌ من أحد كهوف الجبل وقال:

هل وجدتها أيها الجني الأزرق؟

(أزرق) وهو يرفع رأسه: ليس بعد.

(جهنم) وهي تظهر من أحد الكهوف في الجبل: لماذا أتيت إذاً؟

(أزرق) رافعًا رأسه نحو الكهف البعيد الذي خرجت منه (جهنم):

أتيت لتخبريني بشيء يساعدني في البحث .

(جهنم) وهي تضحك بسخرية:

أمير الجن الأزرق يطلب مساعدة في البحث عن شخص مفقود.

(أزرق): ألا يمكنك إخباري بشيءٍ عدا أنها امرأة انجبت فتاة في هذا الجبل، وأن اسم الفتاة (نزيم)؟

(جهنم) وهي ترفع الغطاء عن رأسها:

لا تضيع وقتي ووقتك فأهلك لن يبقوا في الأسر طويلًا.

(أزرق) بقلق: ماذا تقصدين؟

(جهنم): من كانوا يأسرونهم، بدؤوا يهملون إطعامهم، وأبوك (وندل) أصيب بالمرض، وقد يفارق حياته قريبًا إذا لم تنقذه.

(أزرق) وهو يصرخ: أخبريني بمكانهم وأعدك أني سابحث عن هذه المرأة حتى أجدها لو استغرق الأمر عمري كله!

(جهنم) وهي تعود إلى الكهف: المرأة هي المقابل يا إبن وندل ..

(أزرق) وهو يصرخ: ... (جهنم)! ... (جهنم)!

لم يجد (أزرق) جوابًا لصرخاته وعاد غاضبًا إلى «هجر».

بعد وصوله إلى «هجر» كان (أزرق) مشوشًا جدًا بسبب كلام (جهنم) عن أبيه وأسرته، وكان حانقاً على حاله وبمجرد دخوله القصر، رأى امامه منظرًا أنساه كل ما كان يشغل باله وتفكيره... رأى (هنان) جالسة أمامه مبتسمة وعلى يمينها (ضارم) وعلى يسارها (عاشق نورة) وعلى أكتافها كان (شيطان الهرم) مبتسماً ويعبث بشعرها... وقف (أزرق) يشاهد هذا المنظر، ومما زاد تعجبه واستغرابه شكل (هنان) الذي تغير كثيرًا، فعيناها وشعرها الأبيض شكلوا صدمة له بالإضافة إلى الندوب الكثيرة المنتشرة على وجهها، وفي جسدها والتي غيرت من ملامحها بشكلٍ كبيرٍ:

(أزرق) بتعجب: (هنان)؟!

(هنان) وهي مبتسمة: كيف حالك يا ابن وندل؟

(أزرق) وهو يلقي نظرة على الشياطين حول (هنان): لقد فعلتها إذاً؟

(هنان) مبتسمة: هل كان لديك شك؟

(أزرق) وعلى وجهه شيء من عدم الارتياح: لا.

(هنان): أين الخدم؟

(أزرق): لقد صرفتهم جميعًا.

(هنان): لماذا؟

(أزرق): لم يكن لهم حاجة عندي في غيابك.

(ضارم): هل هذا هو العضو الخامس من عصبتنا؟

(هنان) مبتسمة: نعم.

(عاشق نورة): يبدو ضعيفاً.

(أزرق) بشيءٍ من الغضب: يبدو أنكِ لم تروضي كلابك جيدًا.

(عاشق نورة) يزمجر ويأخذ خطوة إلى الأمام باتجاه (أزرق).

(هنان) وهي تضع يدها على صدر (عاشق نورة): ما بك يا (أزرق)؟

(أزرق) وهو ينظر إلى (عاشق نورة) بغضبٍ: لا شيء.

(هنان): هل حددت مكان ساقطات الفرس؟

(أزرق): ليس بعد أحتاج المزيد من الوقت.

(هنان) بصوتٍ مرتفعٍ: وكم من الوقت تحتاج؟! ... لقد حظيت بأشهر طويلة!

(أزرق): لو لم تحطمي الخاتم الفضي لكنا استفدنا منه الآن.

(هنان) وهي تقف بغضبٍ: هل بدأت ترد علي الآن؟!

(شيطان الهرم): هل تأذنين لي بمسه؟

(أزرق): ماذا حدث لك يا (هنان)؟

(هنان) بغضب: اخرج من هنا، ولا تعد إلا عندما تحدد مكان الساقطات اللواتي قتلن أخواتي!

(أزرق): وإذا لم أفعل؟

(هنان) بغضب: وقتها ستكون بالفعل خذلت (ضنة).

(أزرق) وهو ينزل رأسه للأرض ويهم بالخروج: عودًا حميدًا يا (هنان).

بعد خروج (أزرق) جلست (هنان) بغضبٍ وأمرت (شيطان الهرم) بالنزول عن أكتافها والانصراف.

(عاشق نورة): أنا لا أثق بهذا الجني الأزرق.

(ضارم): منذ متى والشياطين تثق بالجن؟

(هنان): لا تقلقا (أزرق) يهتم بثأري مثلما أهتم به وأكثر، لكنه لا يظهر ذلك.

(ضارم): أكره أن اقول أنني أتفق مع الشيطان.

(هنان): ماذا تقصد؟

(ضارم): نظراته لنا، ولك لم تكن مطمئنة.

(هنان): سيتضح ولاؤه لي في الأيام المقبلة.

(عاشق نورة): كيف؟

(هنان): سأمهله وقتًا ليجد ساحرات الفرس، وإذا لم يستطع سوف يكون لي تصرف آخر معه.

بقيت (هنان) في «هجر» وكانت تتوارى عن الأنظار ولا تخرج كثيرًا بسبب شكلها المتغير... وأمرت (ضارماً) و(عاشق نورة) بالتشكل بهيئةٍ بشريةٍ لتولي بعض مهام تجارتها، وأوكلت إلى (شيطان الهرم) مهمة البقاء معها لحمايتها. عينت (هنان) طاقماً جديدًا من العاملين والخدم في القصر، لأن (أزرق) لم يعد يتواجد كثيرًا في «هجر» بعد عودتها، فقد عاد إلى مملكته في «فارس» وأكمل إعادة بنائها ومتابعة مهمة البحث عن (أفسار) وعصبتها بالإضافة للبحث عن المرأة التي طلبتها (جهنم) مقابل إخباره عن مكان أهله.

كانت زيارات (أزرق) المحدودة إلى (هنان) غير مرحبٍ بها من قبل عصبتها، رغم أن (هنان) لم تعد غاضبة منه، وكانت تعامله كما كانت تعامله في السابق. خلال زيارة (أزرق) في أحد الأيام طلبت (هنان) من (شيطان الهرم) الانصراف وكان وقتها (ضارم) و(عاشق نورة) خارج المنزل، وكانت (هنان) في غرفتها:

(أزرق): لماذا صرفت الشيطان الموكل بحمايتك؟

(هنان) وهي تغير ملابسها: أرغب في الحديث معك لوحدنا .

(أزرق) وهو يحدق بجسد (هنان): جسدك مليءٌ بالندوب.

(هنان) وهي تضع رداءً على جسدها: ثمنٌ زهيدٌ دفعته لتجنيد عصبتي.

(أزرق): وهل ستدفعين المزيد للحصول على ثأرك؟

(هنان): مهما كان ثمن هذا الانتقام، سيكون زهيدًا في مقابل الحصول عليه.

(أزرق): الانتقام ممن حطمك، لا يكون بتحطيم نفسك .

(هنان) وهي تجلس: أنت لا تفهم يا (أزرق).

(أزرق) بسخرية: حاولي إفهامي، فعقلي بسيط .

(هنان): منذ موت أخواتي وعمتي لم أعد أرغب في الحياة ... أنا حتى لم أعد إلى أهلي في الجنوب ... لقد أصبت بعطشٍ شديدٍ ... عطش لم أروه بعد.

(أزرق): عطش... لماذا؟

(هنان) وهي تصرخ في وجه (أزرق):

لدماء الساقطات اللواتي قتلن أخواتي (خود) و(رتيكة) و(ربوح) و(ضنة)

هل نسيت (ضنة)؟!

هل نسيت دماءها المسفوكة على الرمال؟ هل نسيت خذلانك لها؟

(أزرق) ينزل رأسه للأرض .

(هنان) وعيناها البيضاويتان بدأتا بذرف الدموع وتحدق بـ (أزرق) بغضبٍ:

لن أجد لذة في نومٍ، أو في طعامٍ أوشراب قبل أن أرَى الساقطات اللواتي قتلن أخواتيِ مذبوحات كالشياه.

(أزرق): ...

(هنان) تضع يدها على فمها لخروج بعض الدم.

(أزرق) بقلق: ما بك؟

(هنان) تخرج أحد أسنانها من فمها: لاشيء لقد فقدت سنًا فقط .

(أزرق): هذا بسبب ذلك الشيطان.

(هنان) وهي ترمي السن على الأرض: أي شيطانٍ؟

(أزرق): (شيطان الهرم) فهو شيطان استحواذي، وقربك منه لفترةٍ طويلةٍ سوف يستهلك جسدك.

(هنان): لا تقلق أنا مسيطرةٌ عليه بالكامل.

(أزرق): سيطرتك عليه لا علاقة لها بالأمر.

(هنان) وهي تخلع رداءها، وتستلقي على فراشها وتحدق بالسقف:

ابحث عنهن يا (أزرق) ولا تعد حتى تجدهن ... أريد أن أشرب من دمائهن حتى أرتاح.

خرج (أزرق) من الغرفة ولم يرد على (هنان).

بعد خروج (أزرق) نادت (هنان) على (شيطان الهرم) وأمرته بأن يبقى عند فراشها خلال نومها.

مضت الأيام وتحولت لأسابيع ... ثم لأشهر ... حتى دخل (أزرق) صباح أحد الأيام، ووجد (هنان) مع عصبتها وقال لها:

لقد وجدتهن .

(هنان) وهي تقف بأعين متسعة: أين؟

(أزرق): هل يمكننا الحديث لوحدنا؟

(هنان) وهي تصرخ: أين؟!

(أزرق): ذات الخصلة البيضاء ... تدعى (أرتميس).

(هنان): قاتلة (خود).

(ضارم) وهو يزمجر: قاتلة (خود)؟

(أزرق) يحدق بقلق في (ضارم) الذي بدا غاضبًا جدًا.

(هنان) وقد بدأت تتجهم: تكلم يا (أزرق) أين هي؟

(أزرق): ماذا تنوين أن تفعلي؟

(هنان) وهي تصرخ: هل أنت أحمق؟! .. سأقتلها وأشرب من دمها بالطبع.

(عاشق نورة) يحدق بـ (أزرق) المتوتر ويبتسم.

(ضارم) بغضبٍ لـ (أزرق): ستتحدث أم سأضطر لإرغامك على الحديث؟

(أزرق): سأخبرك بشرط يا (هنان).

(هنان) وهي تصرخ بغضب في (شيطان الهرم): قيده.

قفز (شيطان الهرم) على (أزرق) وجثى على صدره وقوض حركته تمامًا.

(عاشق نورة) لـ (شيطان الهرم) وهو يبتسم: هل تحتاج للمساعدة؟

(شيطان الهرم) وهو يحدق بأعين (أزرق) المتوتر: لا .

(هنان) وهي تقترب من (أزرق): تحدث، تحدث أيها الأحمق.

(أزرق): اقتليني يا (هنان) .

(هنان) باستغراب يخالطه الغضب: ماذا؟ ... هل أنت مجنون؟!

(ضارم) بغضبٍ: لقد كان (عاشق) على حق، عندما قال:

بأن هذا الـ (أزرق) ليس محل ثقة.

(أزرق) بغضبٍ: أنا لست بخائن.

(هنان) وهي تصرخ: ماذا تسمي ما تفعله الآن إذاً؟!

(أزرق) بهدوء: لا أريد منكِ سوى الصبر قليلًا يا (هنان) .

(هنان) وهي تصرخ: لا تحدثني عن الصبر، وأنت لم تعاشر نفسك.

(أزرق): هل أصبحت لا أطاق إلى هذا الحد؟

(هنان) بغضب: وأكثر يا ابن وندل.

(أزرق): حققي لي رغبة أخيرة .

(هنان) وهي تزفر بعصبية: ماذا؟ ... ماذا تريد؟

(أزرق) و(شيطان الهرم) ما زال قابعاً على صدره:

مجرد طلب ... طلب أخير بحق العشرة التي بيننا... ألا أستحق ذلك منك.

(هنان) وهي تسير مبتعدة عن (أزرق) بغضبٍ شديدٍ:

لقد فقد عقله... لقد فقد عقله.

(عاشق نورة) وهو يقترب من (أزرق) ويضع قدمه على خده:

أعطني الأمر وسوف أجعله يتحدث.

(هنان) تضع يدها على فمها وتنظر إلى (أزرق) بغضب.

(ضارم) وهو ينظر إلى (أزرق) بغضبٍ:

سنجعله يتحدث... فأنا أعرف ما يؤلم الجن.

(شيطان الهرم) وهو يقرب مخلبه من عين (أزرق):

لن يكون أشد إيلامًا مما يمكنني أن أقوم به.

(أزرق) يحدق بـ (هنان) بتوتر ...

(هنان) تصرخ: توقفوا ... ابتعدوا عنه .

نهض (شيطان الهرم) عن صدر (أزرق) ورفع (عاشق نورة) قدمه عن خده.

(هنان) وهي تقترب من (أزرق) المحاط بعصبتها، وتضع وجهها بوجهه وتقول بغضبٍ مكظومٍ:

ماذا؟ ... ماذا تريد؟!

(أزرق): أن نذهب في رحلةٍ قصيرةٍ قبل الذهاب إلى «فارس»

(هنان) بتعجب يخالطه الغضب: ماذا؟ ... رحلة؟ ... رحلة ماذا؟!

(أزرق) بهدوء وبثقة: عندما نصل ستعرفين.

(هنان) بغضب: وكم من الوقت سنضيعه في رحتلك هذه؟!

(أزرق): يوم واحد فقط .

(هنان) تحدق بعينيها البيضاويتين في وجه (أزرق) بغضب ..

(أزرق) يحدق في (هنان) بنظرة باردة.

(هنان) بغضب لكن بصوت هاديء: لك ذلك يا ابن وندل.

وقف (أزرق) ومد يده لـ (هنان) وقال: هيا كي لا نتأخر.

أمسكت (هنان) بيد (أزرق) وخلال لحظات وجدت نفسها تحلق معه فوق (هجر)

(هنان) وهي بين أذرع (أزرق):

امتطاء (ضارم) أكثر راحة من حملك لي بهذه الطريقة.

(أزرق) وهو يبتسم: لا أحد يمتطي أمير الجن الأزرق.

(هنان) بعبوس: لا تقلق لا رغبة لي بذلك.

بعد دقائق حط (أزرق) في مدينة لم تزرها (هنان) من قبل، ونزل الاثنان أمام أحد المنازل الكبيرة، وبمجرد نزولهما تشكل (أزرق) بهيئته البشرية وطلب من (هنان) الابتعاد قليلًا والاختباء خلف شجرةٍ كبيرةٍ كانت في فناء ذلك المنزل.

(هنان) بسخريةٍ وهي تقف خلف الشجرة:

هل أتينا كل هذه المسافة للاختباء خلف شجرة؟

(أزرق) وهو يحدق بباب المنزل من خلف الشجرة:

خلال بحثي عن العصبة الفارسية، أمرت بعض أتباعي بالبحث عن أشخاص آخرين.

(هنان) باستهزاءٍ: عن أهلك بالطبع.

(أزرق) وهو يشير بأصبعه إلى باب المنزل: لا ... عن أهلك أنتِ.

وجهت (هنان) نظرها إلى باب المنزل لترى أمها، تخرج من الباب وهي تحمل طفلًا صغيرًا.

بدأت (هنان) تنظر وتحدق بأمها التي لم ترها منذ سنوات طويلة، وقد بدا على وجهها التأثر والحزن المختلط بشيءٍ من السعادة.

(أزرق): أمك تخرج كل يوم في هذا الوقت وتصلي لعودتك.

(هنان) تحدق بأمها بعينيها البيضاويتين وتدمع.

(أزرق): جميع أخواتك تزوجن، والطفل الذي تحمله أمك هو ابن (هند) أختك الكبرى.

(هنان) وهي مختنقة بدموعها: لماذا أحضرتني إلى هنا يا (أزرق)؟

(أزرق) وهو يضع يده على كتف (هنان): كي أعطيك خياراً.

(هنان) وهي تحدق بأمها التي كانت تلاعب الطفل: أي خيار؟

(أزرق): خيار بين العودة إلى أهلك وترك ثأرك، أو السعي وراءه.

(هنان) وهي تمسح دموعها: سأحصل على الاثنين.

(أزرق): طريق ثأرك أصبح شائكًا، ولو مضيت فيه لن تعودي كما

كنت، ولن تستعيدي حياتك أبدًا.

(هنان) وهي ما تزال تحدق بأمها: ماذا تقصد؟

(أزرق): لقد فقدت الكثير من إنسانيتك، ولم يبق منها إلا القليل ستضطرين لخسارته كي تتمي ثأرك.

(هنان) وهي تدير ظهرها عن منزل أهلها: أعدني إلى (هجر) يا (أزرق).

(أزرق): هل أنتِ متأكدة؟

(هنان) وظهرها لـ (أزرق):

لن أستطيع تذوق السعادة قبل أن أغسل مرارة الفقد من جوفي بالدم ... أعدني.

(أزرق): كما تشائين.

أعاد (أزرق) (هنان) إلى «هجر» وبمجرد دخولها القصر استقبلها (ضارم) وهو يصارع غضبه ويقول:

هل يمكننا الذهاب الآن والاقتصاص من قاتلة (خود)؟!

(هنان) وهي تنظر إلى (عاشق نورة) والذي كان جالسًا: ما رأيك يا (عاشق)؟

(عاشق نورة) وهو ينهض: أنا لم آت معك كي أدير محلات للبقالة .

(هنان) وهي تلتفت نحو (أزرق) وتقرأ بوجهه القلق: أين يا (أزرق)؟

(أزرق) بخيبة أمل: (أرتميس) تعيش في «شيبكوة»

(هنان) وهي ترفع ذراعيها: خذوني إلى هناك.

(ضارم) وهو يتشكل كجواد أسود وينظر إلى (أزرق) بعبوسٍ:

تقدم الطريق أيها الجني الأزرق.

خلا دقائق كانت (هنان) وعصبتها أمام مزرعة (آزاد) في «شيبكوة».

نزلت (هنان) عن (ضارم) وقالت:

هل تقطن تلك الساقطة هنا يا (أزرق)؟

(أزرق): نعم ... هي وزوجها وطفلتها.

(هنان): طفلتها .

(أزرق): نعم طفلتها.

(ضارم): أعطني الأمر كي أقتلها.

(هنان) وهي تبتسم: لا فهي ساحرةٌ متمكنة.

(عاشق نورة): لن تستطيع مقاومتنا جميعًا، ولن يستغرق الأمر أكثر من ثوانٍ لقتلها.

(هنان) وهي تشير إلى (شيطان الهرم) والذي كان متقرفصًا عند ركبها:

أحضر الطفلة.

(أزرق) بقلق: ماذا تفعلين يا (هنان)؟

انطلق (شيطان الهرم) بسرعةٍ خاطفةٍ، وخلال ثوانٍ كانت طفلة (أرتميس) بين يدي (هنان) الواقفة عند أسوار المزرعة... لم تمض

ثوانٍ حتى سمعت (هنان) وعصبتها صراخ (أرتميس) وهي تبحث عن طفلتها في المنزل، وخلال صراخها طلبت (هنان) من (أزرق) الذهاب إليها والتحدث معها بالفارسية، وأن يشرح لها أن الطفلة معها، وتطلب منها الخروج بهدوء دون مقاومة:

(أزرق) بقلق: هل ستؤذين الطفلة يا (هنان)؟

(هنان) وهي ترفع الطفلة وتحدق بها مبتسمة:

لا تتأخر يا (أزرق) ونفذ ما أمرتك به.

تشكل (أزرق) بهيئته البشرية ودخل منزل (أرتميس) وبعد دقائق خرجت مع زوجها (آزاد) وهما يصرخان:

(مهرناز)! ... (مهرناز)!

(هنان) تخرج خنجرًا وتضعه عند عنق الطفلة، وتقول بالعربية وهي تبتسم:

توقفا ولا تقتربا أكثر.

لم تفهم (أرتميس) كلام (هنان)، لكنها توقفت مع زوجها عندما رأت نصل الخنجر عند عنق طفلتها.

خرج (أزرق) من منزل (أرتميس) وعلى وجهه القلق الشديد ليرى (أرتميس) تتوسل بالفارسية لـ(هنان) وهي تضحك وتقول لعصبتها:

هل هذه هي طريقة الفرس في التوسل؟

(عاشق نورة) وهو يبتسم: لا أعرف فلم يتوسل لي «فارسي» من قبل.

(ضارم) وهو يزمجر بغضبٍ: متى نقتلها ونأخذ بثأر (خود)

(هنان): اقتل زوجها أولًا ... أريدها أن تراه وهو يموت.

انطلق (ضارم) بسرعة خاطفة بعد كلام (هنان) ليطير رأس (آزاد) في الهواء وسط صرخات (أرتميس) التي كانت تقول:

من أنتِ؟ .. ولماذا تفعلين ذلك؟!

(هنان) وهي تضحك وتوجه كلامها لـ (أزرق): ما الذي تقوله تلك الساقطة؟

(أزرق) بوجهٍ متجهمٍ: كفى عبثًا يا (هنان) واقتليها.

(هنان) وهي تصرخ في (أزرق): أخبرني ماذا تقول؟!

(شيطان الهرم) وهو يبتسم: تقول من أنتِ؟ ولماذا تفعلين ذلك؟

(هنان): وهي تبتسم:

يبدو أننا سنستغني عن خدماتك يا (أزرق) في فك هرطقات الفرس.

(أزرق) بوجهٍ ساخطٍ ومتجهمٍ ...

(هنان): (عاشق) ... هل يمكنك تقويضها كي لا تستخدم طلاسمها.

(عاشق نورة) الأمر سهل إذا لم تقاوم!

(هنان) وهي تنظر إلى (أرتميس) الباكية: لن تقاوم وطفلتها بين يدي.

انطلق (عاشق نورة) وربط (أرتميس) وقوض حركتها.

سارت (هنان) حتى أصبحت فوق رأس (أرتميس) مباشرة وقالت:

هل تذكرتني الآن؟

(شيطان الهرم) يعيد كلام (هنان) بالفارسية.

(أرتميس) وهي تبكي وعينها على طفلتها: لا ... أرجوك لا تؤذي طفلتي.

(شيطان الهرم) يعيد كلام (أرتميس) بالعربية لـ (هنان).

(هنان) بوجه صارم محدقة بـ (أرتميس):

لقد قتلت (خود) وهشمت رأس (ربوح) وشاركت في قتل (رتيكة)، والشياطين لا تملك شفقة أو رحمة خصوصًا لساقطة مثلك.

نحرت (هنان) الطفلة أمام (أرتميس) التي بدأت بالصراخ بجنون ولم يضاهِ صراخها إلا صرخة (أزرق) في (هنان) بقوله:

ماذا فعلت؟ ... هل فقدت عقلك؟!

(هنان) وهي ترمي بجسد الطفلة ورأسها على الأرض، وتجثو عند رأس

(أرتميس) مبتسمة: أنا لم آت هنا كي أصفح عن أحد.

أمسكت (هنان) بغرة (أرتميس) البيضاء وشدتها إلى الخلف ليبرز عنقها أمام نصل خنجرها الذي انزلق عليه بسهولة حتى فصل رأسها عن جسدها.

رفعت (هنان) رأس (أرتميس) عاليًا وسط صرخات عصبتها

وعويلهم، وهي تحدق بـ (أزرق) المفجوع مما يرى وقالت:

أين مكان الساقطة التالية يا (أزرق)؟

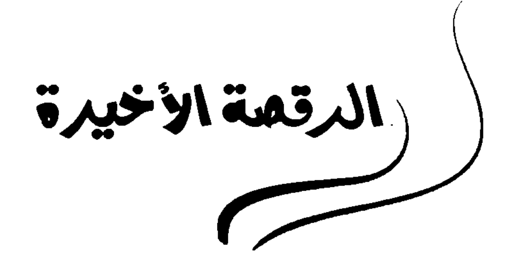
(أزرق) وعيناه غارقتان بالدموع:

لقد فقدت عقلك.

(هنان) وهي تصرخ:

أين هي؟

***



# الرقصة الأخيرة

دخلت (جريرة) على زوجها وهو يطعم طفليهما وقالت له:

سوف أخرج إلى السوق لشراء بعض الحاجيات كي نستعد لعرضنا في حفل الزفاف الليلة:

(رخو) يهز رأسه بالموافقة.

(جريرة) هل اتفقت مع جارتنا كي تعتني بـ (جهير) و(بوران)؟

(رخو) بفارسية ركيكة: نعم ... قالت: إنها ستمر لأخذهما في المساء.

(جريرة): جيد سأكون وقتها قد عدت، كي نستعد ونذهب إلى الزفاف

(رخو) يبستم ...

(جريرة) تبتسم وتخرج من المنزل متوجهه إلى السوق ...

أمضت (جريرة) أقل من ساعة في السوق وخلال عودتها اعترض طريقها شابٌ وسيمٌ، وبدأ يمشي بجانبها وهو يبتسم .

(جريرة) وهي تبتسم: لا تضيع وقتك فأنا متزوجة.

(الشاب الوسيم) مبتسمًا ويسير بجانب (جريرة) .

(جريرة) وهي تبتسم: يبدو أنك مجنون.



استمر الشاب بالمشي خلف (جريرة) حتى وصلت إلى عتبة منزلها.

(جريرة) وهي تلتفت إليه: ارحل وإلا أخبرت زوجي كي يلقنك درسًا قاسيًا.

(الرجل الوسيم) وهو ما زال مبتسماً ويحدق بـ (جريرة) .

(جريرة) وهي تدخل منزلها: كما تشاء.

دخلت (جريرة) المنزل وأخبرت زوجها بالرجل الذي كان يلاحقها، فخرج وفي يده عصا، لكنه لم ير أحداً.

(جريرة) وهي تنادي على (رخو) من عتبة الباب:

يبدو أنه رحل ... انسَ أمره، ولنستعد لزفاف الليلة.

عاد الاثنان إلى المنزل وبدأت (جريرة) وزوجها بتغيير ملابسهما.

(جريرة) وهي تتمايل بلباسها الجديد: ما رأيك بفستان الرقص هذا؟

(رخو) بفارسية ركيكة: هل كان غاليًا؟

(جريرة): أهذا كل ما يهمك؟

(رخو) وهو يبتسم: أنتِ من جعلت الفستان جميلاً وليس العكس.

(جريرة) وهي تبتسم: لسانك المعسول هو ما ينقذك دائمًا من سخطي.

(رخو) يبتسم ويضبط أوتار آلته الموسيقية.

صوت طرق على الباب.

(جريرة): يبدو أنها جارتنا أتت لأخذ الصغار ... افتح لها يا (رخو) فأنا مشغولة بالفستان.

توجه (رخو) إلى الباب وفتحه، وبمجرد فتحه للباب طار رأسه في





الهواء، وبدأت دماؤه تفور من عنقه حتى بعد سقوطه على الأرض.
صرخت (جريرة) صرخة أيقظت طفليها اللذين بدأا بالبكاء.
(جريرة) وهي تندفع نحو جثة زوجها: (رخو)! ... (رخو)!
وقبل أن تصل إلى جثته دخلت (هنان) وعصبتها عليها وبمجرد رؤيتها لهم، عادت أدراجها بسرعة وحملت طفليها من مضجعهما واحتضنتهما بقوة وقالت:
من أنتم؟... وماذا تريدون؟
(هنان) باستهزاءٍ: هل جميع ساقطات هذه العصبة أنجبن أطفالاً؟
(شيطان الهرم): هل أمسها؟
(هنان) تبتسم: لا ... انتظر لنرى ماذا ستفعل؟
(جريرة) تنزل على ركبتيها وهي تحتضن طفليها بقوة وتبكي .
(ضارم) وهو ينظر إلى (جريرة): لا يبدو أنها ستقاوم.
(عاشق نورة): هل سنحدق بها مطولًا؟
(أزرق) من وراء (هنان):
أرجوك يا (هنان) لا تؤذي الطفلين فثأرك ليس معهما.
(هنان) وهي تبتسم باستهزاءٍ وتحدق بـ (جريرة) المرتعبة:
سأعطيك فرصة لاقناعها بترك طفليها كي تموت لوحدها.
(أزرق) وهو يدخل المنزل ويتحدث بالفارسية لـ (جريرة) بتوتر:
أعيدي طفليك إلى مضجعهما ولن يصابا بسوء.
(جريرة) وهي تبكي بقوة: اتركونا وشأننا.

(أزرق) بتوتر: حاولي أن تفهمي ... الطفلان في خطر ويجب أن تعيديهما إلى مضجعهما.

(جريرة) تبكي بقوة وتحتضن طفليها بشدة!

(هنان) بسخرية:

الحمقاء لا ترغب في الرحيل عن هذا العالم لوحدها ... لنحقق لها رغبتها

(أزرق) وهو يلتفت على (هنان) باسطاً ذراعيه بغضبٍ: لا...!

(هنان) بوجه عابس: هل تعترض طريقي يا (أزرق)؟

(أزرق): لقد فقدت عقلك وثأرك أصبح شيئًا بشعًا جدًا.

(هنان) بغضبٍ وبوجهٍ صارمٍ: منذ متى كان الانتقام شيئًا مبهجًا؟! ... قيدوه!

اندفعت عصبة (هنان) وقيدت (أزرق) وسحبته خارج المنزل وهو يصرخ كالمجنون ..

(هنان) وهي تنظر لـ (جريرة) المرتعدة: ضعي الطفلين في مضجعهما.

(جريرة) تعانق الطفلين بقوة وتغمض عينيها وتبكي.

(هنان) موجهة كلامها إلى (شيطان الهرم): أخبرها ما قلته لها للتو.

(شيطان الهرم) وهو متقرفص تحت أقدام (هنان) بالفارسية مبتسماً ومغيرًا لكلام (هنان):

لو أعدت االطفلين إلى مضجعهما سوف نذبحهما.

(جريرة) تشد من عناق الطفلين لصدرها، وعيناها غارقتان بالدموع.

(هنان) وهي تبتسم: كما تشائين.

وجهت (هنان) وهي تهم بالخروج من المنزل (شيطان الهرم) بتمزيق (جريرة) مع طفليها.

(هنان) وهي تخرج مبتسمة من عتبة المنزل وخلفها صوت صراخ (جريرة):

لقد حاولت معها يا (أزرق) لكن ذلك كان خيارها.

(أزرق) وهو يقف بوجهٍ متبلدٍ وعلى يمينه (ضارم) وعلى يساره (عاشق نورة) مبتسمين: حلي وثاقي.

(هنان) وهي تبتسم و(شيطان الهرم) يقفز على أكتافها والدماء تغطي فمه ومخالبه:

هل ستؤذيني يا (أزرق)؟

(أزرق) بوجهٍ مشمئز:

بل سوف أدلك على منزل (أفسار) قائدة العصبة، كي أنتهي منك ومن ثأرك المقيت

(هنان) بوجهٍ متعجبٍ: وماذا عن الأخريات؟

(أزرق): لا يوجد أخريات

(هنان) وهي تصرخ في وجه (أزرق):

ماذا تقصد لا يوجد أخريات؟! بقي أربع منهن!!

(أزرق): واحدة منهن تقيم مع (أفسار) أمّا الأخريات فلم أجدهن

(هنان) وهي تصرخ في (أزرق):

هل تكذب علي يا بن وندل لتحمي أبناء جلدتك؟!

(أزرق) بتعجب: أبناء جلدتي!

(هنان) بغضبٍ: ألست بفارسي مثلهن أم كنت تعتقد أني لم ألاحظ ذلك؟!

(أزرق) يبتسم.

(هنان) بصوت مرتفع: لماذا تبتسم؟ هل تسخر مني؟!

(ضارم): أنه لا يكذب .

(هنان) بغضبٍ خافتٍ: كيف تعرف؟

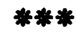
(ضارم) وهو ينظر لـ (أزرق): لو كان سيكذب لفعل ذلك منذ البداية.

(هنان) تحدق بـ (أزرق) وتتنفس بثقل.

(أزرق) وهو يحدق بـ (هنان) مبتسماً بشيءٍ من الشفقة على حالها:

«بستك» ... إنهن في «بستك»

(هنان) وهي تبتسم: هيا بنا إذاً... حلوا وثاقه.





# رأس الأسد



وصلت (هنان) وعصبتها إلى «بستك»، وتحديدًا عند فناء منزل (أفسار) حسبما أخبرهم (أزرق) وعندما وقفوا أمام الباب قال (أزرق):

ماذا الآن يا (هنان)؟

(هنان) تحدق بالباب بعينيها البيضاويتين.

(أزرق) يراقب (هنان).

(هنان) تطرق الباب .

لم يجب أحد.

طرقت الباب مرة أخرى.

فُتح الباب ...

(هنان) تحدق بـ (أفسار) التي فتحت الباب بابتسامةٍ عريضةٍ.

(أزرق) وبقية العصبة وهم متشكلون بهيئاتٍ بشريةٍ يراقبون (هنان) .

(هنان) تحدق بـ (أفسار) .

(أفسار) تباغت (هنان) بعناقٍ وتقبيلٍ وهي تقول بالفارسية:

أين كنت؟... لقد اشتقت إليكِ .

كانت (نازانين) في ذلك الوقت خارج المنزل في السوق تبتاع بعض الحاجيات.

دخلت (أفسار) إلى المنزل وهي تشير مبتسمة لـ (هنان) بالدخول:

هيا ادخلي ... لمَ أنتِ واقفة عند الباب؟

(هنان) بتعجبٍ لـ (أزرق): ماذا تقول؟

(أزرق): إنها تطلب منكِ الدخول

(هنان): ولمَ هي مبتهجة هكذا لرؤيتي؟

(أفسار) بالفارسية وبسعادةٍ كبيرةٍ: هيا ... ما بكِ؟ ... ادخلي أنتِ وضيوفك.

(هنان) وهي واقفة أمام عتبة المنزل في حالة من الحيرة والتعجب: ما بها؟

(أزرق): يبدو أنها شاخت وفقدت عقلها.

(عاشق نورة): هل سنقتل هذه العجوز العاجزة؟

(ضارم): ...

(شيطان الهرم) يدخل المنزل خلف (أفسار) .

(أزرق) وهو يضع يده على كتف (هنان):

لا فائدة من الثأر منها وهي بهذه الحالة يا (هنان)؟

(هنان) وهي تحدق بـ (أفسار) مبتسمة: قيدوها.

دخل (ضارم) و(عاشق نورة) وقيدا (أفسار) وهي تقول بالفارسية:

ما بكما؟ ... لمَ تقيداني ...؟

(أزرق): ماذا ستستفيدين من قتلها؟

(هنان) وهي تدخل المنزل وتتفحصه بنظرها: أين الساقطة الأخرى يا (أزرق)؟

(أزرق) بوجه محبط: لا أعرف.

(هنان) وهي تصرخ في (أزرق): أين هي؟!

خلال ذلك الجدال دخلت (نازنين) المنزل وقالت بالفارسية:

من أنتم؟ ... وماذا تريدون؟

أشارت (هنان) بمجرد رؤيتها لـ (نازانين) إلى (شيطان الهرم) بالانقضاض عليها وبالفعل اندفع نحوها ودفعها بقوة، رمت بها خارج المنزل وأسقطت ما كانت تحمله من حاجياتٍ.

صرخت (أفسار) بالفارسية وهي تحاول التفلت من قبضة (ضارم):

ماذا تفعلون؟! ... اتركوا ابنتي!

خرج الجميع من المنزل بمن فيهم (أفسار) المقيدة و(ضارم) ممسك بها.

نهضت (نازنين) وعقدت أصابعها وبدأت بقراءة طلسم، لكنها لم تكمله لأن (عاشق نورة) فصل رأسها عن جسدها في لمح البصر...

بدأت (أفسار) بالصراخ والبكاء بقوة، وهي تحاول التفلت من قبضة (ضارم) فاشارت (هنان) له برأسها وهي تبتسم بأن يطلق سراحها.

حرر (ضارم) (أفسار) وبمجرد أن حل قيدها، جرت نحو جثة (نازنين) وعانقتها بيدٍ وبيدها الأخرى كانت تبحث عن رأسها... كانت (هنان) تشاهد حال (أفسار) بانتشاءٍ شديدٍ، وكانت ابتسامتها وهي تراقبها في تلك الحالة لا تفارق محياها.

(أزرق): هل انتهينا؟

(ضارم): وماذا عن العجوز؟

(أزرق) بغضبٍ: ماذا عنها؟! ... هل ترين شخصًا يستحق القتل؟

(عاشق نورة) مبتسماً: أليست هي قائدة العصبة؟

(أزرق): نعم، لكنها لا تستحق الموت، وهي بهذه الحالة لقد فقدت عقلها ولم تعد تلك الساحرة المخيفة.

(هنان) وهي تحدق بـ (أفسار) بابتسامةٍ ساخرةٍ: (أزرق) معه حق.

(عاشق نورة) مبتسماً: ستعفين عنها إذاً؟

(أزرق) وهو يبتسم: قرارٌ حكيمٌ يا (هنان) ... العفوعند القوة من صفات الملوك

(هنان) وهي تلتفت إلى (أزرق) بعينيها البيضاويتين، وقد تحولت ابتسامتها إلى تجهم: وهل ترى ملوكًا أو ملائكة هنا؟

(أزرق) وهو يحدق بـ (هنان) بتوترٍ: ماذا تقصدين؟

(هنان) وهي ما تزال تحدق بـ (أزرق) وتوجه كلامها لعصبتها:

جردوها من ملابسها.

(أزرق): ماذا؟ ... ماذا ستفعلين؟

جردت العصبة (أفسار) من ملابسها ورفعوها، وهم ممسكون بها من ذراعيها وهي تبكي وتهذي بكلمات فارسية غير مفهومة.

(هنان) وهي تنظر لـ (أفسار) ثم تحيد بنظرها نحو شجرةٍ قريبةٍ من المنزل:

قيدوها على تلك الشجرة.

(أزرق) بصوت مرتفع: ماذا ستفعلين؟!

سحب (ضارم) (أفسار) وقيدها على الشجرة.

(هنان) موجهة كلامها لـ (عاشق نورة): حان وقت الإيفاء بوعدك يا (عاشق).

(عاشق نورة) وهو يحدق بـ (أفسار) مبتسماً:

تقصديق سوط (الجلاد)؟

(هنان) وهي تحدق بـ (أفسار) مبتسمة: لا تتأخر.

(عاشق نورة) وهو يبتسم: أمهليني ارتداد طرف.

اختفى (عاشق نورة).

(أزرق): ما الذي تفعلينه يا (هنان)؟ هل تنوين جلد هذه العجوز؟

(هنان) وهي تصرخ في (أزرق):

هذه العجوز هي من نحرت (ضنة) ... أم نسيت أيها المرهف.

(أزرق) ينزل رأسه .

عاد (عاشق نورة) ووضع في يد (هنان) سوطًا أسود.

(هنان) وهي تقترب من (أفسار) وتبتسم:

القوة كل شيءٍ يا بنة الفرس ... وستكونين أنتِ اليوم عبرة لساقطات ... فارس.

بدأت (هنان) بجلد (أفسار) بقسوة ومع كل لسعة من السوط كانت (أفسار) تصرخ و(هنان) تبتسم.

بقيت العصبة تراقب (هنان) وهي تجلد (أفسار) حتى تدخل (ضارم) وأمسك يد (هنان) فقالت له وهي تتنفس بثقل:

هل بدأت تحن عليها أنت أيضًا مثل المرهف الأزرق؟

(ضارم) وهو يبتسم: العجوز فقدت الوعي منذ فترة.

نظرت(هنان) إلى (أفسار) لتجدها بالفعل قد فقدت الوعي.

(هنان) وهي ترمي السوط على الأرض وتعود إلى منزل (أفسار):

جاء دورك أيها الجني المرهف ... حل وثاقها وأحرص ألاّ تموت فلم يحن ذلك الموعد بعد.

(عاشق نورة) وهو يلتقط السوط من الأرض: ألا ترغبين بقتلها .

(هنان) وهي تدخل منزل (أفسار):

هناك أشياء أسوأ من الموت، وسأحرص أن تراها قبل هلاكها.

دخلت (هنان) المنزل ودخلت معها عصبتها وذهب (أزرق) وحل وثاق (أفسار) وحملها إلى فناء المنزل... حاول (أزرق) سقي (أفسار) بعض الماء بعدما أفاقت وبدأت تهذي... خلال هذيان (أفسار) قالت:

لماذا يا (نزيم) .. لماذا رحلت يا بنتي؟

صعق (أزرق) عندما سمع اسم (نزيم) وتذكر الاسم الذي أخبرته به (جهنم) وبدأ يهز في (أفسار) ويقول:

هل زرت جبل (آريان) من قبل ...؟ هل أنجبتِ مولودًا هناك؟

لم ترد (أفسار) لأنها فقدت الوعي مرة أخرى.

غطى (أزرق) (أفسار) بغطاء كان بجانبه، ودخل على (هنان) في المنزل وقال لها:

هذه المرأة يجب ألاّ تموت يا (هنان) .

(هنان) وهي جالسة وتبتسم بسخرية:

كنت أعرف أن دمك الفارسي سيحن لها عاجلًا أم آجلًا .

(أزرق) بصوتٍ مرتفعٍ: أنتِ لا تفهمين!

(هنان) وهي تقف وتصرخ في وجه (أزرق):

بل أنت الذي لا يفهم ولا يريد أن يفهم ... هذه الساقطة ستموت وبقية عصبتها سأبحث عنهن وساقتلهن جميعًا!

(أزرق) يصمتِ ويحدق بهدوء في (هنان).

(عاشق نورة) و(ضارم) يحدقان بـ (أزرق) ويبتسمان.

(شيطان الهرم) يصعد على أكتاف (هنان) ويحدق بـ (أزرق) بتجهم.

(هنان) تصرخ في (أزرق) وهي تشير إلى الباب:

اخرج من هنا لم أعد بحاجتك أيها الفارسي القذر!

(أزرق) وهو يبتسم: كما تشائين (هنان).

خرج (أزرق) من المنزل بهدوء.

(عاشق نورة) وهو يبتسم بسخرية:

كنت أعرف منذ البداية أن هذا الجني لا يمكن الوثوق به.

(ضارم): ليس كل الجن على شاكلته.

(عاشق نورة) وهو يبتسم: بالطبع ياشيخ الجن لم أكن أقصدك.

(هنان) بتجهم: لنخرج وننتهي من تلك الساقطة.

خرجت (هنان) وعصبتها خارج المنزل وتوجهت إلى الشجرة ولم تجد (أفسار) بحثت في الفناء وحول المنزل ولم تجدها كذلك، ولم تجد أثرًا لـ (أزرق) أيضاً فصرخت بصوتٍ مرتفعٍ:

فعلها الخائن!

(ضارم) بوجهٍ عابسٍ: يمكنني تقفي أثره.

(هنان) وهي تصرخ:

ماذا تنتظر إذاً؟! ... اذهب خلفه ... اذهبوا جميعًا!!

اختفى أعضاء العصبة وتركوا (هنان) ثائرة وساخطة مما فعله (أزرق).

عادت أفراد العصبة بعد مدةٍ قصيرةٍ، وأخبروا (هنان) بأن أثر (أزرق) انقطع في منطقةٍ جبليةٍ فأمرتهم بأخذها إلى تلك المنطقة... بعد وصولهم بدأت (هنان) تتفحص المكان والذي كان كالوادي المحاط بسلسلة من الجبال:

(هنان) وهي تحدق حولها بعينيها البيضاويتين: أين نحن؟

(ضارم) وهو ينظر حوله: لا أعرف اسم المكان.

(عاشق نورة) يتفحص سلسلة الجبال المحيطه بهم بنظره.

(شيطان الهرم) وهو يصعد على أكتاف (هنان): جبل (آريان).

(هنان): جبل ماذا؟

(صوت من الأعلى) بالعربية: جبل (آريان).

رفعت (هنان) رأسها نحو مصدر الصوت لترى امرأة تلبس خمارًا يغطي رأسها.

(هنان) بصوتٍ مرتفعٍ: من أنتِ؟

(صاحبة الصوت) تحدق بـ (هنان) من الأعلى بصمت.

(ضارم) بقلقٍ: يجب أن نخرج من هنا.

(هنان) وعينها ما زالت على المرأة: لماذا؟

(عاشق نورة) وهو يحدق إلى الأعلى: لأنك لا ترين ما نراه.

(شيطان الهرم) وهو يحدق للاعلى: حشد.

(صاحبة الصوت): عودوا من حيث أتيتم.

(هنان) بصوتٍ مرتفعٍ: لن أعود قبل أن أحصل على ما أتيت من أجله!

(صاحبة الصوت) تختفي وتظهر أمام (هنان) بسرعةٍ خاطفةٍ.

(هنان) تحدق بها بوجهٍ مرتبكٍ.

(صاحبة الصوت) وهي ترفع الخمار عن رأسها:

الكلام موجه إلى شياطينك فقط .

(هنان) وهي تشير إلى (شيطان الهرم): تخلص منها .

(شيطان الهرم) متسمرًا على أكتاف (هنان) يحدق بالمرأة بقلقٍ

(هنان) بتعجبٍ وصوتٍ مرتفعٍ: ما بك؟! ... تخلص منها!!

(صاحبة الصوت) وهي تبتسم: لن يجرؤ على أخذ خطوة واحدة.

(هنان) باستغرابٍ: لماذا؟

(صاحبة الصوت) وهي تعيد الغطاء على رأسها: لأنك دخلت جهنم.

(هنان) وهي تصرخ في (ضارم) و(عاشق نورة) وهما يحدقان إلى الأعلى وعلى وجهيهما ارتسمت معالم التوتر والقلق:

ما الذي يجري؟ ما بكما تقفان هكذا؟

(جهنم) بصوتٍ مرتفعٍ بعدما أدارت ظهرها لـ (هنان): دعوها تراكم!

بدأت معالم ما كان يراه أفراد عصبة (هنان) تظهر أمامها، وكانت

حشودًا ضخمة من الشياطين والمردة غطت الجبال حتى قممها، كانت أعدادهم بالآلاف، وكانوا جميعًا يحدقون بـ (هنان) وبعصبتها.

(جهنم) وظهرها مدار لـ (هنان): يمكن لشياطينك أن ترحل، أما أنتِ فلا .

اختفت (جهنم) وتركت (هنان) مع عصبتها .

(هنان) بقلق: ما الذي يحدث يا (ضارم)؟

(ضارم) وهو يبتسم بحزنٍ: لقد وصلنا إلى نهاية الطريق.

(هنان): ماذا تقصد؟

(عاشق نورة) وهو يحدق بالحشد الشيطاني حولهم:

نحن محاطون بعددٍ مهولٍ من الشياطين العلوية، ولن نستطيع إيقافهم.

(هنان) بحماس: سنقاتلهم جميعًا.

(ضارم) ينظر للأرض ...

(عاشق نورة) يحدق في الحشد الشيطاني مبتسمًا .

(شيطان الهرم) ينزل من على أكتاف (هنان).

(هنان) تبتسم بحزنٍ لأنها أدركت أن عصبتها ليست كافية للتغلب على هذا الحشد الشيطاني الكبير، وأنهم لا يرغبون في الموت خاصة بعدما أعطتهم (جهنم) خيار الرحيل.

(جهنم) وهي تظهر في الأعلى موجهة كلامها لعصبة (هنان):

هذه فرصتكم الأخيرة للرحيل ... اتركوا الفتاة وارحلوا.

(هنان) بعينين دامعتين: أحرركما جميعًا من عهدكم معي.

(ضارم) وهو يلتفت إلى (هنان): ماذا؟

(عاشق نورة) لـ (هنان) وهو يحدق بـ (جهنم): لكنك لم تنتهي من ثأرك.

(هنان) وهي تدمع وترفع رأسها، وتلقي نظرة بعينيها البيضاويتين على حشود الشياطين فوق قمم الجبال:

ولن أنتهي منه أبدًا.

(شيطان الهرم) يسير ويقف أمام (هنان) ويبسط كفه أمامها:

الجعران والخاتم.

(هنان) تبتسم وتخرج الجعران الحجري والخاتم الأخضر من جيبها وتضعه في يد (شيطان الهرم) .

(شيطان الهرم) يختفي.

(ضارم) وهو ينظر مبتسمًا لـ (عاشق نورة) الذي كان يحدق بـ (جهنم):

لم ترحل أيها الشيطان.

(عاشق نورة) وهو يحدق بـ (جهنم) مبتسمًا: أنتظر رحيلك أيها الجني.

(ضارم) يبتسم لـ (عاشق نورة).

(هنان) تلتفت إليهما وهما يتحاوران .

(عاشق نورة) وهو يبتسم وينظر إلى الحشد الشيطاني الذي بدأ يزمجر

استعدادًا للهجوم عليهم:

الموت ليس دائمًا مرًا وقبيحًا.

(هنان) وهي تبتسم وتدمع: ومتى يكون الموت جميلًا يا (عاشق)؟

(عاشق نورة) وهو يحدق بالحشد الشيطاني:

من تفرقهم الحياة يومًا سيجمعهم الموت إلى الأبد ... عندما نموت في سبيل ما نؤمن به، وقتها يكون للموت حلاوة لا مثيل لها.

(هنان) ودموعها بدأت تتحول إلى بكاء خفيف:

وبماذا تؤمن؟

(عاشق نورة) وهو ينظر إلى الحشد الشيطاني:

بأنني سألتقي بـ (نورة) بعد قليل.

(ضارم) وهو يرفع نظره إلى الحشد الشيطاني:

وأنا بالحمقاء (خود).

(هنان) وهي تدمع وتبتسم وتنظر إلى الحشد الشيطاني معهم:

وأنا بأخواتي .

(عاشق نورة) وهو يلتفت على (هنان) و(ضارم) مبتسمًا: ماذا ننتظر إذاً؟

(هنان) وهي تخرج الخاتم الأبيض من جيبها وتمسح عليه:

ننتظر الملك.

خرج (الشيطان الأسير) وهو يصرخ بقوة ووقف بجانب (هنان) وهو يقول:

لك واحدة.

(هنان) وهي تدمع وتبتسم: قاتل معنا أيها الملك.

رفعت جهنم يدها وصرخت: أبيدوهم!

***



# هوى البوى

اندفعت حشود الشياطين التي كانت بالآلاف نحو (هنان) وعصبتها، وكان صدامهم الأول مع (ضارم) و(عاشق نورة) حيث قام (الشيطان الأسير) برفع (هنان) ووضعها على كتفه والتراجع إلى الخلف لحماية (هنان) من الجحافل المندفعة نحوها... أنزل (الشيطان الأسير) (هنان) على الأرض وقال:

ابقي خلفي ولا تتقدمي .

(هنان): ألن تقاتلهم؟

(الشيطان الأسير): سيأتون لقبرهم بعد قليل.

بدأ (ضارم) بالقتال وسقطت على يديه أعدادٌ كبيرةٌ من الشياطين لقدرته على التحرك بسرعةٍ خاطفةٍ بينهم، وبتوجيه ضربات قاتلة لهم، لكن كثرتهم وتكالبهم عليه وكون معظمهم من الشياطين العلوية لم تمكنه من الصمود طويلًا، وبدأ بالتقهقر جرآء بعض الهجمات التي لم تكن لتصبه لولا كثرة الشياطين المحيطة به، اضطر (ضارم) بعدما بدأت قواه تخور للتوجه إلى سفح جبل كان قريبا منه ليرى كهفًا دخل



به وتوارى عن الأنظار، ليلتقط أنفاسه ويعود لأرض المعركة وقفت الشياطين التي كانت تلاحق (ضارم) خارج ذلك الكهف، حتى صرخ أحدهم وقال: لندخل وراءه.

بدأت بعض الشياطين بالاندفاع نحو الكهف، وبمجرد دخولها بدأت صرخاتهم ترتفع وتزرع الخوف داخل الشياطين التي كانت مترددة من الدخول، لم يستمر صمود (ضارم) داخل ذلك الكهف الصغير طويلًا ... حتى دخل عليه اثنان من المردة الضخام وبدأ القتال معهما حتى دفعاه للخروج بعدما نزف لفترة من جراحه السابقة وفقد معظم قوته... وقف (ضارم) خارج مدخل الكهف وهو يترنح ليسقط بضربة غادرة أتته من الخلف، تلاها هجوم لمئات من الشياطين التي استغلت سقوطه ومزقته لأشلاء، وكانت آخر جملة قالها:

لا تتأخر يا عاشق.

(عاشق نورة) في ذلك الوقت لم يكن بحال أفضل فقد تعرض للكثير من الضربات القاتلة بعد قتله للكثير من الشياطين التي حاصرته وبدأت تدنو منه ببطء عندما رأت قوته وصموده الغريبين أمامها.

نظر (عاشق نورة) وهو يتنفس بثقل إلى الحشد الشيطاني الضخم الذي كان يقترب منه من جميع الجهات وقال مبتسمًا وهو ينزف بغزارة:

شجاعتكم تذكرني بشجاعة الكلاب لا تظهر إلا عندما تحيط بفريسة مصابة .

(أحد الشياطين) المحيطة بـ (عاشق نورة) وهو يضحك بصوتٍ مرتفعٍ:

وفريستنا اليوم شاةٌ مصابة وتنزف.

(عاشق نورة) وهو يخرج سوط (الجلاد): بل ذئبٌ مصابٌ لا يهاب الموت.

بدأ (عاشق نورة) بجلد الشياطين التي كانت تحيط به وبدأت تتساقط مع كل جلدة من سوطه، لكنه فوجيء بشيطان ضخم يندفع نحوه من الخلف ويسقطه أرضًا ليسقط السوط من يده... ولتندفع بقية الشياطين نحوه وهو طريح وتمسك بأطرافه الأربعة وتسحبها وتفصلها عن جسده في آن واحد.

بقي (عاشق نورة) ينزف على الأرض بغزارة ويحدق بالسماء مبتسمًا ويقول:

لو كنت أعرف أن تمزيق الأعضاء مؤلمٌ لهذا الحد لفعلت ذلك في بني (سحيان) بدل قطع رؤوسهم.

فارق (عاشق نورة) الحياة بعد هذه الجملة بعينين مفتوحتين وبابتسامة عريضة.

راقبت (هنان) ما حدث مع (ضارم) ومع (عاشق نورة) بعينين دامعتين وشاهدت الحشد الشيطاني وهو يتوجه نحوها ونحو

(الشيطان الأسير) بأعدادٍ ضخمةٍ وقالت:

سأقاتلهم معك .

(الشيطان الأسير) وهو متشكلٌ بحجمٍ أكبر من أي شيطانٍ في أرض المعركة:

ابقي مكانك.

اندفع (الشيطان الأسير) نحو حشود الشياطين، وبدأ بشق صفوفهم بضرباتٍ قويةٍ بعثرتهم... وأسقطت الكثير منهم قتلى... عمت الفوضى بين الشياطين التي تفاجأت من قوة (الشيطان الأسير) الذي بطش بهم بشكلٍ وحشي، وقتل منهم أعدادًا كبيرةً في وقتٍ قصيرٍ... كانت (جهنم) تراقب المعركة من الأعلى وعندما رأت ما كان يقوم به (الشيطان الأسير) سألت أحد الشياطين الذي كان يقف بجانبها وقالت:

من هذا الشيطان؟

(الشيطان): لا أعرف يا سيدتي .

(جهنم) وهي تراقب:

لو استمر فيما يقوم به سيقضي على جيشنا بالكامل.

(الشيطان): ألا يمكنك ربطه يا سيدتي؟

(جهنم): لا أظن أني أملك طلسماً يمكنه تقويض هذا المارد المتوحش

(الشيطان): بماذا تأمرين؟

(جهنم) وهي تدير نظرها نحو (هنان):
هاجموا الساحرة، فهي التي تحفزه على القتال بضراوة.
(الشيطان): جميع الشياطين منشغلة مع المارد ولا تستطيع الوصول إليها.
(جهنم): سوف أقوم أنا بهذا الأمر.
اختفت (جهنم) وظهرت أمام (هنان) التي تفاجأت لرؤيتها، واندفعت نحوها وهي تقرأ أحد طلاسمها، لكن (جهنم) وبحركةٍ بسيطةٍ من يدها طرحت (هنان) جانبًا أتبعتها بطلسمٍ قوي تسبب بإصابةٍ شديدة] لـ (هنان)... انتبه (الشيطان الأسير) لما كان يحدث خلفه فعاد أدراجه لمهاجمة (جهنم) وبمجرد إدارته ظهره لحشود الشياطين هجم معظمهم عليه وأصابوه إصابة بليغة، لم يتوقف (الشيطان الأسير) عن الاندفاع نحو (جهنم) التي ابتسمت واختفت من أمامه وعادت فوق قمة الجبل حيث كانت.
(الشيطان) الواقف بجانب (جهنم) مبتسماً:
يبدو أن خطتك نجحت يا سيدتي، فالمارد بدأ بالتقهقر جراء ماتعرض له من إصاباتٍ ولن يقاوم كثيرًا.
(جهنم) وهي تراقب (الشيطان الأسير) وهو يذود عن (هنان) بثقلٍ وتعبٍ وجيشها يبدأ بالتراجع خوفًا منه:
وجِّه الجيش بأن يضرب بقوةٍ أكثر قبل أن يستعيد ذلك المارد عافيته ويفكر بالهروب معها.

(الشيطان): لقد أصيبت الساحرة إصابة بليغة، ويبدو أنها تحتضر ولن تنجو حتى لو هربت مع شيطانها.

(جهنم): نفذ ما أمرتك به.

(الشيطان) بخوف: حاضر.

(الشيطان الأسير) لـ (هنان) وهو يتنفس بثقل: لن يصلوا إليك ما دمت أتنفس

(هنان) وهي تجلس بثقلٍ ويدها على جرحٍ غائرٍ في بطنها:

لكنهم سيصلون في النهاية.

(الشيطان الأسير): ماذا تقصدين؟

(هنان) وهي تتحسس جرحاً آخر ينزف من رأسها: ارحل أيها الملك.

(الشيطان الأسير) بتعجبٍ: أرحل ..؟!

(هنان) وهي تتوسد صخرةً كبيرةً خلفها:

نعم ... الأمر قد حسم وموتك لن يفيدني بشيء.

(الشيطان الأسير) بغضبٍ: الملوك لا يهربون من المعركة!

(هنان) وهي تحدق بالحشد الشيطاني الذي بدأ بالتقدم نحوهما:

معركتي انتهت ..

(الشيطان الأسير): سنعود إلى الجزيرة إذاً ... ما زلت أملك قوة تمكننا من الخروج من هنا!

(هنان): أنت من سيعود فقط ..

(الشيطان الأسير) ينظر إلى (هنان) باستغرابٍ ..

(هنان) وهي تنظر للأرض ونصف وجهها مغطى بالدماء من جرح رأسها:

لن أهرب من أمامهم كي أموت ميتة ذليلة... سأموت في أرض المعركة بعزةٍ كما الأرض التي أتيت منها .. اذهب أنت ولا تقلق لن أصفك بالجبن أيها الملك ..

(الشيطان الأسير): قمة الشجاعة هي القدرة على الاعتراف بهزيمتك

(هنان) ترفع نظرها نحو (الشيطان الأسير) لتشاهده، وهو يختفي ..

(جهنم) من أعلى الجبل: يبدو أن المارد تخلى عنها

(الشيطان): سوف أوجه الجيش بالإجهاز على الساحرة وقتلها فورًا!

(جهنم): لا ... سوف أنزل إليها

(هنان) تستلقي على الأرض وتنزف بغزارة ..

حشد الشياطين يحيطون بها ويدنون منها ويبدؤون بضربها بأرجلهم في شماتةٍ ظاهرةٍ ..

صرخة من خلفهم تأمرهم بالتوقف..

(جهنم): توقفوا!

الشياطين تفتح طريقًا لـ (جهنم) نحو (هنان)..

(جهنم) وهي تقف فوق رأس (هنان) مبتسمة:

متى ستتعلمون بألاّ تطؤوا هذه الأرض؟

(هنان) ترفع رأسها النازف، ووجهها المتورم بصعوبة:

أنتم من دخل أرضنا وقتل أهلنا أولاً ..

(جهنم) وهي تصرخ بقوةٍ وتضع قدمها على رأس (هنان):

وسنطؤها وقتما نشاء ولن يمنعنا أحدٌ!

(هنان) تتنفس بثقلٍ وسكرات الموت تباغتها:

متى ما وطأتم أرضنا ستجدونا في عمق أرضكم نزلزلها من تحت أقدامكم

(جهنم) ترفع قدمها وهي متجهمة ..

(هنان) تحدث نفسها مبتسمة وخدها يتوسد الأرض بعينين دامعتين تحدق بأقدام الشياطين المحيطة بها:

لقد حاولت يا أخواتي ... لقد حاولت ..

(أزرق) يخرج من بين الحشود ويقف بجانب (جهنم) ويحدق بـ (هنان) بأسى وهي تحتضر:

لقد حصلت على مرادك يا (جهنم) ... أين أهلي؟

(هنان) وهي ترفع رأسها بعدما سمعت صوت (أزرق) وتنظر إليه وتبتسم ..

(أزرق) بغضبٍ ... وعيناه تحدق بـ (هنان) وتدمع:

أين هم يا (جهنم)؟! ... أين أهلي؟!

(جهنم) تتجاهل كلام (أزرق) وتحدق بـ (هنان) وهي تحتضر..

(أزرق) ينزل رأسه ..

(هنان) تبدأ بالارتجاف وتخرج أصواتًا كالحشرجة ..

(جهنم) تتحدث مع أحد شياطينها: روحها تخرج الآن ناولني سيفاً

مد الشيطان سيفًا ووضعه في يد (جهنم) وعينها مازالت على (هنان)..

(جهنم): حان وقت الرحيل عن أرض النار المقدسة أيتها العربية!

(هنان) تغمض عينيها ..

(جهنم) موجهة كلامها إلى الشياطين حولها: أجلسوها على ركبها!

رفعت الشياطين (هنان) كما أمرتهم (جهنم) ودنت بجانبها ورفعت السيف فوق عنقها ورأسها للأرض ينزف ويترنح ..

(جهنم) وهي رافعة السيف فوق رأس (هنان):

هل لديكِ رغبة أخيرةٌ قبل أن أتوج نصرنا؟

(هنان) وهي ترفع رأسها بثقلٍ وتنظر بعينيها البيضاويتين إلى (جهنم) وتبصق بعض الدم على الأرض وتبتسم:

ثبات كلماتك لا تعكسها رجفة يديك ..

تجهمت (جهنم) ثم تحول تجهمها لابتسامة خبيثة وقالت وهي تناول السيف إلى (أزرق):

أنت من سيقوم بذلك ..

(أزرق) بتعجبٍ وبصوتٍ مرتفعٍ: أنا؟! .. لماذا أنا؟!

(جهنم) وهي ما تزال تمد السيف لـ (أزرق) وعينها على (هنان):

ثمن معرفتك لمكان أهلك هو بتنفيذ ما آمرتك به يا ابن وندل!

(أزرق) يمسك السيف بتردد وبيد ترتجف ..

(جهنم) وهي تبتسم: نفذ أمري أيها الجني الأزرق ..

(أزرق) يحدق بـ (هنان) وأعينهم غارقة بالدموع ..

(هنان) تبتسم لـ (أزرق) وتومئ برأسها بالموافقة ..

(أزرق) يدنو إلى جانب (هنان) ويقف عند رأسها ..

(جهنم) بغضب وبصوت مرتفع:

ما بك؟! ... نفذ!

(أزرق) وهو يرفع السيف بتردد فوق عنق (هنان) ويداه ترتجفان وعيناه تدمعان:

أخبري (ضنة) أني أحبها ..

(هنان) وهي تنزل رأسها وتغمض عينيها وتبتسم:

سأخبرها ... فقط، لا تدفني في هذه الأرض اللعينة ..

(جهنم) تصرخ في (أزرق): نفذ ما أمرتك به الآن!

أنزل (أزرق) حد السيف على عنق (هنان) وفصل رأسها عن جسدها ليتدحرج وسط صرخات الشياطين المبتهجة حولها ..

(أزرق) يراقب جثة (هنان) وهي تسقط على الأرض ويدمع ..

(جهنم) وهي تبتعد عن المكان مبتسمة:

«جبال الملح» في «السند» ... أهلك محبوسون في أعمق كهف في تلك الجبال.

اختفت (جهنم) ومعها ما تبقى من حشدها الشيطاني ..

بقي (أزرق) بجانب جثمان (هنان) يراقبه بصمتٍ ودموعه تملأ عينيه

خرج مجموعة من الجن الأزرق وجلسوا بجانب أميرهم دون أن يتحدثوا معه.

بعد مدةٍ تكلم (أزرق) وقال: اجمعوا قومنا لنرحل.

(زمرك): إلى أين ياسيدي؟

(أزرق) وهو يحدق بجثة (هنان): إلى «جبال الملح»

اختفى جميع من كان حول (أزرق) ماعدا (زمرك) ..

(زمرك): هل ستأتي معنا ياسيدي؟

(أزرق) وهو يحمل جثة (هنان) ورأسها: سألحق بكم.

(زمرك) بتوتر: هل تأذن لي بسؤال ياسيدي؟

(أزرق) وجثة (هنان) ورأسها بين يديه: ماذا تريد؟

(زمرك) بتوتر: هذه الفتاة.

(أزرق) وهو ينظر لرأس (هنان): ما بها؟

(زمرك) وهو ينزل رأسه للأرض:

على خدها الوسم الأعلى للجن الأزرق ... ألم يكن من الواجب علينا حمايتها؟

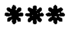
(أزرق) وهو يحدق بعيني (هنان) البيضاويتين المفتوحة بحزنٍ:

لا أحد يستطيع حمايتك من نفسك ..

(زمرك) ورأسه للأرض: ...

(أزرق): ارحل الآن ..

اختفى (زمرك) وتوجه بعدها (أزرق) إلى جنوب «جزيرة العرب» وتحديدًا عند بيت أهل (هنان) ودفنها عند الشجرة الكبيرة .





# رياح النسيان



رجلٌ من بدو الصحراء يدخل خيمة شيخ مع ابنته الصغيرة ..

يقـبِّـل يد الشيخ ويجلس بجانبه ..

الشيخ يجلس بصمتٍ ..

البدوي يفرك يديه بتوترٍ ..

(الشيخ): هات ما عندك

(البدوي): نحن ياشيخ من بدو الشمال وأتينا نبحث عندك عن علاجٍ لمريضٍ

(الشيخ): ما علته؟

(البدوي): هي إمرأة ... وجدناها قبل عامين تقريبًا مرمية في الصحراء، وكانت مصابة بطعن في بطنها ... نظن أن قطاع الطرق أغاروا على قافلتها.





(الشيخ): أنا لا أطبب الجروح.

(البدوي): نعرف ياشيخ لقد عالجناها وأخذناها معنا وعاشت بيننا.

(الشيخ): ماعلتها إذاً؟

(البدوي): أنها لا تتحدث ولا تشاركنا بشيءٍ ... سارحة وفاقدة لعقلها ولم نجد لحالتها علاجاً، حتى أخبرني عابر سبيلٍ مرّ ببساديتنا قبل أيام عنك، وعن علاجك بالحناء وأنك عالجت حالاتٍ كثيرةً مثل حالتها.

(الشيخ): ولِمَ الحرص على علاجها؟

(البدوي): المرأة كبيرة في السن ولربما عشيرتها، أو أولادها يبحثون عنها

(الشيخ): أين هي؟

(البدوي): في الخارج.

(الشيخ): أحضرها.

(البدوي) وهو يخاطب ابنته: أحضري عمتك يا (عمرة).

خرجت الصبية وعادت وهي تسند على كتفها امرأة ناهزت السبعين من العمر يتبعها فتى صغيرٌ لم يتجاوز ثمانية أعوامٍ ... ممسكٌ بردائها.

(الشيخ) وهو ينظر إلى الصبي ويوجه كلامه إلى البدوي: هل هذا ابنك؟

(البدوي) وهو يبتسم: لا ... هذا الصبي كان معها عندما وجدناها.

(الشيخ) باستغرابٍ: لِمَ لم تسألوه عنها وعن قبيلتها؟

(البدوي) وهو يحدق بالصبي:

هو الآخر لا يتكلم ومهما حاولنا التفاهم معه، لا يفهم علينا ولا يجيبنا ... ابنتي (عمرة) تسميه (شبث) لأنه دائمًا متعلقٌ بتلك العجوز وملازمٌ لها.

(الشيخ) وهو يشير إلى العجوز: أجلسوها أمامي.

أجلست (عمرة) العجوز أمام الشيخ الذي وضع يده على رأسها وقال:

من أنت؟ ... ومن أي العرب تنحدرين؟

(العجوز) وهي سارحة في الأرض بفمٍ مفتوحٍ والصبي متشبث بها:

أعاد الشيخ السؤال أكثر من مرة ولم يجد إجابة، فقال له البدوي:

لقد حاولنا كثيرًا لكنها لا تجيب أحدًا... وبالكاد نستطيع إطعامها وسقيها كي لا تموت.



(الشيخ) وهو يرفع يده عن رأس العجوز ويحدق بها:

علاجها سيأخذ يومين.

(البدوي): خذ كل الوقت الذي تريده.

(الشيخ): سأحتاجك أنت وابنتك كي تساعداني.

حضّر الشيخ تلك الليلة خليطًاً من الحناء وبدأ يرسم على جسد العجوز طيلة الليل على ظهرها وبطنها ... وعلى وجهها وعنقها ... وعلى قدميها وفخذيها... وعلى يديها وذراعيها.

(الشيخ) موجهًا كلامه إلى (عمرة):

لقد انتهيت ... ألبسيها ملابسها وغطيها.

خرج الشيخ من الخيمة ولحقت به (عمرة) وجلس أمام النار حيث كان البدوي ينتظر.

(البدوي): ماذا الآن ياشيخ؟

(الشيخ) وهو يفرك يديه في التراب: ننتظر حتى الغد وسنرى.

(البدوي) موجهًا كلامه إلى (عمرة):

نامي مع عمتك ولا تتركيها لوحدها.

(عمرة): أمرك... يا أبي .

دخلت (عمرة) الخيمة وعاونت العجوز على الاستلقاء وغطتها و(شبث) يراقبهما.

(عمرة): استلق بجانب العمة يا (شبث)، أم أنك ستبقى مستيقظًا طيلة الليل كعادتك؟

(شبث) يستلقي بجانب العجوز ويمسك بها.

(عمرة) تبتسم وتستلقي بجانبهما وتغمض عينيها.

خارج الخيمه وخلال جلوس البدوي والشيخ أمام النار:

(البدوي): شكرًا لك ياشيخ على مساعدتك.

(الشيخ) وهو يقلب النار بعصا: هناك شيء غريب في تلك المرأة.

(البدوي) باستغرابٍ: ماذا تقصد ياشيخ؟

(الشيخ): عندما كنت أنقش الحناء على جسدها لاحظت أنه ممتلئٌ بالندوب والأوسمة.

(البدوي) باستغرابٍ: أوسمة؟

(الشيخ): نعم أوسمة ... أوسمة لا تحدثها إلا الطلاسم.

(البدوي): طلاسم.

(الشيخ): أعتقد أن ضيفتكم ساحرة ...!

(البدوي) وعلى وجهه بدا القلق والتوتر: ساحرة ...!

(عمرة) تنادي أباها بصوت مرتفع: أبي! .. أبي! .. العمة تحدثت.

نهض البدوي مع الشيخ بسرعة ودخلا الخيمة على عجالة، ووجدا (عمرة) و(شبث) واقفين عند رأس العجوز يحدقان بها.

جلس الشيخ بجانب العجوز، ووضع يده على كتفها وأجلسها.

(الشيخ): من أنتِ وما هي قبيلتك؟

(العجوز) وهي سارحة...

(الشيخ) بصوت مرتفع قليلًا: من أنتِ؟ وما قبيلتك؟

(البدوي) موجهًا كلامه إلى (عمرة):

هل أنتِ متأكدة يا بنتي أنها تحدثت؟

(عمرة): نعم، متأكدةٌ، قالت شيئًا لم أفهمه.

(البدوي): ماذا قالت؟

(الشيخ) وهو يهز كتف العجوز بقوة ويصرخ فيها:

من أنتِ؟ ... وما قبيلتك؟!

(العجوز) تقبض عنق الشيخ بقوةٍ وتقول:

أنا من ستكون نهايتك اليوم على يدي!

(شبث) يقفز ويجري مسرعًا نحو قدمي العجوز ويبدأ بتقبيلهما وهو يقول:

خادمك إلى الأبد .. خادمك إلى الأبد ..

***



الملحمة تختتم في الجزء الثالث والأخير من «بساتين عربـ




الشيطان الأسير

نافجةابنة أملج — عقربة البابلي

تلمذ العاشقة — طود إبن سوق

**«لا يوجد أخطر من الذئبة عندما تفقد أطفالها»**

نافجة ابنة أملج






الانتقامُ كأسٌ لا نشربُ منهُ حتى الارتواء
بل نشربُ منهُ حدَّ الثمالة
عاشق ثورة ..